الجزء الثاني

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة رحمه الله وأسكنه من الفردوس أعلاه آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة السابعة ﴾

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

(قوله وكان حقها ان يوقف عليها) لان هذه الالفاظ مقطوع بعضها عن بعض (قوله ليدل على انها فى حكم الثابت) ذهب سيبويه وكثير من النحاة الى انها حركت لالتقاء الساكنين وأثر الفتحة للمحافظة على التفخيم فى الله واختاره جار الله فى المفصل ويرد عليه ما ذكره المصنف من ان التقاء الساكنين فى الوقف غير محذور ولذا لم يحرك فى لام (قوله فان الميم فى حكم الوقف) هذا دليل على ان اسقاط الالف لا للدرج لانه انما (٢) يكون اذا كان الحرف الذى قبل الساقط لا يكون فى حكم الوقف (قوله واحد اثنان) بالقاء حركة الهمزة على الدال (قوله نجوما) هذا تكرار لان كونه نجوما يفهم من نزل قال صاحب الكشاف انما قال نزل لان القرآن نزل منجما والاولى للمصنف ان يقول أى نزل نجوما (قوله جملة) أى نزل كل من كل منهما دفعة واحدة (قوله لانهما أعجميان الخ) فيه بحث أما أولا فلان فى دخول اللام فى الاعلام الاعجمية نظرا كما صرح به العلامة التفتازانى واما ثانيا فلما نقل العلامة الطيبى عن الزجاج ان النحاة اختلفوا فى التوراة قال الكوفيون هى من وريت والاصل تورية فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ورد ذلك بان تفعلة بفتح العين لا يكاد يوجد فى كلامهم وقال بعضهم تفعلة مثل توصية قلبت الى تفعلة كما يجوز فى توصية توصاة وهذا ليس بثبت وقال البصريون أصله فوعلة وهى مثل الحوقلة فاصلها وورية فقلبت الواو الاولى تاء والانجيل من النجل وهو الاصل ويفهم مما نقلنا ان النحاة على انهما مشتقان من الورى والنجل ويفهم من كلامه ان كونهما اسمين أعجميين أمر ثابت بدليل آخر غير ماذكر من التأييد المذكور لكنه خلاف ظاهر كلام الكشاف حيث قال هو أى فتح الهمزة دليل على العجمة والظاهر انهما اسمان للكتابين المنزلين على لسان أهل الملتين فيحكم بكونهما أعجميين وكونهما عربيين فى غاية البعد (قوله وأنزل الفرقان) أراد به جنس الكتب الالهية كذا فى الكشاف قال الطيبى فيكون من عطف العام على الخاص كقوله والشمس والقمر والنجوم أقول فيه نظر فان ما مثل به ليس من عطف العام على الخاص اذ النجوم ليس عاما بالنسبة الى الشمس والقمر اذ لا يصدق عليهما بل من

﴿ سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم الله لا اله الا هو) انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها أسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك (الميم) فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الأعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل أو بالصدق فى إخباره أو بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وأنزل التوراة والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل تعسف لانهما أعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الأنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائى التوراة بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) على العموم إن قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وأنزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين

الحق

عطف الكل على الجزء لان النجوم عبارة عن مجموع الكواكب والشمس وكذا القمر بعض منها الا ان يقال ان هذا على مذهب من يقول الجمع المحلى باللام للجنس (قوله على العموم ان قلنا الخ) لك ان تقول ان كان المراد ان جميع ما فيهما هدى للناس فعلى تقدير كوننا متعبدين بشرع من قبلنا فليس هدى للناس على العموم لان بعضهما منسوخ وان أراد ان ما فيهما هدى فى الجملة فهذا الحكم عام لجميع الناس وان لم نكن متعبدين بشرع من قبلنا لان فيهما ما يفيد التوحيد وصفات البارى والبشارة بالنبى عليه السلام وهذه أمور هدى للناس جميعهم (قوله أو القرآن) فيكون من عطف الصفة على الموصوف كذا قال المعلقون على الكشاف أقول فيه نظر اذ العطف بين أنزل الفرقان ونزل الكتاب لا بين الفرقان والكتاب حتى يكون من عطف الصفة على الموصوف والجواب ان المقصود فى الحقيقة ان عطف أنزل الفرقان على نزل الكتاب باعتبار تغاير الفرقان والكتاب فكأنه من عطف الصفة على الموصوف فان قلت فكيف قيل أنزل الفرقان والحال ان القرآن نزل نجوما وأنزل يقتضى ان يكون نزوله دفعة واحدة قلنا المراد من انزال القرآن انزاله الى السماء الدنيا فانه أنزل الى السماء الدنيا ثم نزل نجوما فان قلت فعلى هذا ينبغى ان يقدم أنزل الفرقان على نزل عليك الكتاب قلنا تقديم التنزيل لانه المقصود بالذات (قوله أو المعجزات) عطف على قوله سائر ما يفرق (قوله بآيات الله) ان قيل لو قيل بآية الله لكان آكد اذ العذاب الشديد مترتب على الكفر بآية من آيات الله كما انه مترتب على الكفر بآيات الله قلنا ذكر الآيات لان الواقع ان من كفر ليس كفره مخصوصا بآية بل كان كافرا بالآيات كاليهود والنصارى فانهم كافرون بالآيات أو لان من كفر بآية فقد كفر بالذى جاء بها فكأنه كفر بجميع آيات ذلك النبى أو المراد العذاب البالغ الى أقصى المراتب وهو مترتب على الكفر بالآيات (قوله ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم) فيكون التنكير للنوع أو التعظيم أى نوع بلغ الغاية (قوله كليا كان أو جزئيا) أى يعلم الكلى على ما هو عليه أى على الوجه الكلى ويعلم الجزئيات على ما هى عليه أى بالوجه الجزئى وفيه رد على ما هو المشهور بين المتفلسفة من انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بوجه كلى لانه فى الحقيقة نفى للعلم بالجزئى مع ان بعض دلائلهم على علم الواجب تعالى يدل على انه تعالى يعلم الجزئيات على وجوه جزئية كما انه تعالى يعلمها على وجوه كلية فانهم قالوا العلم بالعلة التامة يستلزم العلم بالمعلول ولا شك ان كل شئ فاما ان يكون الواجب علته التامة فيلزم ان يكون معلوما له أوليس بعلته التامة فنقول الواجب يعلم معلوله الاول على الوجه الجزئى لانه على هذا الوجه معلوله وهو تعالى مع هذا المعلول علة تامة لمعلول ثان فيجب ان يكون الواجب عالما بهذا المعلول الثانى أيضا لانه تعالى عالم بالعلة التامة لهذا المعلول الثانى لانه يعلم ذاته تعالى ويعلم معلوله الاول وهما علة تامة للمعلول الثانى وقس على ما ذكرنا سائر المعلولات (قوله ترقيا من الادنى الى الاعلى) اما باعتبار المكان فهو ظاهر واما باعتبار المكانة فلان السماء أشرف من الارض (قوله ما اقترف فيها) فان المقصود من الآية تخويف أهل الارض عما اقترفوا أى اكتسبوا فيها يعنى يعلم ما صدر من أهل الارض وما اختلج فى قلوبهم فيجب ان يحذر كما قال تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله (قوله وهو كالدليل على كونه تعالى حيا) وانما قال كالدليل اذ لا يكون ايراد الآية للاستدلال على كونه حيا بل المقصود علمه بجميع الاشياء ليحذر منه ثم انه ليس دليلا تاما على كونه حيا بل لابد من مقدمة أخرى هى ان من كان عالما بما العالم بجميع الاشياء فلابد ان يكون حيا (قوله وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وعبادته) أراد ان معنى تصوركم ما ذكر فيكون صوركم مطلقا وتصوركم مقيدا وقوله وعبادته معطوف على نفسه عطف تفسير (قوله كالدليل على قيوميته) لان القيوم على ما فسره الدائم القائم بتدبير الخالق وانما قال كالدليل على القيومية لمثل ما ذكرنا آنفا وترك المصنف شيأ يجب ان ينبه عليه

الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث إنه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بأنه معجز يفرق به بين المحق والمبطل أو المعجزات (إن الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لا يمنع من التعذيب (ذو انتقام) لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما للأمر وزجرا عن الإعراض عنه (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء) أى شئ كائن فى العالم كليا كان أو جزئيا ايمانا أو كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الأرض ترقيا من الأدنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) أى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم بإتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وعبادته (لا اله الا هو) اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله

وهوان قوله تعالى كيف يشاء دال على انه فاعل بالاختيار لابالايجاب كما هو مذهب الفلاسفة ففى الآية الرد عليهم من وجهين بل من وجوه أحدها كونه تعالى عالما بالجزئيات الثانى كونه فاعلا بالمشيئة والاختيار الثالث كونه تعالى مستقلا بالفاعلية فان ظاهر قوله تعالى هو الذى يصوركم دال على الاستقلال (قوله قيل هذا حجاج الخ) يمكن ان يكون قوله هذا اشارة الى قوله تعالى ان الله لايخفى الآية فيكون المعنى ان الرب الحقيقى لابد ان يكون متصفا بما ذكر وعيسى عليه الصلاة والسلام ليس كذلك و يمكن ان يكون مستفادا من قوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء و يمكن ان يكون اشارة الى العزيز الحكيم فان الرب ينبغى ان يكون فى غاية العلم ونهاية القدرة وعيسى ليس على ماذكرنا (قوله تعالى هو الذى أنزل عليك) ان قيل قد سبق فى أول السورة نزل عليك الكتاب وههنا قال أنزل وجه الاول يقتضى ان يكون نزوله تدريجا والثانى ان يكون دفعة قلنا أراد ههنا مطلق النزول أو يكون الانزال بمعنى التنزيل (قوله على تأويل كل واحدة الخ) أى على ان يراد بهن كل واحدة من المحكمات أو يجعل مجموعها فى حكم آية واحدة (قوله لااجمال أو مخالفة ظاهر) هذا الكلام مع ماسبق يدل على انه (٤) يمكن ان تكون آية واحدة محكمة ومتشابهة بان تكون لااجمال فيها لكن فيها مخالفة الظاهر فتكون محكما باعتبار انه لااجمال فيها ومتشابهة باعتبار مخالفتها للظاهر وان قيل مافيه مخالفة ظاهر فلابد ان يكون فيه اجمال فنقول ينبغى ان يكتفى فى تعريف المتشابه بما فيه اجمال ولذا عرف فى الاصول المحكم بمتضح المعنى والمتشابه بما لايتضح معناه (قوله ولا يلزم منه معرفته الخ) فيه نظر لانه اذا اعتبر العدل لاجل ان القياس يقتضى ان يكون معدولا عن الآخر فيجب اعتبار التعريف لاجل ان القياس يقتضى ان يكون معدولا عن المعرفة والاولى ان يقال لايلزم تعريفه لانه كما عدل عن الصيغة عدل عن التعريف المتشابه الى التنكير (قوله أوطلب ان يؤولوه الخ) يشير الى ان الواو فى قوله تعالى وابتغاء تأويله بمعنى أو (قوله والاول الخ) أى ابتغاء الفتنة شأن العالم المعاند وابتغاء التأويل شأن الجاهل فان الحائم بما أول التأويل الباطل لايكون غرضه الفتنه بل ادعى انه على الحق (قوله الذى يجب ان يحمل عليه) لو قال يجب ان يحمل عليه أو على مثله لكان تاما اذ التأويل الذى ذكر فى المتشابه لايجب ان يحمل عليه بعينه بل يمكن فى بعض المواضع ان يؤول تأويلا آخر ويجب ان يقال ههنا مضاف مقدر أى تأويله الذى يجب ان يحمل على جنسه (قوله أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف الخ) ظاهر الكلام يدل على اختيار الوقف على قوله تعالى والراسخون فى العلم فيكون الراسخون فى العلم من الذين يعلمون تأويلها أيضا وهو الراجح من وجوه أما أولا فلانه اذا علم الراسخون التأويل كان أكثر فائدة من ان لايعلموه وأما ثانيا فلانه اذا وقف على الا الله وجعل قوله تعالى يقولون آمنا به خبرا عن الراسخين لم يكن لتخصيص الراسخين فى العلم كثير فائدة لان غير الراسخين فى العلم يقولون أيضا آمنا به وأما ثالثا فلانه على تقدير ماذكر فى الوجه الثانى لايكون لقوله تعالى وما يذكر الا أولوا الالباب كثير ملائمة لهذا الموقع وعورض بانه خلاف الظاهر من وجوه أحدها ان قوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ الخ يدل على ان

(العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من (الاجمال والاحتمال) (هن أم الكتاب) أصله يرد اليها غيرها والقياس أمهات فأفرد على تأويل كل واحدة أو على ان الكل بمنزلة آية واحدة (وأخر متشابهات) محتملات لايتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء و يزداد حرصهم على أن يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها و بين المحكمات معالى الدرجات وأما قوله تعالى الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه أنه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ وأخر جمع أخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه أن القياس أن يعرف ولم يعرف لانه فى معنى المعرف أو عن آخر من (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عدول عن الحق كالمبتدعة (فيتبعون ماتشابه منه) فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل (ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) وطلب أن يؤولوه على مايشتهونه و يحتمل أن يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين أو كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل (وما يعلم تأويله) الذى يجب أن يحمل عليه (الا الله والراسخون فى العلم) أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر

اتباع المتشابه مذموم وكذا ابتغاء تأويله والتوجيه الذى ذكره المصنف من ان المراد بالتأويل تأويل مخصوص خلاف الظاهر وثانيها أن أما فى قوله فأما الذين فى قلوبهم الخ يدل على وجود أما أخرى خصوصا فى القرآن المجيد ولذا قال بعضهم أما لا يوجد فى القرآن ومابعدها مرفوع الا يثنى أو يثلث وهذا يدل على ان التقدير وأما الراسخون فى العلم يقولون الآية وثالثها ان الذوق السليم يحكم بان الانسب ان يكون والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلام مستقل ورابعها ان قوله تعالى يقولون آمنا به أنسب بعدم فهمهم لمعانى المتشابه كما لا يخفى على المتأمل حال هذه الأمور ورجح الامام فى تفسيره الوقف على الا الله ويمكن ان يجاب عن الوجه الاول بان المذموم على ما يفهم من الكلام اتباع المتشابه لاجل ابتغاء الفتنة لا اتباعه مطلقا وعن الثانى بان اما الأخرى مع مافى حيزه مقدر أى فاما الذين ليس فى قلوبهم زيغ فلا يتبعون المتشابه لابتغاء الفتنة وعن الثالث بان الانسبية التى ذكرها انما تكون اذا لم يكن باعث على الحمل على خلافه وقد بينا الوجوه التى ترجح خلافه وعن الرابع انا لا نسلم ان الايمان أنسب بعدم فهمهم معنى المتشابه ولئن سلمنا فهذا يعارضه الوجوه المرجحة لخلافه (قوله أو بما دل القاطع الخ) فان قلت ما لا يدل النص

القاطع على ما هو المراد منه لا يلزم ان لا يعلمه

المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم أو خبر إن جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) أى كل من المتشابه والمحكم من عنده (وما يذكر الا أولو الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته أو أنها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما انه جواب عن قولهم لا أب له غير الله فتعين أن يكون هو أباه بانه تعالى مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون أب المصور (ربنا لا تزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) الى الحق او الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه وبعد نصب على الظرف وإذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى أن (وهب لنا من لدنك رحمة) تزلفنا اليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم أو لجزائه (لا ريب فيه) فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل

الراسخون لم لا يجوز ان يعلموا المراد بالنظر والبديهة قلنا مراده من القاطع ما يدل قطعا على المراد وان لم يكن بنص القرآن أو الحديث بل الدليل العقلى فهو يشمل النظر العقلى المحقق (قوله مدح للراسخين الخ) بدل على ما ذكرنا من ان مختاره الوقف على الراسخون فى العلم (قوله واتصال الآية بما قبلها الخ) يمكن ان يقال انه لما قيل انه تعالى عالم بكل شئ ويصور فى الارحام كيف يشاء ولا يخفى ان كيفية علمه بالاشياء وتصويره الاجنة مما لا يكاد أن يبلغه فهم أحد فكان من مشابهة المتشابه الذى معناه غير مفهوم بل نقول الحكم بانه تعالى عالم مناسب للحكمة من وجه أى من حيث الاطلاق ومناسب للمتشابه من حيث الكيفية فان كيفية علمه تعالى بالاشياء غير معلوم لاحد (قوله أو انها جواب عن تشبث النصارى الخ) أما وجه تشبث النصارى بما ذكر فهو انهم قالوا ان الكلمة التى هى اقنوم العلم من الاقانيم الثلاثة التى أثبتوها انتقلت الى بدن عيسى فيكون ربا وأما وجه الجواب عنه فهو ان الآية تدل على انه تعالى منزل العلوم الى من يشاء من عباده فهو الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الذى هو منبع العلم والمعارف فيكون كلمة الله عبارة عن افاضة العلوم الى عيسى ولا يلزم شئ مما ذكره النصارى (قوله بعد اذ هديتنا) لا يخفى ان اذ ههنا ليس للظرفية بل لمجرد الزمان فكان المعنى بعد زمان هدايتنا فما قال بعضهم من ان اذ واذا تلازم الظرفية ليس بقوى (قوله لكل سؤل) هذا العموم مفهوم من عدم ذكر الموهوب فالتخصيص بموهوب ومسؤل دون آخر تخصيص بلا مخصص كما قاله أهل العربية فى فلان يعطى انه حذف المفعول ليدل على أن لا اعطاء لغيره (قوله لا يجب عليه شئ) فى فهمه مما ذكر نوع خفاء فان كون الشخص وهابا لكل مسؤل لا ينافى أن يجب عليه شئ غاية الامر أنه يلزم أن لا يكون وهابا لذلك الشئ وقد يقال ان قوله انك أنت الوهاب يدل على أنه الوهاب لكل شئ ولكل نعمة فلا يجب عليه شئ والا لما كان واهبا

Waidi. Macdonald Development p. 129

لذلك الشئ الذى يجب عليه فتامل (قوله فان الالهية تنافيه) لان اخلاف الميعاد كذب مناف للكمال الذى هو مقتضى الالهية (قوله لون الخطاب) أى غير الكلام من الخطاب الى الغيبة ووجه اشعاره بالتعظيم تعليق الحكم بصريح اسم الله تعالى يعنى أن الالوهية منافية لاخلاف الميعاد فانجازه مما يهتم به فهو أمر عظيم ثم انه كالدليل والمدلول الصريحين فان الوهيته دليل على عدم اختلاف الميعاد لانه نقص والالوهية تقتضى الكمال من جميع الجهات (قوله واستدل به الوعيدية) أى المعتزلة على عدم رفع العذاب عن الفساق فانه تعالى أوعدهم بالعذاب وهو لا يخلف الميعاد (قوله تعالى شيأ) مفعول مطلق أى شئ من الاغناء ويمكن أن يكون مفعولا به أى لن تدفع عنهم بدل رحمة الله تعالى شيأ من العذاب فان رحمة الله تدفع العذاب اذ رفع العذاب لا يكون الا بالرحمة فالمعنى ان رحمة الله تدفع العذاب وأموالهم وأولادهم لا يكونان بدل الرحمة فى دفع العذاب (قوله وقيل استئناف) وعلى هذا يكون مبتدأ

(ان الله لا يخلف الميعاد) فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية وأجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران أو اليهود أو مشركو العرب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أى من رحمته أو طاعته على معنى البدلية أو من عذابه (وأولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله أى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم كما توقد باولئك أو استئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قد أو استئناف بتفسير حالهم أو خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) أى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك أصبت أغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على أن الامر بان يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية) الخطاب لقريش أو لليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا من ألف أو مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى أعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين

وكذبوا بآياتنا خبره وهو معنى قوله أو خبر ان ابتدأت الخ (قوله حال باضمار قد) ويكون ذو الحال والعامل فيها مستفادين من الكلام لان المعنى أولئك مشبهون بآل فرعون أو يكون الحال حالا من ضمير الفعل الذى هو صلة الذين (قوله اغمارا) بالغين المعجمة جمع غمر بضم الغين وسكون الميم وضمها وهو من لم يجرب الامور فيكون قوله لا علم لهم بالحرب كالبيان (قوله على أن الامر بان يحكى لهم الخ) يعنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يحكى ما أخبر الله به من وعيدهم بعين اللفظ الذى ذكره الله من حالهم فانه تعالى قال لنبيه ستغلبون وتحشرون الى جهنم وأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يذكر هذا اللفظ بعينه لهم وكأنه قيل قل ما أقول لك ستغلبون وتحشرون الى جهنم (قوله وقيل للمؤمنين) رجح أن يكون الخطاب للكفرة لانه اذا كان الخطاب لهم كانت الآية آية باعثة على اسلامهم واذا كان الخطاب للمؤمنين كانت موجبة لزيادة اعتقادهم لكن كون الآية آية للغرض الاول أقوى لان الاهتمام باسلام الكفرة أتم (قوله وذلك بعد ما قللهم فى أعينهم) الضمير الاول للمؤمنين والضمير الثانى للكافرين وكذا ضمير اجترؤا وضمير عليهم راجع الى المؤمنين والضمير الاول فى لاقوهم للمشركين والثانى للمؤمنين وقوله غلبوا يمكن أن يكون مبنيا للفاعل وضميره راجع الى المؤمنين ويكون مبنيا للمفعول فيكون راجعا الى الكفار (قوله أو يرى المؤمنون المشركين) الى قوله ويؤيده قراءة نافع ويعقوب فيه نظر فانه اذا كان معنى الكلام ما ذكر كان ينبغى أن يقال ترونهم مثليكم والعجب أن صاحب الكشاف صرح بان قراءة نافع لا تساعده هذا المعنى وذ زوافى

وكانوا

بيان عدم المساعدة أن خطاب لكم للمشركين فينبغي أن يكون خطاب ترونهم أيضا لهم حذرا من تغاير النظم ويمكن دفع هذا أي دفع عدم المساعدة بان قراءة نافع على تقدير أن يكون الخطاب في لكم للمؤمنين ودفع الاول بان يكون التفات من الخطاب الى الغيبة قال العلامة الطيبي لا يستقيم أن يكون المعنى ترون أيها المسلمون المشركين مثليهم لان المعنى على هذا مثل المشركين الا أن يكون التفاتا ثم نقل عن صاحب الانتصاف أنه قال الخطاب على قراءة نافع للمسلمين أي ترونهم يا مسلمون ويكون الضمير في مثليهم أيضا للمسلمين وهو لفظ غيبة والمعنى ترون أيها المسلمون المشركين مثليهم أي مثليكم وفيه التفات في جملة واحدة وهو وان كان صحيحا لكن غالب الالتفات يأتي في جملتين قال العلامة التفتازاني الخطاب لمشركي قريش فيكون الضمير في مثليهم للفئة الكافرة بطريق الغيبة لا للمخاطبين بترونهم ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى وأخرى كافرة ليست عبارة عن المخاطبين بقوله لكم

وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا (رأي العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما أيد أهل بدر (ان في ذلك) أي التقليل والتكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية أيضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لأولي الابصار) أي لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم (زين للناس حب الشهوات) أي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى أحببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أو لانه يكون وسيلة الى السعادة الأخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى أو لانه من أسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها أو المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحياة الدنيا) اشارة الى ما ذكر (والله عنده حسن المآب) أي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ما هو خير ويجوز أن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير (وأزواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع

بحيث يكون مقتضى الظاهر التعبير عنهما بطريق الخطاب ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة فاعلم أنه لا التفات في هذا الكلام أصلا أو لغرضه في قوله الحكم بكون المخاطبين بقوله تعالى لكم غير المراد بقوله تعالى وأخرى كافرة أن ليس القصد الى التعبير عن المخاطبة بالغيبة بل القصد الى أن الضمير المذكور بطريق الغيبة غير المذكور بطريق الخطاب وان كان المذكوران شيأ واحدا (قوله تعالى زين للناس الآية) الذي يخطر في فهمي القاصر أنه لما ذكر في الآية أمر الغزو والجهاد وكان من الممكن الواقع كثيرا أن المجاهد يجاهد لاجل نهب المال والنساء والخيل وغيرها دفع ذلك بان الامور المذكورة متاع الحياة الدنيا لابد من انقطاعها وعند الله الثواب الذي يبقى أبدا فينبغي أن يكون نظر المجاهد الى اعلاء الدين وطلب ثوابه لا لحصول الامور الدنيوية الدنيئة (قوله سماها شهوات) قال صاحب الكشاف الوجه في ذكر الشهوات ان يقصد خسيسها فتسمى شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها ولهذا قال المصنف ان الآية في معرض الذم (قوله تعالى والقناطير المقنطرة) معناه القناطير الكثيرة المتكاملة فان من عادة العرب أن يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه كقولهم ظل ظليل وانما خص المال الكثير بالذكر لان المال القليل يكون محمودا لان أمر المعاش مرتبط به (قوله أو المطهمة) هي التامة الخلق والمسومة بهذا المعنى كأنها مشتقة من السوم في البيع لان الحسن الخلق يسام كثيرا أو من السومة بمعنى العلامة لانها كأنها علم في الحسن (قوله وفرق الجبائي) فقال مزين الشهوات المباحة هو الله تعالى ومزين الشهوات المحرمة الشيطان (قوله تعالى ورضوان من الله) لعل الرضوان عبارة عن الفيوض المعنوية الفائضة على

الارواح ولهذا كان الرضوان أكبر وأعلى من الجنان التى هى عبارة عن الفيوض الصورية المتعلقة بالاجسام (قوله وأوسطها الجنة) ولذا وقع ذكرها فى الوسط حتى يكون الترتيب الوضعى مناسبا للترتيب الطبعى لأن المغفرة هى غير الذنب وهى وان كانت من المطالب العالية لكنها ليس باعظم منها مطلقا بل القرب من الله تعالى و رضوان منه أكبر وهو الفيض الروحانى كما فسرنا الآن يقال المراد من الاستغفار طلب ما يكون كمالا أو موجبا للابتهاج أعم من أن يكون مغفرة الذنوب أولا (قوله فى استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها) لا يلائم ذكر الاستحقاق بل الاولى الاقتصار على ذكر الاستعداد (قوله للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها) أى لولم يعطف لتوهم جعل بعضها صفة للبعض المتأخر للمقدم فكان المقيد والقيد مستقلا لا كل واحد ولما كان كل منها صفة كمال موجبة للمدح كان فيه اشارة الى كمالهم فيها اذ الناقص فى صفة لا يمدح بها بالاستقلال (قوله والنفس أصفى) لقلة ما يشوش النفس من الامور الخارجة و بعدها عما اختلج فيها فى النهار من الخواطر والوساوس الحاصلة من استماع كلمات الناس واجتماع الشخص معهم والاشتغال بالامور الدنيوية (قوله شبه ذلك) أى التبيين بالطريق المذكورة التى هى نصب الدلائل من الله تعالى واقرار الملائكة واحتجاج العلماء فى البيان والكشف بشهادة الشاهد يعنى ليس المراد من الشهادة معانى متعددة حتى يكون بمعنى التبيين بالنظر الى الله تعالى و بمعنى الاقرار بالنظر الى الملائكة و بمعنى التصديق بالنظر الى أولى العلوم بل معناها أى معنى الشهادة واحد بالنظر الى الكل وهو الكشف والتبيين شبه التبيين والكشف بشهادة الشاهد ثم استعير له لفظ الشهادة وانما لم يقدر لفظ شهد على الملائكة وأولى العلم ليكون كل بمعنى آخر ولا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى ولا الجمع بين المعنيين المجازيين لانه خلاف الظاهر مع الاستغناء بالمجاز المشهور المستفيض وفى كلامه شيء وهو أنه يفهم من أول كلامه وهو قوله بين وحدانيته الخ أى شهد بمعنى بين فيكون البيان أحد طرفى التشبيه وقوله فى البيان والكشف صريح فى أن البيان وجه الشبه لا طرف التشبيه لو قال شبه بذلك فى لزوم التيقن والانكشاف بشهادة المشاهد اندفع الايراد واعلم أنه لا يظهر وجه تخصيص الاقرار بالملائكة والايمان بالمؤمنين بل الاقرار واقع من كل منهما فلذا قال صاحب الكشاف ولذلك شبه بشهادة الشاهد اقرار الملائكة وأولى العلم واحتجاجهم عليه وأما الاحتجاج فكما أنه واقع من المؤمنين يمكن وقوعه من الملائكة اذ ليس فى الشرع ما يأبى الاستدلال لكن لما كان الاحتجاج منهم غير ظاهر خصه بالعلماء (قوله أى مقيما للعدل) فتكون الباء للتعدية (قوله أو عن هو) قال صاحب الكشاف هو أوجه أى انتصابه حالا عن هو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد لانه أقرب وأدل على المقصود الذى هو دخول القيام بالقسط تحت الشهادة لانه اذا كان حالا عن ضمير هو كان التوجيه مع قيده الذى هو الحال مشهودا به بخلاف ما اذا كان حالا من فاعل شهد فليست الشهادة واقعة عليه وأشار المصنف بقوله وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة للاله أو حالا عن الضمير أى اذا جعل حالا عنه كان المعنى شهد الله أنه لا اله الا هو أى شهد الله

القرآن بضم الراء ماخلا الحرف الثانى فى المائدة وهو قوله تعالى رضوانه سبل السلام بكسر الراء وهما لغتان (والله بصير بالعباد) أى باعمالهم فيثيب المحسن و يعاقب المسيء أو باحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى إما توسل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولى وهو الصدق وإما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الانفاق فى سبل الخير وأما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (شهد الله انه لا اله الا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (وأولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو من هو

والعامل

بتوحيده حال كونه قائماً بالقسط وكأنه قيل شهد بالتوحيد و بكونه قائماً بالقسط بخلاف ما اذا كان حالاً عن فاعل شهد فان القيام حال الفاعل الشاهد وليس بداخل فى المشهود به وقس عليه حاله اذا جعل قائماً صفة لاله (قوله مؤكدة) اذ مفهوم الحال معلوم من الكلام السابق فان الله الذى لااله الا هو لابد أن يكون قائماً بالقسط (قوله ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد) فان قلت المفهوم من التكرير المذكور مزيد الاعتناء بالتوحيد نفسه لا بادلته قلنا لا يعرف التوحيد الا من الادلة فمزيد الاعتناء بالتوحيد موجب لمزيد الاعتناء بادلته (قوله والحكم به بعد اقامة الحجة) وهى شهادة الله تعالى وملائكته وأولى العلم (قوله لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته) لان الحكمة فعل الشئ على ما ينبغى ففى أول الحال علم نفس الفعل ثم بعد التأمل فيه ظهرت الحكمة (قوله أو الصفة لفاعل شهد) هذا خلاف ما تقرر عندهم من تقدم النعت على المعطوف ولذا لما قال صاحب الكشاف العزيز الحكيم صفتان قال العلامة التفتازانى يعنى الصفة المعنوية لا النعت النحوى وقرران رفعهما بالبدلية أو بكونهما خبر مبتدأ محذوف (قوله وقد روى فى فضلها) أى فى فضل الشهادة والعهد المذكوران من شهد بالوحدانية يدخل الجنة (قوله وهى دليل الخ) أى

والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد قائماً أو أحقه لانها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل عن هو أو الخبر لمحذوف (لااله الا هو) كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى أى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الاسلام بالايمان أو بما يتضمنه و بدل اشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ إنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما أو اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو فى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى أمر عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءهم العلم) أى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسداً بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء

الشهادة أى فضلها دليل على شرف علم الكلام اذ التوحيد اعما يعلم منه (قوله على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان أو بما يتضمنه) لا يخفى ان الايمان هو تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى ضروريات الدين وعلى هذا لا يكون بدل الكل لان ماذكر سابقا هو التوحيد والايمان ليس نفسه بل يشمله وغيره وكذا اذا فسر الاسلام بما يشمل الايمان وغيره اذ على هذا التقدير زاد العموم والشمول فاعلم أن صاحب الكشاف قال بالبدلية على تقدير فتح ان الكن لم يذكر انه بدل

الكل ولعل سببه ماذكرنا فان قلت انه صرح بما ذكرتم قال والبدل هو المبدل منه فى المعنى فيكون مراده بعين البدل بدل الكل لانه المبدل منه قلنا قال العلامة التفتازانى اما ان بدل الكل عين المبدل فظاهر واما كون بدل الاشتمال كذلك فباعتبار انه المقصود بالنسبة الى المبدل منه والمحكوم عليه بالحكم عليه فعلم منه ان كلام الكشاف ليس مخصوصا ببدل الكل فتأمل (قوله و بدل اشتمال ان فسر بالشريعة) وتكون الشريعة هى القواعد المبينة للاعمال اذ لو أريد بها أعم منها بحيث تكون شاملة للعقائد أيضا لكان المبدل منه الذى هو التوحيد جزأ منه فلم يكن بدل الاشتمال وههنا شئ وهو ان الرضى ذكر ان بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وههنا ليس كذلك (قوله على وقوع الفعل على الثانى) بأن يجعل ان الدين عند الله الاسلام مفعول شهد و يكون التقدير شهد الله ان الدين عنده الاسلام (قوله أو اجراء شهد الخ) فيكون ان المكسورة بالاعتبار الاول والمفتوحة بالاعتبار الثانى وكلامه صريح فى جواز الاعتبارين لكلمة واحدة فى تركيب واحد لكن ظاهر كلام

الكشاف يقتضى منعه لانه اقتصر على ايقاع شهد على الدين ولم يذكر هذا الاحتمال (قوله وهو الدين القويم الخ) فيه انه يفهم منه ان الدين القويم هو مجرد التوحيد وليس كذلك بل الدين القويم هو المركب منه ومن غيره مما يجب الايمان به و يمكن ان يقال اسلام النفس فيه عبارة عن ان لايجعل للشيطان والهوى نصيبا فيها وهذا متضمن للايمان بكل مايجب به الايمان فصح انه الدين القويم (قوله أومفعول معه) فان قيل يجب فى المفعول معه ان يكون تعلق الحكم به و بالمصاحب فى وقت واحد لكن تعلق الفعل المذكور وهو اسلام النفس بالفاعل وهو النبى صلى الله عليه وسلم مقدم على تعلقه بمن تبعه قلنا يجب فى المفعول معه ان يكون تعلق الفعل به و بصاحبه حاصلا فى وقت سواء كان التعلق الثانى حاصلا مع الاول أيضا أولا (قوله وهم رضوابه) الضمير راجع الى الذين فى عصره و يفهم منه ان يقتلون بمعنى يرضون بالقتل والباعث عليه الحكم بان الخطاب فى قوله تعالى فبشرهم لأجل المعاصرين (قوله كقولك زيد فافهم الخ) فان قيل ماهذه الفاء قلنا جزائية والتقدير واذا كان ماذكرنا فافهم فان قوله فافهم مؤخر عن الجملة بحسب التقدير اذهو فى معنى قولك زيد رجل صالح فافهم (قوله والفرق انه لايغير معنى الابتداء بخلافهما) الاولى ان يقال انه لايغير معنى الجملة من الحكم بثبوت الخبر على المبتدأ بخلافهما لكن الثبوت المذكور مناسب لمعنى الشرط وهو لايوجد فى الجملة المذكورة بعدهما فلذا امتنعا من دخول الفاء (قوله تعالى وماهم من ناصرين) فان قيل الاولى ان يقال وماهم من ناصر ليفيد عموم النفى أى ليس لهم ناصر أصلا فضلا عن ناصرين قلنا النكتة فيه الاشعار بان نصر الجماعة لايحصل الامن جماعة لامن واحد هذا اذا كانت من زائدة واما اذا كانت تبعيضية وهو المفهوم من شرح عبارته فلا حاجة الى التوجيه المذكور (قوله ومن للتبعيض أوالبيان) اذا كانت من للبيان يجوز ان يحمل الكتاب على الوجهين المذكورين واما اذا كانت للتبعيض فيجب ان يحمل الكتاب على التوراة لاجنس الكتب السماوية لان من التبعيضية توجب ان يكون ماقبلها جزأ من مجرورها لاجزئيا له لكن النصيب من جنس الكتب السماوية جزئى له لاجزؤه يحتمل التعظيم والتحقير فالاول ان يعطوا نصيبا وافرا من التوراة والثانى ان يعطوا شيأ قليلا لكن الاول أنسب بهذا المقام لان المقام مقام التوبيخ وهو يناسب العلم الكثير فكانه قيل انهم مع كثرة علمهم بما فى التوراة فعلوا ماهو شأن الجهال ولذا اقتصر صاحب الكشاف عليه (قوله وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما

فى الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فانْ حاجوك) فى الدين أوجادلوك فيه بعدما أقمت الحجج (فقل أسلمت وجهى لله) أخلصت نفسى وجملتى له لاأشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبّر بالوجه عن النفس لانه أشرف الاعضاء الظاهرة ومَظْهَر القُوى والحواسّ (ومن اتبعن) عطفٌ على التاء فى أسلمت وحَسُنَ للفصل أومفعولٌ معه (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين) الذين لاكتاب لهم كمشركي العرب (أأسلمتم) كماأسلمتُ لمّاوضّحت لكم الحجة أم أنتم بعدُ على كفركم ونظيرُه قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة أوالمعاندة (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم بان أخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أى فلم يضرّوك اذ ماعليك إلّا أن تبلّغ وقد بلّغتَ (والله بصير بالعباد) وعد و وعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) هم أهل الكتاب الذين فى عصره عليه السلام قَتَلَ أوّلوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوابه وقصدوا قتل النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقدسبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة و يُقاتِلون الذين وقدمنع سيبويه ادخال الفاء فى خبرِ إنّ كليْتَ ولعلّ ولذلك قيل الخبرُ (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) كقولك زيدٌ فَافْهَم رجلٌ صالحٌ والفرقُ أنه لايغيّر معنى الابتداءِ بخلافِهما (وماهم من ناصرين) يَدْفع عنهم العذاب (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى التوراة أوجنس الكتب السماويّة ومِنْ للتبعيضِ أوللبيانِ وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن أوالتوراة لمارُوى أنه عليه الصلاة والسلام دخل مِدْراسَهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بنُ زيد على أيِّ دينٍ أنت فقال على دين ابراهيم فقالا له إنّ ابراهيم كان يهوديّا فقال هلمّوا الى التوراة فانها بيننا و بينكم فأبَيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ لِيُحْكَمَ على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيمابينهم وفيه دليل على أنّ الأدلّة السمعيّة حجّة فى الاصول

بينهم) ظاهر العبارة مشعر بان كون الاختلاف فيما بينهم مترتب على القراءة المذكورة لكن مفهوم الآية دال على ذلك على كل قراءة فان بينهم دال على وقوع الاختلاف بين اليهود وهم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وقد وقع فى هذا الوهم من عبارة الكشاف فانه قال وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ماوقع من الاختلاف بين من سلم من أحبارهم و بين من لم يسلم هذا كلام الكشاف ولما ذكر الوجه المذكور بعد قوله وقرئ توهم المصنف انه متفرع على القراءة المذكورة فقال فيكون الاختلاف فيما بينهم بالفاء وليس كذلك والحق ماقاله العلامة التفتازانى من ان معنى كلام الكشاف ان الوجه فى تفسير الآية ان لايراد ماسبق من الاختلاف بين اليهود والرسول فى ملة ابراهيم أو فى الرجم بل يراد اختلاف يقع بينهم بدليل قوله ليحكم بينهم (قوله استبعاد لتوليهم) مستفاد من ثم لان ثم للتراخى بين الشيئين وهو دال على بعد ما بينهما فاستعمل للاستبعاد (قوله وفيه دليل الخ) هذا مستنبط من اطلاق القول بان الكتاب حاكم وهذا اذا كان المراد غير الرجم واما اذا كان المراد اياه فيثبت كونها حجة فى الفروع (قوله لان توفية ايمانه وعمله الخ) هذا دليل على عدم

الخلود ورد للمعتزلة ولهم ان يقولوا توفية ايمانهم وعملهم بتخفيف العذاب فى النار (قوله الا تحلة القسم) أى الا تصديق قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (قوله كدخولها عليه مع لام التعريف) أى دخول ماعليه مع لام التعريف فى يا الله (قوله وقيل أصله ياالله أمنا بخير) أى دلنا بخير هذا قول الكوفيين وهو ضعيف لانه لايصح ماذكروه فى مثل قول القائل اللهم العنه واهلكه (قوله يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك) فان قيل الاولى

(ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الإعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة 23 (ذلك) اشارة الى التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من أن النار لن تمسهم الا أياما قلائل أو ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم أو انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لايعذب أولاده الا تحلة القسم 24 (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات روى ان أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لاتحبط وأن المؤمن لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها (وهم لايظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان 25 (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله ياالله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منه ماتشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق

حذف هذا القيد فانه تعالى يتصرف فى الاشياء كماشاء لا كتصرف الملاك فانهم يتصرفون تصرفات مخصوصة لا يمكن لهم غيرها اما عقلا أو شرعا قلنا المراد انه تعالى يتصرف تصرف الملاك من حيث انه لامانع له من التصرف بل يتصرف بالحق بخلاف غير المالك فانه ممنوع منه فان قيل هذا الكلام مطابقا لكلام الكشاف يقتضى التشبيه وهو ان تصرفه تعالى كتصرف الملاك والمشبه به يجب ان يكون أقوى وليس ههنا كذلك قلنا قد لايكون وجه الشبه به فى المشبه أتم بل قد يكون أظهر وههنا كذلك فان تصرف الملاك أظهر من حيث انه محسوس ولو قيل المعنى انه مالك الملك لامالك غيره فى الحقيقة حتى لا يكون تشبيه بالملاك لكان أولى وهذا الاختصاص هو مفهوم قوله تعالى ولله ملك السموات والارض (قوله فان الميم عنده تمنع الوصفية) يعنى ان التصرف المذكور يمنع كون اللهم موصوفا قال العلامة التفتازانى لانه بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا فيه فصار مثل حيل٧ اذ الميم بمنزلة صوت مضموم الى اسم مع بقائهما على معنييهما وجوز قوم كونه صفة أقول لايجوز ان يكون صفة للميم المشددة لانه صوت ولا ان يكون صفة الله اذ لو وصف به لزم الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبى الذى هو الميم وقول المصنف عنده الخ يشير الى ان غيره ذهب الى جواز كونه موصوفا (قوله فالملك الاول عام الخ) لانه تعالى مالك جميع

الملك واما ايتاء الملك لاحد ونزعه منه فانما يكونان فى البعض (قوله لانه المقضى بالذات الخ) هذا انسب بكلام الفلاسفة فانهم
ذكروا ان الخير مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض فان النار مثلا خلقت للنفع واما احراقها لبيت الفقير فانما يقع بالعرض
وفى المواقف وشرحه قالت الفلاسفة الخير واقع بالقصد الاول والشر داخل فى القضاء دخولا بالتبع والعرض (قوله اذ لا يوجد شر
جزئى الخ) ماذكر لا يلزم منه ان يكون الشر مقصودا بالعرض لم لا يجوز ان يكون الجزئى مقصودا بالذات أيضا الا ان يدعى البداهة
فى المدعى المذكور ويجعل ماذكر تنبيها عليه (قوله أولان الكلام وقع فيه الخ) فانه يفهم من القصة المذكورة

والخذلان (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضىّ بالذات والشرّ مقضىّ بالعرض اذ لا يوجد شرّ جزئىّ مالم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الادب فى الخطاب أو لان الكلام وقع فيه اذ روى أنه عليه السلام لما خطّ الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجّهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منه ما بين لابتيها لكأن بها مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبّر وكبّر معه المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى منها قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام انّ أمّتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبّه على انّ الشرّ أيضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير 26 (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحىّ من الميّت وتخرج الميّت من الحىّ وترزق من تشاء بغير حساب) عقّب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أنّ من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص واخراج الحىّ من الميّت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادّها واماتتها أو انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميْت بالتخفيف 27 (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبّهم وبغضهم الا فى الله أو عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) اشارة الى أنهم الأحقاء بالموالاة وانّ فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) أى اتخاذهم أولياء (فليس من الله فى شئ) أى من ولايته فى شئ يصحّ أن يسمّى ولاية فانّ موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال

تودّ عدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدّى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقيّة منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم

ان الله تعالى يؤتى البلاد المذكورة لأمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو الخير أى الايتاء المذكور الخير الذى يساق الى المؤمنين (قوله لابتيها) أى لابتى المدينة وهما حرتان يكتنفانها والحرة كل أرض ذات حجارة سود كأنها محترقة من الحر والحيرة بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة وتشبيه القصور بأنياب الكلاب فى بياضها وصغرها وانضمام بعضها الى بعض (قوله بالتعقيب أو الزيادة أو النقص) فالأول دخول ابتداء ضوء النهار فى ظلمة الليل أو دخول بدو ظلمة الليل فى ضوء النهار والثانى ان يزيد اليوم فى الطول فصار بعض زمان الليل داخلا فى النهار أو يزيد الليل فى الطول فصار بعض النهار أى بعض زمانه داخلا فى الليل (قوله تعالى من دون المؤمنين) الذى يخطر لى فى حل هذا التركيب والله أعلم ان المعنى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء كائنين من غير المؤمنين أى حال كونهم على الله

الكفر فعلم ان الكفر مانع عن الولاية وان الايمان يستوجبها وقال العلامة التفتازانى حاصل المعنى لا تؤثروا موالاة الكافرين على موالاة المؤمنين أقول فان قيل هذا لا ينفى المشاركة بان يكون موالاة المؤمنين والكافرين معا قلنا لما أمكن ان يكون الموالاة كلها للمؤمنين فجعل بعضها للكافرين يستلزم ايثار ولاية الكافرين على المؤمنين (قوله ما يجب اتقاؤه أو اتقاء) فعلى الاول تقاة مصدر بمعنى المفعول وعلى الثانى مفعول مطلق (قوله كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا) أى كن وسطا فى معاشرتهم

الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) أى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها أو تبدوها (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود أى تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرره للتأكيد والتذكير (والله رؤف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو انه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته ويخشى عذابه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر أى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى أقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فإن تتولوا

ومخالطتهم وامش جانبا من موافقتهم فيما يأتون ويذرون (قوله وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهى فى القبح) هذا الاشعار بسبب تعليق التحذير بذات الله تعالى من غير ذكر صفة معينة من الصفات كالقهر مثلا فان الذات المقدسة دالة على جميع صفات القهر واما اذا ذكر صفة معينة فلا يكون هذا الاشعار (قوله تعالى أو تبدوه) فان قلت وجه ذكر العلم بخفيات الضمير ظاهر فما وجه ذكر العلم بما يبدو ويظهر منها قلنا الغرض من ذكره ان علمه تعالى بما خفى وما ظهر فى مرتبة واحدة ليس بينهما تفاوت كل منهما ظاهر عنده كما هو (قوله ولا يصح ان يكون ما شرطية) فان للعلامة التفتازانى عليه اعتراضا مشهورا وهو انه اذا كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين ان الشرطية وأسماء الشرط وقد يجاب بان رفع المضارع فى الجزاء شئ ذكر فيه فى الشعر نص عليه المبرد وشهد به الاستعمال حيث لا يوجد الا فى قول الشاعر

فان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

(قوله ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى الخ) قال العلامة التفتازانى لان الكلام المذكور حكاية ما يقع فى اليوم المذكور ولو حمل ما على الشرطية لزم ان يكون عملت مستقبلا بالنسبة الى ذلك اليوم لكن ليس عمل فى استقبال ذلك اليوم فان قيل هذا يوجب عدم صحة الشرطية ووجوب كونها موصولة لا كونها أوفق قلنا يمكن دفع لزوم الاستقبال بتقدير كان فان كلمات الشرط لا تقلب كان عن الماضوية فيصير المعنى وما كان عملت أى عملت سابقا أى فى الدنيا تود الخ (قوله بحيث يحملها على ما يقربها اليه) توضيحه ان لميل النفس الى الكمال مراتب فى الضعف والقوة فما دام الميل المذكور ضعيفا لم يصل الى ان يحمل الشخص على ما يقربه الى الشئ الكامل لم يسم حبا (قوله من الله وبالله والى الله) يعنى حدوثه من الله تعالى وبقاؤه به وانتهاؤه اليه بمعنى انه فى الحقيقة كمال له تعالى باعتبار ذاته أى الكمال دال على عظمته تعالى (قوله لم يكن حبه الا لله وفى الله) أى يكون حبه مختصا بالله تعالى حقيقة لا يكون لغيره اشتراك معه فيه وحبه فى الله تعالى عبارة عن ان يكون الحب فى رضاه فيؤل الى الاول (قوله على طريق الاستعارة أو المقابلة) وجه الاول بان الرضى شبه بالحب لانه ترك الاعتراض وهو موجب فى الجملة للقرب الى الشئ الموصل الى الحب فيشتركان فى استلزام القرب

وكذا فى ايصال النفع فاستعير المحبة للرضا فى الاول بأن يقال ان المحبة مستلزمة للرضا فيكون استعمالها فيه مجازا مرسلا ولعل هذا مراده من الاستعارة فان المجاز المرسل أيضا استعارة لغوية ووجه الثانى ان الرضى وقع فى الآية مقابلا للمحبة المذكورة سابقا فعبر عنه بلفظ المحبة للمشاكلة فان قيل على هذا التقدير أيضا تكون المحبة مجازا اذ لا يخفى ان المراد بها غير معناها الحقيقى فما وجه جعله مقابلا للاستعارة قلنا لفظ المحبة وان كان مجازا على التقديرين لكن الاعتبار مختلف فبالاعتبار الاول يكون استعمالها فى الرضى للمشابهة وعلى الثانى يكون استعمالها فيه باعتبار المصاحبة واعلم ان ظاهر كلامه يدل على ان مجموع ماذكر من قوله أى يرضى عنكم الى قوله يبوئكم فى جوار قدسه معنى قوله تعالى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم لكن ليس كذلك بل معنى الاول يرضى عنكم

(فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين (30) (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازار بن أبى يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن أحاز ابن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد ابن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (ذرية بعضها من بعض) حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت (والله سميع عليم) بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها (31) (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى) فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبيناهى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير أو طلبت ذكرا (محررا) معتقا لخدمته لا أشغله بشئ أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال (فتقبل منى) مانذرته (انك أنت السميع العليم) لقولى ونيتى (فلما وضعتها قالت رب

ومعنى الثانى يتجاوز عما فرط منكم واما كشف الحجب والتقريب فى جناب العز فهما الازمان لماذكر متفرعان عليه (قوله وانه من هذه الحيثية) أى التولى من حيث انه كفر فتكون النكتة فى العدول عن المضمر الى المظهر ذريعة ٧ (قوله تعالى وآل عمران) فان قيل آل عمران داخل فى آل ابراهيم فما وجه ذكرهم صريحا بعد ان كانوا داخلين فى آل ابراهيم قلنا ذكرهم لان يعرف العالمون شرف آل عمران وليس التخصيص بعد التعميم لزيادة الشرف كيف ونبينا سيد العالمين صلوات الله وسلامه عليه داخل فى آل ابراهيم عليهم السلام (قوله فينصب به) أى ينتصب بعلم (قوله وكان لعمران بن يصهر الخ) أى كان لعمران أبى موسى عليه الصلاة والسلام بنت أكبر اى من هرون أخى موسى فظن بعض المفسرين ان المراد من عمران عمران بن يصهر وبنته مريم وزوجته هى التى ولدتها وهذا الظن فاسد لأن صريح القرآن دال على ان لزكرياء كفالة مريم فان قيل لعل زكريا آخر كان فى ذلك الزمان وله كفالة مريم أخت موسى قلنا زكرياء هو أبو يحيى وهو فى زمان عيسى كما استفيد من القرآن ولم يوجد شخص سمى يحيى قبله كما قال تعالى لم نجعل له من قبل سميا (قوله فلعلها بنت الامر على التقدير أو طلبت ذكرا) توضيح الاول انها قالت انى نذرت لك مافى بطنى محررا ان كان وتوجيه الثانى انها أرادت بالعبارة المذكورة وهى قوله تعالى انى نذرت لك مافى بطنى محررا طلب الولد الذكر فكان المقصود ههنا ارزقنى ولدا ذكرا حتى يكون خادما لبيت المقدس (قوله ونصبه على الحال) فيه ان النذر لابد له من متعلق هو فعل الناذر وهو ههنا جعله محررا فذكر محررا بعده

وجعله حالا يفرع تكرارا فالاولى مانقله العلامة النيسابورى عن ابن قتيبة ان معناه نذرت لك ان أجعل مافى بطنى محررا وعلى هذا يكون محررا مفعولا ثانيا لاجعل و يكون ان اجعل متعلق معنى النذر (قوله لان تأنيثها علم منه) أى تأنيث مافى البطن علم من الحال المذكور اذ لولم يذكر لم يعلم من تأنيث الضمير جزما انها أنثى اذ يمكن ان يكون المرجع مذكرا وتأنيث الضمير باعتبار النفس أو التسمية أو غيرها (قوله وانما قالته تحسرا الخ) أى ليس المراد من قولها رب انى وضعتها أنثى الاخبار بمفهومه اذ لا فائدة فيه بل المراد اظهار التحسر والتحزن باظهار فوات المقصود الذى هو تحرير الولد الذكر فان قيل كما علم المخاطب ماذكر علم أيضا تحسرها اذ لا يخفى عليه تعالى خافية فات المقصود من الاظهار المذكور طلب رحمة من الله تعالى بقبولها مكان الولد الذكر كما قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن (قوله تعالى رب انى وضعتها أنثى) فان قيل قد تقرر فى العربية ان ان لدفع الانكار التحقيقى أو التقديرى ولا انكار ههنا حتى يدفع قلنا نقل فى المطول عن عبد القاهر انه قال قد يدخل للدلالة على ان الظن كان من المتكلم فى الذى كان أنه لا يكون وعليه رب انى وضعتها أنثى ورب ان قومى كذبون ولقد أحسن بعض أهل العربية حيث قال يجوز ايراد ان على الجملة لاظهار المقصود على وجه التأكيد فيكون قوله تعالى انك أنت السميع وكذا قوله فى مريم وانى أعيذها بك من هذا للتنبيه قبيل اظهار المقصود على وجه التأكيد (قوله تعالى رب انى نذرت لك الخ) ظاهر هذه العبارة دال على ان النذر كان بعد الحمل لكن النذر المحكى عن أم مريم كان قبل الحمل فاماان يؤول قوله انى نذرت لك مافى بطنى واماان يقال ان النذر تكرر منها اما قبل الحمل فبالطريق المذكور فى التفسير واما بعد الحمل فبالطريق الذى حكى عنها فى القرآن (قوله وهو استئناف) أى كلام مستقل من الله تعالى لانه تحت القول حكاية عن أم مريم (قوله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها) أى تعظيما لموضوعها الذى هو مريم وتجهيلا لامها بشأنها اشعار بان لها شأنا عظيما

انى وضعتها أنثى) الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله أعلم بما وضعت) أى بالشئ الذى وضعت هو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم و يعقوب وضعتُ على أنه من كلامها تسلية لنفسها أى ولعل لله سبحانه وتعالى فيه سرا أو الانثى كانت خيرا وقرئ وضعتِ على انه خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى) بيان لقوله والله أعلم أى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على ماقبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لأن يعصمها و يصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة (وانى أعيذها بك) أجيرها بحفظك (وذريتها من

(قوله أى لعل لله فيه سرا) وهو كونها أما لعيسى من غير أب وهو مظهر المعجزات العظيمة (قوله بيان لقوله والله أعلم بما وضعت) باعتبار انه كقوله والله أعلم بما وضعت على ماذكره يدل على تعظيم شأن المولود لان المقصود من قوله تعالى ليس الذكر كالانثى انه ليس الذكر الذى طلبته كالانثى التى وهبت لها لان لها شأنا عظيما لم يحصل للذكر وهو كونها أم عيسى والجملة الثانية مبينة للغرض من الاولى (قوله أى وليس الذكر الذى طلبت) الى قوله فيكون اللام للجنس حاصل قوله انه اذا كان الكلام المذكور قول الله تعالى كان اللام فى الكلمتين للعهد لأن الذكر فهم من الكلام السابق وهو التحرير والانثى ذكرت صريحا واما اذا كان المذكور كلام أم مريم كان اللام فيها للجنس والفرق انه على التقدير الاول كان المتكلم وهو الله تعالى عالما بشأن الانثى التى وضعت فيحسن ان تجعل اللام للعهد والانثى عبارة عن أنثى مخصوصة ويكون المعنى ليس الذكر الذى طلبته أم مريم كالانثى التى وهبت لها لان لها شأنا عظيما واما اذا كان المتكلم أم مريم وهى لم تعلم شأنها فلا يحسن ان يكون معنى كلامها ان ليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت بل الوجه ان يكون المعنى ليس جنس الذكر الذى طلبت كجنس الانثى التى وهبت اذ المقصود خدمة بيت المقدس والذكور مشتركون فى صلاحيته دون الاناث فارادة الانثى المخصوصة ليس بذلك الحسن ولقد أحسن فى هذا التفصيل الذى غفل عنه صاحب الكشاف والله الموفق (قوله وما بينهما اعتراض) فان قيل ما بينهما كلام الله تعالى وهما كلام أم مريم ولا يكون كلام متكلم معترضا بين كلامى متكلم آخر قلنا هما أيضا من كلام الله تعالى وان كان حكاية عن أم مريم (قوله وفيه دليل الخ) لان المسمى هو المفعول الاول والاسم المفعول الثانى وهما متغايران والا لزم جعل الشئ نفسه وصيرورة الكلام بلا فائدة ولما كانت التسمية

فعل المتكلم يجب ان يكون مغايرا للاسم والمسمى اذ هما ليس بفعل المتكلم (قوله ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود الخ)
قلد فى هذا التفسير صاحب الكشاف ولاباعث على تغيير الحديث من الظاهر اذ لامانع من مس الشيطان للمولود واستهلاله صارخا
ان معنى الحديث على ماذكره ان مس الشيطان للمولود استعارة شبه حالة الشيطان فى قصد الاغواء بحال من يمس الشئ باليد وتعيينه
لما يريد به وفيه ان قصد الشيطان الاغواء لايوجب استهلالا وصراخة الا ان يراد بالاستهلال غير المعنى الظاهر منه فان قيل استهلال
الولد يكون أول زمان الوضع والاعاذة المذكورة انما كانت بعد الوضع وبعد قولها انى وضعتها أنثى و بعد التسمية فكيف تكون الاعاذة
مانعة من مس الشيطان واغوائه قلنا الواو لاتفيد الترتيب فلعل الاعاذة متقدمة على القولين المذكورين وان كانت مذكورة بعدها
فان قلت لم قالت وانى سميتها مريم وقالت أعيذها بلفظ المضارع قلنا الافادة استمرار الاعاذة كانها قالت أعيذها فى

الشيطان الرجيم) المطرود وأصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى
إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
(فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) أى بوجه حسن يقبل به
النذائر وهو اقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روى أن حنة
لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا
فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير
مضاف أى بذى قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل أى فاخذها فى أول
أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع
أحوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى
رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أى الغرفة التى
بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت
فى أشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى أنه كان
لايدخل عليها غيره واذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف
و بالعكس (قال يامريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير أوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه
(قالت هو من عند الله) فلا تستبعده وقيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط
وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته

كل زمان مستقبل (قوله فان الله تعالى عصمها الخ) هذا اشارة الى جواب سؤال يتوهم من الحديث المذكور وهو انه يلزم منه شرف عيسى وأمه على العالمين سيما المرسلين وليس كذلك فأجاب بان العصمة لا لشرفهما عليهم بل ببركة الاعاذة المذكورة ومع قطع النظر عما ذكر لايلزم شرفهما عليه اذ جهات الشرف كثيرة غاية الأمر ان لهما كمالا خاصا ليس لغيرهما (قوله بوجه حسن الخ) لما كان القبول مصدرا كان الظاهر ان يكون الكلام فتقبلها ربها قبولا حسنا فيجب ذكر وجه الباء ههنا فوجه أولا بان يراد بالقبول ما يقبل به الشئ وهو مايكون منشأ التعلق بالاختصاص
وعبر عنه بالوجه فتكون الباء للسببية وثانيا بان يقدر مضاف أى فتقبلها ربها بذى قبول حسن وهو منشأ او
الاختصاص المذكور وثالثا بان جوز ان يكون تقبل بمعنى استقبل بالمعنى الذى ذكره فتكون الباء صلة (قوله لأنه محل محاربة
الشيطان) قيل يفهم منه ان اسم المكان يجيء على مفعال ولو على الشذوذ والاولى ان يقال لما كان هذا الموضع محل محاربة الشيطان
فكان المصلى جعله آلة حربه معه (قوله جواب كلما وناصبه) صريح فى ان العامل فى كلمة الشرط التى هى كلما الجزاء وقد صرح
الرضى بخلافه وقال العامل فى كل ظرف فيه معنى الشرط الشرط على ماقاله الاكثرون ولايجوز ان يكون جزاءه على ماقال بعضهم
ولو جاز عمل الجزاء فى أداة الشرط لقلنا الشرط أولى لانهما فعلان توجها الى شئ والاقرب أولى بالعمل (قوله وجعل ذلك معجزة لزكريا
الخ) فيه ان الكلام المذكور لايستلزم اشتباه الأمر عليه اذ يجوز ان يكون الاستفهام لتحقيق ان مريم تعلم مع صغرها من أين لها
الرزق أم لا والعجب انه نقل هذه العبارة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه يعلم حقيقة الأمر ولا اشتباه عليه

(قوله أو بغير استحقاق تفضلا به) فان قيل تفسير الحساب بالاستحقاق لا يظهر وجهه قلنا لا استحقاق ان يكون كل رزق بسبب عمل من الاعمال فكان كل رزق مقابلا لعمل وهذا نوع من الحساب فان محصوله ان يكون أعداد الارزاق فى مقابلة أعداد الاعمال (قوله أى من جنسهم الخ) الظاهر انه أراد بالملائكة واحدا منها فيكون من

قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء مجازا

أو بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله تعالى روى أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) فى ذلك المكان أو الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) أى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلى فى المحراب) أى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير فى قائم (أن الله يبشرك بيحيى) أى بأن الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم أعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أى بعيسى عليه السلام سمى بذلك لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر أو بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى أنه ماهم بمعصية قط (وحصورا) مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى أنه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ماللعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة (قال رب أنى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه (وقد بلغنى الكبر) أدركنى كبر السن وأثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة (وامرأتى عاقر) لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) أى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام) اى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب

والمفهوم من كلام صاحب الكشاف ان المراد جنس الملائكة فيكون الجمع المحلى باللام بمعنى الجنس لا الاستغراق على ماذكره فى مواضع من الكشاف ولا يخفى ان نداء الجنس الذى هو الحقيقة ليس له معنى الا ان يحمل على واحد من افراده فيؤل الى كلام المصنف فيكون ههنا نسبة الفعل الى واحد من الجنس فيكون مثل أكلت الخبز حيث حمل اللام على الجنس والوحدة مفهومة من قرينة الأكل قال العلامة التفتازانى هذا على طريقة نسبة حكم الفرد من الجنس الى الجنس نفسه وهو يدل على ان المجاز فى النسبة فتأمل (قوله مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات) يعنى ان الحصور من يكون قادرا على الشهوات لكن منع نفسه عنها فامامن لم يقدر فلا يسمى حصورا (قوله واستفهاما عن كيفية حدوثه) لا يخفى ان الجواب المذكور وهو قوله تعالى كذلك الله يفعل مايشاء لا يناسب الاستفهام بهذا المعنى فيكون فائدة الجواب منعه عن السؤال عن كيفية الحدوث بل عليه الاذعان (قوله أى يفعل مايشاء مثل ذلك الفعل) فيكون كذلك معمولا ليفعل مايشاء وتقديمه للاهتمام (قوله أوكما أنت عليه الخ) هذا الوجه ليس بقوى اذ الكبر والعقر ليسا بأمرين يوجبان التعجب بل حصول الولد منهما موجب له فلا يحسن ان يشبه أحدهما بالآخر ولذا لم يذكره صاحب الكشاف وذكر الوجه الآخر (قوله وأحسن الجواب

ماشتق من السؤال) أى مستخرجا ومتفرعا منه وههنا كذلك فان السؤال لتحصيل أمر يوجب الشكر واعتقال اللسان عن كلام البشر يوجبه أيضا (قوله والمراد بالكلام مادل على الضمير) بطريق عموم المجاز اذ هو معنى شامل للمعنى الحقيقى للتكلم والمعنى المجازى وهذا أحسن من عبارة الكشاف حيث قال فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما أهوى الى الكلام وفهم منه مافهم سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا هذا كلامه ويتوهم منه ان التكلم ههنا مستعمل فى المعنى الحقيقى والمجازى معا وهو غير جائز كما قال العلامة التفتازانى لكن يمكن حمل كلام الكشاف على مايوافق كلام المصنف (قوله روانف اليتيك) المراد بالجمع التثنية لان لكل ألية رونفا ولذلك قال وتستطارا بصيغة التثنية وسقوط النون بالجزم (قوله وهو مؤكد لماقبله) (١٨) اذ الأمر بذكر الله يفهم من حبس لسانه عن تكليم الناس (قوله وتقييد الأمر بالكثرة الخ) لك ان تقول لعل التصريح بالكثرة للمبالغة فى الكثرة أو دفع توهم ان الامر يستعمل فى غير الكثرة مجازا والجواب ان مبنى كلامه على الظاهر والاحتمالان المذكوران مبناهما على خلافه (قوله أو ارهاصا) هو تأسيس النبوة بظهور الخوارق قبل البعثة (قوله لقوله وما أرسلنا قبلك الا رجالا) اذا كان الرسول أخص من النبى كما هو المقرر لا يلزم من نفى الارسال نفى الاستنباء اذ الارسال جعل الشخص رسولا والاستنباء جعل الشخص نبيا نعم لو ثبت ان الارسال فى الآية بمعنى الاستنباء ثبت المدعى (قوله وقدم السجود الخ) ههنا وجه آخر أولى مماذكر وهو الدلالة على ان السجود أشرف من الركوع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من معرفة ربه وهو ساجد فان قيل فعلى هذا يعلم ان القنوت أشرف من السجود لتقدم الاول على الثانى فى الذكر قلنا لا يلزم مما ذكرنا فان القنوت مقدم فى الوجود على الباقين فتقدمه يكون لذلك ويمكن ان يقال أيضا تقدمه لاجل ان القيام أشرف من السجود كما هو مذهب امامنا الشافعى رضى الله عنه (قوله أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب) هذا اذا علم تقدم الركوع على السجود فى شريعتهم واما اذا لم يعلم ذلك كيف يحصل التنبيه المذكور (قوله للايذان الخ) لك ان تقول هذا الايذان يحصل لو قيل واركعى واسجدى مع الراكعين بل يلزم من تعبير المصلين بلفظ الراكعين (قوله كقوله أمن هو قانت الخ) يرد عليه ان الدوام ليس معتبرا فى معنى القنوت بل الدوام لو استفيد فانما يستفاد من آناء الليل فلا يثبت من قوله تعالى أمن هو قانت الخ ان القنوت نفسه دوام الطاعة (قوله على سبيل التهكم) يمكن توضيح التهكم انه فهم من الكلام كأن الكفرة زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم شاهد الواقعة المذكورة لماذكر

ماشتق من السؤال (إِلَّا رَمْزًا) اشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رَمَزًا بفتحتين كخدم جمع رامز ورُمُزا كرُسُل جمع رَمُوز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله

متى ماتلقنى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

(وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا) فى أيام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار (وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ) من الزوال الى الغروب وقيل من العصر أو الغروب الى ذهاب صدر الليل (وَالْإِبْكَارِ) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا أو ارهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) أمرت بالصلاة فى الجماعة بذكر أركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك فى شريعتهم أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) أى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقريركونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق

(قوله على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع) زمان البشارة لما أمكن ان يكون زمان البشارة وزمان الاخبار عن الاصطفاء واحدا لم يتعرض لتوجيه هذا الابدال واما الاختصام المذكور فالظاهر انه مقدم على البشارة بزمان كثير فاحتيج الى التوجيه المذكور فهو جواب سؤال انه لو كان قوله تعالى اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك الآية بدلا من اذ يختصمون لكان زمان الاختصام و زمان البشارة واحدا لكنهما غيران فاجاب بان زمانهما واحد ممتد فيه اتساع فالاختصام يقع فى بعضه والبشارة تقع فى بعض آخر هذا هو المفهوم من كلام العلامة التفتازانى فى حاشية الكشاف فان قيل ما وجه الاحتياج الى اعتبار وحدة الزمان واتساعه قلنا لان هذا البدل لا يكون الا بدل الكل اذ ليس بدل البعض ولا الاشتمال واذا كان بدل الكل يجب ان يكون الزمان واحدا ولم يمكن ان يكونا واحدا الا باعتبار اتساعه بتجزئته بجزأين (قوله لقيته سنة كذا) يعنى يقال لقيته فى سنة كذا مع أن الملاقاة فى جزء منه فيكون الاختصام وان كان فى جزء والبشارة فى جزء آخر يقال زمانهما واحد (قوله فانه اسم جنس مضاف) أى المبتدا وهو اسمه اسم جنس مضاف فيشمل جميع الاسماء لان اسم الجنس المضاف للاستغراق (١٩) لكن يرد ان هذا يستلزم أن يكون

معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظنّ به عاقل (أيّهم يكفل مريم) متعلّق بمحذوف دلّ عليه يلقون أقلامهم أى يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيّهم يكفل مريم (وما كنت لديهم اذ يختصمون) تنافسا فى كفالتها (اذ قالت الملائكة) بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض أو من اذ يختصمون على انّ وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متّسع كقولك لقيته سنة كذا (يامريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرّفة كالصدّيق وأصله بالعبريّة مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرّب إيشوع واشتقاقهما من المسح لانّه مُسح بالبركة أو بما طهّره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم فى موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلّف لا طائل تحته وابن مريم لمّا كان صفة تميّز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدّد الخبر إفراد المبتدإ فانّه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد به أنّ الذى يعرف به و يتميّز عن غيره هذه الثلاثة فانّ الاسم علامة المسمّى والمميّز له ممّن سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدإ محذوف وابن مريم صفته وانّما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنّه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الامّ الّا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدّرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنّها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوّة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقرّبين) من الله وقيل اشارة الى علوّ درجته فى الجنّة أو رفعه الى السماء وصحبة الملائكة (ويكلّم الناس فى المهد وكهلا) أى يكلّمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمّى به ما يمهد للصبيّ فى مضجعه وقيل إنّه رفع شابّا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشاد الى أنّه بمعزل عن الالوهيّة (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذى فى

كل من أسمائه كل واحد من الثلاثة وليس كذلك وانما كل واحد واحد منها فالاولى الاقتصار على انه اسم جنس فيكون الغرض انه اسم جنس من غير اعتبار الاستغراق و يكون مفهوما كليا صادقا على أفراد كثيرة (قوله لما كانت صفة الخ) أى ابن مريم وان لم يكن اسما بل صفة جعل حكم الاسم لانه يميز تمييز الاسماء فان قيل لم لا يجوز أن يكون صفة لعيسى كما جوزه على تقدير كون عيسى خبرا للمبتدأ المحذوف قلنا اذا كان عيسى خبرا عن اسمه يكون المراد لفظ عيسى ولفظه لا يوصف بابن مريم (قوله تنبيها على انه يولد من غير أب) يمكن أن يقال الاضافة الى مريم لتشريفها بانها أم عيسى من غير أب (قوله حال مقدرة من كلمة) أى مقدرا وجاهته لانه عليه السلام فى تلك الحالة لم يحصل له الوجاهة (قوله كلام الانبياء من غير تفاوت) فان قيل مم يعلم ماذكرنا قلنا من قوله تعالى وكهلا اذ لو أريد مجرد التكلم لكان ذكر الكهل قليل الجدوى (قوله أحواله المختلفة المتنافية الخ) تنافى الاحوال المذكورة باعتبار ان الوجاهة فى الدنيا والآخرة تنافى التكلم فى المهد لان الوجاهة المذكورة لم تحصل له فى المهد وكذا قوله من المقربين أى داخلا فى جملة الملائكة التى فى السموات ينافى كونه فى المهد أى لا يجتمعان فى زمان واحد وكونه متكلما فى المهد ينافى كونه متكلما كهلا وتنافى الاحوال دال على نفى الالوهية اذ هذا النوع من التغيير يستلزم الحدوث بل كل منها يستلزمه كما يظهر بالتأمل الصادق (قوله حال ثالث من كلمة) الوجه أن يقال حال رابع من كلمة أو ثالث من ضميرها فان وجيها حال أوّل ومن المقربين ثان كما نص عليه فى الكشاف و يكلم الناس ثالث ومن الصالحين رابع

(قوله تعجب أو استبعاد عادى) لكن تقول قوله لم يمسسنى بشر لايناسب التعجب ولا الاستبعاد اذ عدم المس فيما مضى لايوجب التعجب ولا الاستبعاد العادى اذ يمكن أن يكون تتزوج فى المستقبل فالوجه الاقتصار على الوجه الاخير كما قال العلامة النيسابورى (قوله اشارة الى أنه تعالى كما يقدر الخ) فيه ان فى هذا الكلام دلالة على ان خلق الاشياء بمجرد قول كن وأما أن فيه الاشارة الى خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد فممنوع (قوله أو عطف على يبشرك الخ) لايخفى أنه على تقدير قراءة ونعلمه بالنون كان الاولى أن يكون استئنافا (قوله مضمنا معنى النطق) فيكون التقدير ورسولا الى بنى اسرائيل ناطقا بأنى قد جئتكم

يكلم (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب أو استبعاد عادى أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره (قال كذلك الله يخلق مايشاء) القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زواج أو عطف على يبشرك أو وجيها والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم أو بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأنى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث الى غيرهم (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور شيأ مثل صورة الطير وقرأ نافع إنى بالكسر (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طيارا بأمر الله نبه به على أن احياءه من الله تعالى لامنه وقرأ نافع ههنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة (وأبرئ الأكمه والأبرص) الأكمه الذى ولد أعمى أو الممسوح العين روى أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداوى الا بالدعاء (وأحيى الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) بالمغيبات من أحوالكم التى لاتشكون فيها (إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موفقين للايمان فان غيرهم لاينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا لما بين يدى من التوراة) عطف على رسولا على الوجهين أو منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم أى وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) مقدر باضماره أو مردود على قوله انى قد جئتكم بآية أو معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيب قلبك (بعض الذى حرم عليكم) أى فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولايخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لايعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الأزمان (وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله

(قوله لخصوص بعثته) أى لان بعثته مخصوصة بهم (قوله فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية) أى لما لم يكن الاحياء من جنس أفعال البشر يتوهم من قوله عليه الصلاة والسلام أحيي الموتى الالوهية فكرر ذكر باذن الله لدفع التوهم المذكور وأما ابراء الأكمه والأبرص فهو من جنس أفعالهم فلذا لم يكرر باذن الله بعده وفيه أن ابراء الاكمه يعنى ممسوح العين ليس من جنس الافعال البشرية وذكر باذن الله فى قوله فيكون طيرا باذن الله لانه أيضا ليس من جنس الافعال البشرية (قوله ان كنتم موفقين للايمان) انما فسر بهذا لانه لو أبقى المؤمنين على معناه الحقيقى لم يحتاجوا الى الآية اذ الآية لتحصيل الايمان فاذا حصل فلا حاجة اليها (قوله ان كنتم مصدقين للحق) أى مصدقين للحق بعد ظهوره (قوله على الوجهين) أى على الوجهين المذكورين فى تفسير ورسولا الى بنى اسرائيل (قوله أو مردود على قوله قد جئتكم) أى قد جئتكم بآية لاحل لكم (قوله ولايخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة الخ) اذ يعلم من الانجيل ان مافى التوراة من تحريم الاشياء بلا تقييد فى الظاهر معناه تحريمها الى زمان معين واذا كان معنى مافى التوراة ماذكر كان الانجيل مبينا مصدقا له (قوله فان النسخ فى الحقيقة الخ) أى ليس النسخ ابطالا للحكم السابق حتى يكون الناسخ مبطلا للمنسوخ بل مبينا للحكم المنسوخ

(قوله الفارقة بين النبي والساحر) فان الرسل يظهرون الخوارق لاجل دعوة الحق وأما السحرة فليس دعوتهم ماذكر ولا اظهار الخوارق لاجله ولك أن تقول ان دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل ليس مجرد ان الله ربي وربكم بل هي شهادة أن لا اله الا الله وان الله رب كل شئ ويرد مثله على ماسيجيء من قوله ان الله ربي وربكم اشارة الى استعمال القوة النظرية باعتقاد الحق الذي غايته التوحيد هو شهادة أن لا اله الا الله (قوله وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم) هذه قراءة من قرأ ان بفتح الهمزة وهو من القراءة الشاذة فكان على المصنف بيان القراءة المذكورة (قوله تحقق كفرهم الخ) اشارة الى أن الكفر ليس أمرا محسوسا اذ هو أمر قلبي فيكون المراد من احساس الكفر تحقق العلم به كتحقق المحسوس (قوله أو في أو اللام) وعلى الاول معناه من أنصاري في سبيل الله وعلى الثاني من أنصاري لتقرير دين الله (قوله لا يسند الى الله تعالى) لان الحيلة فعل العاجز وهو تعالى منزه عنه وعلى هذا فمعنى المكر هو التدبير (قوله ظرف لمكر الله) قال العلامة التفتازاني هذا أوجه من التعليق بخير الماكرين اذ ليس لتعليق كونه أقدر على العقاب بزمان دون زمان كثير معنى (قوله أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الخ) لك أن تقول يفهم منه ان من لم يبق له شهوة يعرج الى السماء فيجب القول بان سائر الانبياء ليسوا كذلك فيلزم فضل عيسى على سائر الانبياء والجواب ان العروج الى الملكوت بالروح شامل لجميع الانبياء وهو المراد ههنا أما اذا أريد العروج بالبدن فنقول ان اللزوم ممنوع اذ لا يلزم من ارتفاع موانع الشئ وجوده لم لا يجوز أن يكون موقوفا على شرط وجودي فيجوز أن يكون لبدن عيسى خاصة تستلزم العروج عند رفع الموانع وهي كونه حاصلا من نفخ جبريل وليس لابدان غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم تلك الخاصية ولا يلزم مما ذكر فضيلته عليهم كما ان لاجسام الملائكة خاصية الرجوع الى السماء ولا يلزم منه تفضيلهم على غيرهم من الانبياء

رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهو قوله إن الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر أو جئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم اليه ثم شرع في الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ) تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس (قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ) ملتجئا الى الله تعالى أو ذاهبا أو ضاما اليه ويجوز أن يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم الى الله تعالى في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع أو في أو اللام (قالَ الْحَوارِيُّونَ) حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ) أي أنصار دين الله (آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم (رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي مع الشاهدين بوحدانيتك أو مع الانبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس (وَمَكَرُوا) أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة (وَمَكَرَ اللَّهُ) حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث أنه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ) أقواهم مكرا وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب (إِذْ قالَ اللَّهُ) ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك (يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ) أي مستوفي أجلك ومؤخرك الى أجلك المسمى عاصما إياك من قتلهم أو قابضك من الارض من توفيت مالي أو متوفيك نائما اذ روي أنه رفع نائما أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى

(ورافعك إليّ) الى محل كرامتي ومقرّ ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم أو قصدهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة أو السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة (ثم الىّ مرجعكم) الضمير لعيسى (عليه الصلاة والسلام) ومن تبعه و(من) كفر به وغلّب المخاطبين على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم) تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء (والله لا يحب الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم (عليه الصلاة والسلام) (خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب منه افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) أى أنشأه بشرا كقوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر محذوف أى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أى الحق المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على الانفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان أبيتم الا ألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى (رضى الله عنه) خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله (تعالى) ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبذلوا له الجزية ألفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته (إن هذا) أى ما قص من نبأ عيسى ومريم (لهو القصص الحق) بجملتها خبر إن أو هو فصل يفيد أن ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه أقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها ان تدخل على المبتدأ (وما من إله الا الله)

(قوله وأن ينتصب بمضمر الخ) أى يكون ذلك منتصبا بمضمر (قوله مبينة لما به الشبه) الاولى أن يقال لما فيه التشبيه (قوله ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر) أى يكون لتراخي الاخبار بهذا القول وهو قال له كن عن خلقه من التراب لا لتراخي نفس القول المذكور عن خلقه من التراب لان القول المذكور وخلقه من التراب معا لكن الاخبار عن قول كن مؤخر عن الخلق كقولك أعطيته اليوم ألفا ثم أنا أعطيته أمس ألفين أى ثم أخبركم أنى أعطيته أمس فيكون المعنى فيما نحن فيه خلق آدم أى صوره بشرا سويا ثم أخبركم أنه قال كن فيكون (قوله وألصقهم) عطف على عزة أهله والمعنى أشد اتصالا منهم بقلبه (قوله وهو دليل على نبوته) أى كلام العاقب والاسقف دليل على نبوته اذ علم من كلامهما انهم علموا نبوته بما ذكر فى كتبهم وبما شاهدوا منه صلى الله عليه وسلم (قوله أو هو فصل يفيد الخ) أى هذا قصر اضافى لا حقيقى اذ ليس الحق منحصرا فيما ذكر حقيقة بل بالاضافة الى ما ذكروه من أمر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قوله لانه أقرب الى المبتدأ الخ) أصل اللام

صرح

صرّح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيد الردّ على النصارى فى تثليثهم (وإنّ الله لهو العزيز الحكيم) لاأحد سواه يساويه فى القدرة التامّة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهيّة (فإن تولّوا فإنّ الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على انّ التولّي عن الحجج والإعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدّى الى فساد النفس بل والى فساد العالم (قل يا أهل الكتاب) يعمّ أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لايختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها مابعدها (ألا نعبد إلا الله) أن نوحّده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيأ) ولانجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولانراه أهلا لان يعبد (ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) ولانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لانّ كلّا منهم بعضنا بشر مثلنا روى أنّه لمّا نزلت اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عدىّ بن حاتم ما كنّا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فإن تولّوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) أى لزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنّكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ﴿تنبيه﴾ أنظر الى ماراعى فى هذه القصّة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرّج فى الحجاج بيّن أوّلا أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وماتعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهيّة ثمّ ذكر مايحلّ عقدتهم ويزيح شبهتهم فلمّا رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثمّ لمّا أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم الى ماوافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم انّ الآيات والنذر لاتغنى عنهم أعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون (يا أهل الكتاب لم تحاجّون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده) تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كلّ فريق أنّه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى انّ اليهوديّة والنصرانيّة حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما (أفلا تعقلون) فتدّعون المحال (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم) ها حرف تنبيه نبّهوا بها على حالهم الّتى غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى مبيّنة للاولى أى أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما لكم به علم ممّا وجدتموه فى التوراة والانجيل عنادا أو تدّعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لاعلم لكم به ولاذكر له فى كتابكم

أن تدخل على المبتدأ لانه لام الابتداء لكن لما امتنع دخولها عليه ههنا للزوم اجتماع حرفى التأكيد وهو ان واللام دخلت على ماهو أقرب الى المبتدأ الذى هو موضعها الاصلى (قوله لاأحد سواه يساويه الخ) لك أن تقول لم لايجوز أن تكون آلهة متفاوتا قدرهم وحكمتهم والجواب ان الالوهية وهى المعبودية بالحق تقتضى أن يكون المعبود على أكمل حال ولو كان أحد أكمل منه لكان ذلك الاكمل هو المعبود لامن هو ناقص عنه وقد أوضحنا ذلك أكمل ايضاح فى أوائل الحواشى التى كتبناها على شرح المواقف (قوله بل والى فساد العالم) يرد عليه ان المشركين كثير فى العالم مع انه غير فاسد والجواب أن المراد بالفساد خلاف ماهو الاصلح ولاشك ان الشرك مستلزمه (قوله ولا يراه أهلا لان يعبد) هذا فى الظاهر تكرار اذ جعل غيره تعالى شريكا فى استحقاق العبادة هو ان يعتقد انه أهل لان يعبد والجواب ان المراد من قوله ولانجعل الخ نفى الشرك الجعلى أى كونهم جاعلين لغير الله شريكا له فى استحقاق العبادة وأريد بالجعل الشرك والمراد من قوله ولانراه أهلا لان يعبد نفى كون غيره مستحقا للعبادة فى الواقع (قوله قال هو ذاك) فاعل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ذاك أى طاعتهم فى تحليل بعض الاشياء وتحريمها أو بالعكس (قوله اعترفوا بانا مسلمون دونكم أو اعترفوا الخ) الاول ان يكون المقصود من الكلام هو الحقيقة والثانى ان يكون للتعريض فيكون المقصود الاصلى اثبات الكفر لاهل الكتاب (قوله ثم ذكر مايحل عقدتهم الخ) هو قوله تعالى ان مثل عيسى الآية فان شبهتهم الداعية الى الاعتراف بالوهيته كونه بغير أب والآية أبطلت هذه الشبهة (قوله وانقادوا بعض الانقياد) هو قبولهم الجزية وترك المباهلة كما دلت عليه القصة (قوله وعلم ان الآيات والنذر الخ) ثم انه لما ظهر لجاجهم وعنادهم نفى الله تعالى عنهم العقل بقوله أفلا تعقلون وأثبت شركهم فى الآيتين (قوله انكم جادلتم الى قوله عنادا) معناه انكم علمتم مافى التوراة وجادلتم الحق بأن تصروا على خلاف مافيه عنادا (قوله أو تدعون وروده فيه) لايخفى

ان هذه العبارة دلت على انهم كاذبون فيما ادعوا و ر وده فيه فكيف يفسر به قوله تعالى فيما ليس لكم به علم الا ان يقال المراد من العلم به بادعائهم فكانهم كانوا يدعون أشياء ليست فى التوراة و يزعمون العلم بها و يفهم مما ذكر انهم لم يدعوا و رود كيفية دين ابراهيم فى التوراة وهذا بعيد لان دعواهم ان ابراهيم كان على دينهم يدل على انهم يدعون العلم بدين ابراهيم وو روده فى كتابهم فالاولى الاختصار على الوجه الاول كما فعله صاحب الكشاف (قوله وقيل هؤلاء بمعنى الذين) هذا هو مذهب الكوفيين (قوله أصله أأنتم) بتوسط ألف بين همزة الاستفهام وهمزة أنتم (قوله بالمد من غير همزة) أى باسقاط همزة أنتم (قوله تصريح بمقتضى ماقرره من البرهان) هو قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون الآية فانه على مافسره دال على ان ابراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا (قوله لاشتراك الالزام) أى دل البرهان المذكور على انه لم يكن على الاسلام كما دل على انه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا لان نفى اليهودية والنصرانية بسبب انهما تحققا بعد ابراهيم وهذا بعينه جار فى كونه ليس على ملة الاسلام لانه أيضا قبلها واعلم ان المفهوم من كلام المصنف ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن على ملة الاسلام فتكون شريعته مخالفة لملة الاسلام فى الفروع قال العلامة النيسابورى فى هذا المقام فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة فى الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان أردتم به الموافقة فى الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت لان اليهود والنصارى مخالفون فى الاصول فى زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثانى ولا يلزم ماذكر لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم فى زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التى كانت ثابتة فى زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم فى معظم الفروع هذا لفظ النيسابورى بعينه وهو دال على ان المراد من كونه مسلما انه على ملة الاسلام ولا باعث على مجرد جعله منقادا

من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وأبو عمرو هآنتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش أقل مدًّا وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى بقصر المد على أصله (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بمقتضى ماقرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام (إن أولى الناس بابراهيم) ان أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) من أمته (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى أكثر ماشرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن (وما يضلون إلا أنفسهم) وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلون الا أمثالهم (وما يشعرون

(قوله لموافقتهم له فى أكثر ماشرع لهم على الاصالة) شرع بصيغة المجهول وتوضيح المقصود ان يقال لموافقة النبى والمؤمنين فى أكثر ماشرع الله لهم على الاصالة لا بمجرد اتباع ابراهيم بل لانه صلى الله عليه وسلم صاحب شرع بالاصالة أى بالاستقلال الا ان شرعه موافق لشرع ابراهيم فى أكثر الفروع كما ان مجتهدا يوافق مجتهدا آخر فيما اجتهد فيه وان لم يكن أحدهما تابعا للآخر بل كل منهما مستقل بنفسه (قوله عطف على الهاء فى اتبعوه) الذين اتبعوا ابراهيم وهذا النبى هم المؤمنون فلا فائدة فى ذكر المؤمنين بعده الا ان يقال من عطف الصفات بعضها على بعض (قوله ولو بمعنى ان ذكر) فى قوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ان لو بمعنى ليت وههنا ان لو بمعنى ان والوجه ان يقال ان لو فى مثل هذا الموضع حرف مصدرى فيكون معنى الكلام ودت طائفة من أهل الكتاب اضلالكم فتكون ان الواقعة فى قوله ولو بمعنى أن أن المفتوحة وهى الحرف المصدرى وكما حققنا هذه المسئلة فى سورة البقرة (قوله وما يتخطاهم الاضلال الخ) الكلام على هذا استعارة تمثيلية شبه حال من لا يتخطى الاضلال منه الى غيره ولا يؤثر فيه ولا يعود وبال اضلاله الا عليه بحال من لا يضل الا نفسه تقديرا وعلى الوجه الآخر يكون التجوز فى أنفسهم

(قوله يلبسون الحق مع الباطل) هذا تفسير يلبسون بفتح الباء ولبس الحق مع الباطل كلابس ثوبي زور (قوله كلابس ثوبي زور) هذا تمة لحديث وهو ان المتشبع بما لم يملك كلابس ثوبي زور وتوضيحه ان المتشبع هو الذي يظهر انه شبعان وليس به والمراد بهذا المتصلف ولابس ثوبي زور هو الذي استعار ثوبا يتجمل به أو يتنسك به لتقبل شهادته فهو يشهد بهزور ا و يظهر انه له وليس له فيلتبس بجهتي زور و يصير كانه لابس ثوبين من الزور ووجه الشبه بين المتصلف بما لم يملك ولابس ثوبي زور ان المتصلف ادعى الكذب يزعم ان له فضيلة و يفوق الناس بزعمه الباطل فيكون له جهتان شبيهتان بالزور واضافة الثوب الى الزور

يَشْعُرُونَ) وِزْرُه واختصاص ضرره بهم (يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق (يا أهل الكتاب لِمَ تَلبِسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تُلَبِّسون بالتشديد وتَلبَسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبَي زور (وتكتمون الحق) نبوة محمد عليه السلام ونعته (وأنتم تعلمون) عالمين بما تكتمونه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أي أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الاسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم أولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم أرجى وأهم (قل إن الهدى هدى الله) هو يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لأشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أي الا أن يؤتى أحد دبرتم وقرئ إنْ على انها نافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير أحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير أتباعهم (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك)

للاختصاص كما في حاتم الجود (قوله أي دبرتم ذلك الخ) أي دبرتم التدبير المذكور وهو الامر بالايمان أول النهار والكفر آخره للعلة المذكورة وهي مضمون قوله تعالى ان يؤتى الخ أي سبب التدبير المذكور هو ايتاء الله أحدا العلم والكتاب والدين الحق كما آتاكم وتوضيحه ما ذكره صاحب الكشاف ان معناه لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم (قوله عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين) العطف على الوجه الثاني ظاهر واما على الاول انكم دبرتم ما ذكر لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وبما يتصل به عند كفركم من محاجتهم لكم عند ربكم (قوله ان الهدى هدى الله) اعتراض هذا يتعلق بالتفسير الثاني لا بالاول اذ على هذا الوجه يكون ان يؤتى أحد كلام الله تعالى كما ان قل ان الهدى هدى الله كذلك (قوله لا يجدي بطائل) قال في الصحاح معناه لا يستفاد منه كثير فائدة ووجه دلالته على ان كيدهم لا يجدي بطائل هو ان معنى الكلام ان الهدى الذي اهتدى به المسلمون هدى الله الغالب على كل شئ فلا ينفع كيدهم في دفع الهدى المذكور (قوله وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم) أي يكون على الوجه الثالث وهو ان يكون ان يؤتى خبر ان أو بمعنى حتى لان حاصل الكلام حينئذ قل ان هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم ولا يصلح عطف يحاجوكم

كعبدالله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه اليه (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الا مادمت عليه قائما) الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده (بأنهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا في الأميين سبيل) أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل (من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أوله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من وأشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي (إن الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يسرهم أو بشئ أصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) فان من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) على ما فعلوه قيل انها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت في ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي (وإن منهم لفريقا) يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضا للمسلمين (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

يحبه وغيره من المتقين (قوله بما يسرهم الخ) هذان توجيهان لقوله تعالى لا يكلمهم الله الاول نفي الكلام بما يسرهم وان وقع التكلم بالشئ الآخر والثاني نفي التكلم مطلقا في القيمة وقوله ان الملائكة يسئلونهم جواب سؤال هو انه كيف لا يكلمهم بشئ أصلا وقد قال تعالى فوربك لنسألنهم والجواب عنه ان المراد أمر الله الملائكة بالسؤال منهم وقوله أو لا ينتفعون بكلماته وآياته معناه انهم لا ينتفعون بها في الدنيا فيكون عدم التكلم مجازا عن عدم الانتفاع لان ما لا ينتفع به فكانه معدوم (قوله والظاهر انه كناية لا مجاز) لانه يمكن ان يراد من عدم التكلم المعنى الحقيقي فلا وجه للحكم بانه مجاز والا لم يصح ارادة المعنى الحقيقي (قوله يفتلون الخ) أي يصرفون ألسنتهم بقراءة الكتاب وتفسيره قوله فيميلونها الخ فكان لسانهم يريد أن يتكلم بالمنزل لعلمهم بانه حق وعادتهم بقراءته لكنهم يميلونه من المنزل الى المحرف (قوله لانهم يزعمون ذلك صريحا) أي يزعمون ان المحرف من عند الله ولا يكتفون بان يدخلوا المحرف في التوراة ويقرؤنه فيها (قوله وهذا لا يقتضي الخ) يعني يتوهم من قوله تعالى وما هو من عند الله انه أي المحرف ليس

تأكيد

من فعل الله تعالى بل من فعل العبد فيكون فعل العبد ليس فعل الله تعالى فيكون العبد خالقا لفعله كما هو مذهب المعتزلة فاجاب بان المعنى ان الحرف ليس منزلا من عند الله تعالى على نبيه وان كان فعله تعالى اذ لا يلزم من نفى الاخص وهو الانزال من عنده نفى الاعم الذى هو كونه فعله تعالى (قوله بسبب كونكم معلمين الكتاب الخ) لك ان تقول يكفى فى الربانية كون الشخص عالما بالكتاب كما دل عليه قراءة ابن كثير ونافع وغيرهما فما فائدة التعليم قلنا فائدته اعتبار العمل فان التعليم عمل وقد قال الربانى من له كمال عمل وعلم وأما قوله فائدة التعليم معرفة الحق والخير للاعتقاد ففيه ان معرفة الحق والخير مقدم على التعليم فكيف يكون بسببه الا ان يقال ان التعليم يوجب زيادة المعرفة وكمالها وثباتها (قوله عطفا على ثم يقول) يدل على ان هذا العطف متحقق على الوجهين وهما كون لا مزيدة وغيرها (قوله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه و يأمر الخ) فيه انه نهى عن اجتماع الأمرين المذكورين ولا يلزم النهى عن كل منهما وهو المطلوب قلنا المنهى عن مجموع الأمرين المذكورين يلزم النهى عن كل منهما لان أحد الامرين يستلزم الآخر كما يفهم مما سيجىء من ان الامر بعبادة نفسه والنهى عن عبادة غيره من النبيين مما لا وجه له لانهم أكفاؤه فاذا تحقق أحدهما وجب ان يتحقق الامر الآخر فتحقق المجموع وقوله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه هذا بيان حاصل معنى قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لى (قوله وغير مزيدة الخ) يعنى اذا كانت غير مزيدة يكون النهى متوجها الى مجموع القول وعدم الامرين المذكورين أى ليس لمن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس كونوا عبادا لى ولا يأمرهم بان يعبدوا الملائكة والنبيين والمقصود انه اذا أمر الناس بعبادة نفسه يجب ان يأمرهم بعبادة غيره من الانبياء والملائكة لانهما كفاء له فى عدم صلاحية المعبودية فاثباتها لنفسه ونفيها عن غيرهم ترجيح من غير مرجح وههنا نظر وجواب فتأمل واعلم ان على كلا الوجهين التفاتا فى الآية لان حق الكلام أن يقال ولا يأمرهم اذ الضمير عبارة عن الناس المذكورين سابقا (قوله بل ينهى عنه) فانه صلى الله عليه وسلم نهى العرب عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فان قيل لم يقل وينهاهم أن تتخذوا الخ قلنا اذا كان عدم الامر بالاتخاذ المذكور والامر بعبادة نفسه منهيا عنه كما هو مقتضى الوجه الثانى فيكون النهى عن الاتخاذ مع الامر المذكور كذلك بطريق الاولى (قوله واذا كان هذا حكم الانبياء الخ) هذا اشارة الى أخذ العهد والنبيون لما كانوا أصحاب الوحى أمكن أخذ الميثاق عنهم وأما غيرهم من الأمم فاخذ الميثاق عنهم بواسطة أنبيائهم

تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (73) (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون من أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (74) (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان أى ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى انه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ أبو عمرو على أصله برواية الدورى باختلاس الضم (أيأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد اذ أنتم مسلمون) دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له (75) (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه انه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين

(قوله واللام فى لما موطئة) كانها وطأت طريق جواب القسم أى سهلته لفهمه (قوله الخبرية) أى كونها موصولة فالضمير الراجع اليه محذوف والتقدير آتيتكموه كما سيجيء لكن هذا المعنى غير ظاهر ولذا اقتصر بعض المفسرين على الشرطية الا ان يقال ان ما الموصولة مبتدأ متضمن لمعنى الشرط (قوله لاجل ايتائى اياكم الخ) فان قيل ما وجه جعل الايتاء المذكور علة لاخذ الميثاق قلنا اختصاصهم بالفضيلة المذكورة وهى الايتاء المذكور يوجب الايمان بالرسول المصدق لهم ونصره فان قيل النبيون عام لكن أصحاب الكتب ليسوا كذلك بل بعضهم قلنا الكتاب وان كان خاصا لكن الحكمة عامة للكل فيكون المجموع للمجموع والاولى أن يقال ان من لم ينزل عليه كتاب فى حكم من نزل عليه من حيث وجوب الاتباع (قوله وقرئ لما بمعنى حين) اذا كان لما ظرفا كان فعله الذى تعلق هو به محذوفا أى لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم وجب عليكم الايمان به فيفيد جواب القسم ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله لتؤمنن لان هذه اللام تمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها و يكون لتؤمنن سادا مسد جواب القسم (قوله فليشهد بعضكم على بعض) فعلى القول الاول من الاقوال المذكورة فى تفسير ميثاق النبيين وكذا على باقيها يكون شهادة بعضهم على بعض شهادة كل نبى وشهادة بعض الامة على من سواهم وعلى القول الثالث يكون شهادة بعضهم لبعض ما ذكر أو يكون شهادة بعض الامة على بعض وقس عليه القول الآخر (قوله عطف على الجملة المتقدمة) وهى فاولئك هم الفاسقون والهمزة متوسطة بينهما للانكار أى لا يلزم من العطف المذكور عطف الانشاء على الاخبار لان الاستفهام ليس حقيقة بل للانكار (قوله او أى طائعين بالنظر واتباع الحجة) ظاهره يدل على حصر سبب الاسلام طوعا فى النظر واتباع الحجة وليس كذلك اذ يجوز أن يكون السبب حصول العلم بداهة بوجوب الاسلام طوعا أو كرها وهذا هو الظاهر من حال الملائكة الذين هم فى السموات (قوله أو مختارين الخ) هذا تفسير آخر لقوله تعالى وله أسلم الى قوله طوعا أو كرها فالاسلام بالمعنى الاول هو تسليم الدين والايمان و بالمعنى الثانى التسخير تحت الحكم وعدم القدرة عن الخروج عنه فان الكفار أيضا مسخرون تحت حكم القضاء وما أراد الله بهم (قوله وأيضا المنسوب الى واحد من الجمع الخ) لا يخلو اما أن يكون المنسوب المذكور ثابتا للجمع فى الواقع أولا وعلى الاول لا يصح أن يقال المنسوب الى واحد ينسب الى الجمع لان معنى العبارة المذكورة ان الشئ الذى هو غير ثابت للجمع ينسب اليه بسبب ثبوته لواحد منهم وعلى الثانى يكون النسبة الى الجمع كذبا وأما ما وقع فى بعض العبارات من نسبة ما هو ثابت للواحد الى الجمع فلعل فيه تقديرا بان يقال فى مثله فعله الجماعة اذا فعل

على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على ان أصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والألف جميعا (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) أى عهدى سمى به لأنه يؤصر أى يشد وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا أيضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم [76] (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة [77] (أفغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار أو محذوف تقديره أتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول لأنه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبى عمرو وعاصم فى رواية حفص و يعقوب و بالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها) أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم (واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن [78] (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق و يعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وأيضا المنسوب الى الواحد من الجمع قد ينسب اليهم

واحد منهم أن المراد فعله بعض الجماعة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه توسعا ولما في هذا الاحتمال لم يتعرض له صاحب الكشاف ولا العلامة النيسابوري بل اقتصرا على الوجهين الآخرين ويمكن أن يقال ان النسبة المذكورة بطريق المجاز العقلي وقد أسلفنا البحث فيه (قوله والجواب أنه ينفي قبول الخ) حاصل هذا الجواب أن الاسلام هو الاعمال الخمسة المعلومة ويجوز أيضا ان يكون الدين تلك الاعمال ومفهوم الآية ان الاعمال التي هي غير الاسلام اذا جعلها الشخص دينا وأعرض عن الاسلام لن يقبل منه ولا يلزم من عدم قبول الاعمال المذكورة عدم قبول كل شئ غير الاسلام (قوله أي الواقعين في الخسران) انما فسره بذلك لان الخاسر اذا حمل على ظاهره يقتضي مفعولا فلما لم يذكره جعل بمعنى الواقع في الخسران حتى لا يقتضي

أو بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا له والنزول كما يعدَّى بإلى لأنّه ينتهي الى الرسل يعدَّى بعلى لأنه من فوق وانّما قدّم المنزّل عليه عليه السلام على المنزَل على سائر الرسل لأنّه المعرِّف له والعِيار عليه (لانفرِّقُ بين أحدٍ منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) منقادون أو مخلصون في عبادته (79) (ومَنْ يبتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً) أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله (فَلَنْ يُقْبَلَ منه وهو في الآخرة مِن الخاسرين) الواقعين في الخسران والمعنى انّ المُعْرِض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفِطرة السليمة التي فُطِر الناس عليها واستُدِلّ به على انّ الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيرَه لم يُقْبَلْ والجواب انّه ينفي قبولَ كلّ دين يغايره لاقبولَ كلّ مايغايره ولعلّ الدين أيضا للاعمال (80) (كيف يهدِي الله قوماً كَفَرُوا بَعْدَ إيمانهم وشَهِدوا أنّ الرسول حقٌّ وجاءهم البيّناتُ) استبعاد لأن يهديهم الله فانّ الحائد عن الحق بعد ماوضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لاتُقْبَلَ توبةُ المرتدّ وشَهِدُوا عطفٌ على مافي إيمانهم من معنى الفعل ونظيرُه فأَصَّدّقَ وأَكُنْ أو حالٌ باضمارِ قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على انّ الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لايهدى القومَ الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووَضْعِ الكفر موضعَ الايمان فكيف من جاءه الحقّ وعرفه ثم أعرض عنه (51) (أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنةَ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين) يدلّ بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفي جوازِ لعن غيرهم ولعلّ الفرق انّهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فانّ الكافر أيضا يلعن منكر الحقّ والمرتدّ عنه ولكن لايعرف الحقّ بعينه (82) (خالدين فيها) في اللعنة أو العقوبة أو النار وان لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما (83) (لايُخَفَّفُ عنهم العذابُ ولاهم يُنْظَرُونَ إلّا الذين تابوا من بَعْدِ ذلك) أي من بعد الارتداد (وأَصْلَحُوا) ماأفسدوا ويجوز أن لايقدّر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح (فانّ الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضّل عليه قيل انّها نزلت في الحارث بن سُوَيْد حين ندم على ردّته فارسل الى قومه أنْ سَلُوا هل لي من توبة فارسل اليه أخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (84) (إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازْدادُوا كُفْرًا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمّد والقرآن أو كفروا

المفعول وهذا يظهر ماسيجيء من قوله ويجوز ان لايقدر له مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح (قوله عطف على مافي إيمانهم من معنى الفعل الخ) فان معناه بعد ان آمنوا ويستشهد بفأصدق وأكن باعتبار ان أكن عطف على موضع أصدق لانه مجزوم لولم يكن الفاء فكانه مجزوم (قوله وعلى الوجهين الخ) أما على الاول فلان الظاهر ان المعطوف خارج عن المعطوف عليه وأما على الثاني فلان الاقرار وهو الشهادة لوكان داخلا في حقيقة الايمان لكان ذكره بعد ذكر الايمان خاليا عن الفائدة (قوله وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم) لان تقديم الجار والمجرور وهو عليهم يقتضي حصر اللعنة عليهم (قوله مطبوعون على الكفر) فيه انه قال في ختم الله على قلوبهم الآية ان الختم هو الهيئة التي حصلت في النفس بمنع الايمان وقبول الحق ويعبر عنه بالطبع وقال أيضا ان ختم الله الآية علة للحكم السابق الذي هو تسوية الانذار وعدمه وعلى ماذكر يكون الطبع مستلزما لعدم الايمان أبدا والالم يصح ان يكون علة للتسوية المذكورة والاستثناء المذكور ههنا وهو قوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية ينافي ذلك والجواب ان أولئك اشارة الى القوم المذكورين بعد استثناء التائبين منهم فبقي الذين بقوا على الكفر وهم مطبوعون على الكفر بقي ههنا ان ايراد لعل لايظهر وجهه فان ماذكره هو الفرق البتة فالاولى اسقاطه (قوله فان الكافر الخ) جواب سؤال وهو انه كيف يعم الناس الكافرين وهم لم يلعنوا من كفر بعد ايمانه وتصديقه الرسول فاجاب بان الكافر وان لم يلعن صريحا من كان بالصفة المذكورة وهي الكفر بعد الايمان لكنه يلعنه ضمنا فانه يلعن مخالف الحق ومن كان

بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لأنهم لايتوبون أو لايتوبون الا اذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لاتكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (وأولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد (أولئك لهم عذاب أليم) مبالغة فى التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق (٨٦) (لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) أى من المال أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يارسول الله ان أحب أموالى الى بيرحاء فضعها حيث أراك الله فقال بخ بخ ذاك مال

بالصفة المذكورة مخالف له (قوله ولذلك لم تدخل الفاء) توضيحه أن ادخال الفاء فى الخبر يشعر بان المبتدأ متضمن لعلة ترتيب الخبر عليه لكن حمل عدم قبول التوبة على احدى الصور المذكورة لم يكن علة عدم قبولها ما تضمنه المبتدأ فلا يصح ايراد الفاء على الخبر (قوله الثابتون على الضلال) انما فسره بذلك لان مطلق الضلال ليس مخصوصا بهم بل يشملهم وغيرهم لكن الترتيب يدل على الاختصاص بسبب ضمير الفصل وكون الخبر محلى باللام فوجب أن يفسر بما ذكر حتى يصح الاختصاص ولك أن تقول الثبات على الضلال ليس مخصوصا بهم لان غيرهم قد يكون ثابت الضلال والاولى أن يفسر بكامل الضلال لان لهم كمال الضلال لارتدادهم بعد الايمان وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم أو لكفرهم بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وحمل الضلال على كماله ذكره العلامة النيسابورى ويمكن أن يقال الثبات على الضلال مستفاد من عدم قبول التوبة ويكون القصر اضافيا احترازا عمن تقبل توبتهم (قوله كانه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية الخ) توجيهه أن يقال عدم قبول ملء الارض ذهبا كناية عن عدم قبول الفدية أصلا فكانه قيل لن يقبل من أحدهم فدية ولو كانت الفدية ملء الارض لانه غاية الفدية وانما وجهه به لان ظاهر الكلام يقتضى أن يكون المعنى فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ان يفتدبه ولو يفتدى به كذا وهذا المعنى غير ملائم (قوله أو المراد ولو افتدى بمثله) أى لن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو افتدى به ولو افتدى بمثله أيضا لم يقبل (قوله لان المثلين فى حكم شئ واحد) علة للزيادة والحذف المذكورين أى قد يزاد مثل الشئ ويضاف اليه نحو قولك مثلك لايبخل وتريد أنت لاتبخل وقد يحذف المثل المضاف اليه نحو أبو يوسف أبو حنيفة وانما زيد وحذف لان حكم مثل الشئ حكم نفسه فاذا زيد جعل حكم الشئ للمثل واذا حذف جعل حكم المثل للشئ (قوله لان من لاتقبل منه الفدية الخ) أى لم يحصل من راجع قوله تعالى لن يقبل الخ الاقناط الكلى اذ يمكن أن لا يقبل منه الفدية لكن يعفى عنه تكرما أى تفضلا فما قيل أولئك لهم عذاب أليم حصل الاقناط الكلى من العفو (قوله ومن مزيدة للاستغراق) الظاهر انه أراد بالاستغراق نفى الناصر مطلقا اذ هو المقصود لكن كون من مفيدة له ليس مسلما الا اذا دخلت على النكرة المفردة نحو ما جاءنى من أحد أما اذا دخلت على الجمع فلا تفيده ويمكن أن يكون مراده من الاستغراق استغراق الجمع كما قاله صاحب المفتاح من أن الجمع المحلى باللام يفيد استغراق الجمع لا المفرد (قوله بيرحاء) قال شارح البخارى اختلفوا فى ضبطه قال القاضى عياض رويناه بفتح الباء والراء وبفتح الراء وضمها مع كسر الباء قال وبالرفع قرأناه على شيوخنا بالاندلس والروايات فيه القصر ورويناه أيضا بالمد قال التيمى وحا مقصور كذا المحفوظ ويجوز أن يمد فى اللغة وقد جاء فى اسم قبيلة أو بيرحا بستان من بساتين المدينة أى البستان الذى فيه بيرحا أضيف البير الى حا وكانت بساتين المدينة تدعى بالآبار التى فيها وبيرحا بفتح الباء وسكون التحتانية وفتح الراء وهو مقصور لا يتيسر فيه اعراب فهو كلمة واحدة لا مضاف ومضاف اليه (قوله بخ بخ)

رابح أو رائح وانى أرى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما أردت ان أتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب أفضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين (وما تنفقوا من شئ) أى من أى شئ محبوب أوغيره ومن لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه [87] (كل الطعام) أى المطعومات والمراد أكلها (كان حلا لبنى اسرائيل) حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل وألبانها وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) أى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة مما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل وألبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته [88] (فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد ما لزمتهم الحجة (فأولئك هم الظالمون) الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح لهم [89] (قل صَدَقَ الله) تعريض بكذبهم أى ثبت ان الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود [90] (إنّ أَوَّلَ بَيْتٍ وضع للناس) أى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل (للذى ببكة) للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وأمر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه أو من بكه اذا دقه فانها تبك أعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه

كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ قال الرضى يقال باسكان الخاء وتنوينها مكسورة فان وصلت خفضته ونونته مكسور الخاء وربما تشدد منونا مكسورا وهى من الاصوات الدالة على التعجب وقال القاضى عياض حكى الكسر بلا تنوين وروى بالرفع واذا كررت فالاختيار تحريك الاول منونا واسكان الثانى (قوله رابح أو رائح) أحدهما بالمثناة التحتانية وقلبها همزة والجيم أو الحاء وعلى هذا معناه قريب يروج نفعه لقربه من البلد والآخر بالموحدة والحاء (قوله وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب) علم ذلك من تصدق البئر والفرس فانه ليس صدقة الغرض تتعلق بها اذ لا زكاة فيها (قوله ويحتمل التبيين) وعلى هذا معناه شيأ مما يحبون (قوله أى المطعومات) أى المراد من الطعام المطعومات كما صرح به العلامة التفتازانى فى هذا الموضع من حاشية الكشاف وحينئذ يلزم أن يكون لفظ كل لغوا اذ المراد من المطعومات كل واحد واحد منها لما قالوا من ان الجمع المحلى باللام للاستغراق ولو كان اللام فى الجمع للجنس كما ذهب اليه صاحب الكشاف فى مواضع اندفع السؤال والاولى أن يفسر الطعام بالمطعوم فيكون المراد كل المطعوم أى كل فرد من افراده ويمكن أن يقال مراد المصنف من قوله أى المطعومات تفسير كل الطعام لا تفسير الطعام (قوله وفى منع النسخ) عطف على قوله فى دعوة البراءة فان تحريم اسرائيل أى يعقوب عليه الصلاة والسلام ماذكر على نفسه يدل على نسخ حله (قوله والتجنب عن الافراط والتفريط) دلالته على التجنب غير ظاهر الا أن يقال الشرك افراط فتأمل والظاهر

ان الامر باتباع ابراهيم وتخصيصه من بين سائر الاديان يدل على ماذكر (قوله وهو لايلائم ظاهر الاية) اذ هو يدل على أن الذى ببكة الآن هو أوّل بيت وضع وأما النقل المذكور فيدل على أن أوّل بيت وضع للناس هو الضراح الذى رفع فى زمان الطوفان (قوله حال من المستكن الخ) وهو فاعل الفعل الذى هو العامل فى الظرف والتقدير للذى استقر ببكة مباركا (قوله لانه قبلتهم الخ) هذا علة على كونه هدى بالنسبة الى بعض العالمين لانه ليس بقبلة لكلهم فان قبلة بعضهم كاليهود بيت المقدس وأما العلة الثانية وهى قوله تعالى فيه آيات فيفيد انه هدى بالنسبة الى جميع العالمين (قوله كانحراف الطير عن موازاة الكعبة) أراد انها لاتطير فوق الكعبة بل تنحرف حتى لاتكون فوقها حال الطيران وقوله على مدى الاعصار أى من الزمان القديم الى الآن (قوله أى ومنها أمن داخله) هذا التقدير يناسب العطف على مقام ابراهيم على ماذكر أولا فى اعرابه وهو اذا كان مقام مبتدأ خبره منها وأما المناسب للتقدير الثانى فهو ماذكر ثانيا من كونه بدلا وهو أولى لعدم التقدير ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف (قوله كقوله عليه الصلاة والسلام الخ) فانه عليه السلام ذكر الثلاث ولم يذكر الاثنين لان قرة العين فى الصلاة ليست من الامور الدنيوية فلا يصح أن يجعل الثالث منها أقول يمكن أن يقال اذا أريد بأمور الدنيا أمور تحصل فيها وان كانت متعلقة بالآخرة باعتبار ظهور الاثر تكون قرة العين فى الصلاة من أمور الدنيا لكن المعنى الاول أولى وأحسن بمراتب كما لايخفى على ذوى البصائر فلذا حمل العلماء الحديث على المحمل الاول ووجه حسنه أنه صلى الله عليه وسلم لما عد الاثنين هم بالاعراض عن الأمور الدنيوية فكأنه قال فى نفسه مالى وللأمور الدنيا فاعرض عنها وذكر شيأ عظيما يتعلق بالآخرة (قوله لأن فيهما غنية عن غيرهما) أى فى ذكر مقام ابراهيم وأمن الداخل مايغنى عن ذكر غيرهما اذ الأول متضمن لبقاء الأثر برؤية القدم وفى الثانى الأمن من العذاب يوم القيامة والاول بالنسبة الى الدنيا والثانى بالنسبة الى الدار الآخرة (قوله وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله) قال العلامة الطيبى معناه كل ماتأتى به الى الشئ من الاسباب فهو سبيله

قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر بان يحجه و يطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه أول بيت بالشرف لابالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال ٩١ (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وأن ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره الله كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره أى منها مقام ابراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات أثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه (ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى أمن من دخله أى ومنها أمن من دخله أوفيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبى حنيفة من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن ألجئ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت أو الحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله ٩٢ (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج فى هذه الآية من وجوه

الدلالة

(قوله الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر) وجه كونه تأكيد اشعاره بان الحج كأنه أمر ثابت وجب من قبل لا حاجة له الى الأمر به فى هذا الزمان بل أخبر عن وجوبه الثابت وقال صاحب الكشاف وجه التأكيد اشعاره بانه هو واجب لله تعالى فى رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته أى لا ينفكون عن وجوب أدائه ووجوب الخروج عن عهدته (قوله فانه كايضاح بعد ابهام) لو حذف الكاف لكان أولى لانه فى الحقيقة ايضاح للمراد من الناس فانه أوضح ان المراد من الناس ليس العام الظاهر بل المقيد وهم المستطيعون ولذا قال صاحب الكشاف الثانى من وجوه التأكيد ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له فى صورتين مختلفتين (قوله لانه تكليف شاق) يمكن أن يقال ان هذا تعليل لتأكيد أمر الحج بالوجوه المذكورة أى قد أكد وجوب الحج فى هذه الآية من وجوه لأنه شاق الخ أى لما كان هذا التكليف تكليفا شاقا جامعا لأنواع المشقة أكد بالتأكيدات حتى يخافوا ويحذروا من تركه غاية الحذر ويمكن أن يقال علة الاشعار بعظم السخط أى انما أشعر بعظم السخط لأنه تكليف شاق فأكد غاية التأكيد ليخافوا ويحذروا من تركه (قوله وكفرت به خمس ملل) أى أصحابها هم اليهود والصابئون والنصارى والمجوس والذين أشركوا (قوله بمنع النسخ الخ) أى ابتغاء عوج سبيل الله تعالى الذى هو دين محمد صلى الله عليه وسلم يكون اما بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه اذا كان النسخ ممنوعا لم يثبت دين محمد صلى الله عليه وسلم كما هو حقه اذ هو دال على نسخ سائر الاديان وأيضا اذا تغيرت صفة الرسول المبعوث فى آخر الزمان المذكورة فى التوراة كان هذا متمسكهم أى اليهود فى ابطال الدين الحنيفى (قوله ولما كان المنكر فى الآية الأولى الخ) يعنى ان الشهادة تتعلق بالأمور الظاهرة ولذا ليس لأحد أن يشهد بشئ حتى يظهر عنده فلما كان كفرهم ظاهرا ناسب الشهادة ولما كان ذكر فى الغفلة مناسبا لاحتيالهم ولاخفاء مكرهم لأنهم لما كانوا يخفون الصد ويحتالون فيه كان ظاهر حالهم مشعرا بانهم على ان الله غافل عما

الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم أولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر [93] (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أى بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم أقبح لان معرفتهم بالآيات أقوى وانهم وان زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ما تعملون) والحال انه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار [94] (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو أى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما أو بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم (وأنتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون [95] (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح

يعملون اذ ليس من شأن من يعلم أنه تعالى مطلع على خفيات حاله وعمله أن يخفى مثل العمل المذكور (قوله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه) فعلى الأول ههنا مضاف محذوف وعلى الثاني تكون الباء بمعنى الى وعلى كل تقدير يكون فى الاعتصام تجوز كما سيجىء (قوله حق تقواه) فائدة هذا التقييد أنه يمكن أن يفهم من اتقوا الله انه يجب التقوى فى الجملة ولا يجب استفراغ الوسع فلما قيل حق تقاته اندفع ذلك التوهم (قوله كقوله فاتقوا الله ما استطعتم) يعنى ان معناه ومعنى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته واحد لا أن هذا منسوخ بالاول كما ذهب اليه بعضهم (قوله وفى هذا الامر تأكيد للنهى الخ) النهى عن طاعتهم هو الذى ذكر فى الآية السابقة وهى يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وانما كان تأكيدا له لان طاعتهم توجب أمورا

نهى الله تعالى عنها منها الشرك وهم مشركون بعبادة عزير والمسيح (قوله وقد يتوجه الى المجموع دونهما) أى دون الفعل فقط أو القيد فقط واعلم ان هذا التفصيل غير مذكور فى هذا الموضع من الكشاف ولك ان تقول اذا كان النهى متوجها بالذات نحو الفعل فلا فائدة فى ذكر القيد بل المناسب تركه لئلا يتوهم خلاف المقصود فان قولك لا تشرب الخمر عطشانا النهى فيه يتوجه بالذات الى أصل الفعل الذى هو الشرب فقيد العطشان يجب ان يترك لئلا يتوهم ان النهى يتوجه الى شربها فى الحالة المذكورة لا فى غيرها ويمكن ان يقال يجوز ان يكون فائدة القيد ان يعلم ان النهى عن الفعل فى الحالة المذكورة يوجب النهى عنه فى غيرها بطريق الاولى كما يقال لا تزن تائقا فانه لا شك ان النهى يتوجه بالذات الى مطلق الزنا لكن القيد المذكور يوجب النهى فى غير الحالة المذكورة بطريق الاولى لانه اذا كان منهيا عن حال التوقان ففى غيرها أولى (قوله وللوثوق به والاعتماد عليه) الاعتصام معطوف على قوله الحبل أى استعار للكتاب الحبل واستعار للوثوق به أى بالحبل الاعتصام (قوله أعداء الخ) فان قيل ما وقع قوله تعالى اذ كنتم أعداء قلنا انه ظرف للنعمة اذ هى بمعنى الانعام والمعنى واذكروا نعمة الله عليكم فى زمان كونكم أعداء فحصل التأليف والمحبة بينكم فان قيل كيف تكون العداوة والمحبة فى زمان واحد قلنا يمكن ان يكون حصول احداهما فى جزء منه والأخرى فى آخر نظير ما مر فى تفسير قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم بين انه بدل من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان واحد متسع

السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بان يخاطب أهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم ٩٦ (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه فى مجامع أموره (فقد هدى الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لا محالة ٩٧ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء ألفا (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى ٩٨ (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو لا تتفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم أعداء) فى الجاهلية متقاتلين (فألف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لابوين

فوقع

فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم ٩٩ (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فى النار (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف اليه أو لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو ألفا فى المذكر وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ١٠٠ (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لايصلح له كل أحد اذ للمتصدى له شروط لايشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يدعون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح دينى أو دنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (وأولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما أنكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ١٠١ (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ماعرفت (من بعد ما جاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله أجران ومن أخطأ فله

(قوله خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم الخ) فيه ان مجرد خطاب الجمع على النحو الذى ذكر لايفيد انه واجب على الكل لان معناه انه يجب على بعض منكم الأمر والنهى فهذا صريح فى انه يجب على البعض ويمكن ان يفهم من الآية انه واجب على الكل اذ الوجوب على البعض ليس على بعض معين ولا معنى للوجوب على البعض الغير المعين فتعين الوجوب على الكل فتأمل (قوله أو للتبيين الخ) هنا نظر لان أحد الاحتمالين باطل لانه لايخلو اما ان يصلح كل واحد للتصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر أولا وعلى الاول يبطل قوله اذ لايصلح له كل أحد وعلى الثانى يبطل الاحتمال الثانى وهو ان يكون من للتبيين وقد غير عبارة الكشاف فوقع فيما وقع وعبارته ان من للتبعيض وقيل للتبيين ويمكن ان يقال لما كان واجبا على الكل لايسقط بفعل البعض كما هو الشأن فى الكفارات فالوجوب على الجميع يناسب التبيين والسقوط بفعل البعض يناسب التبعيض والاولى ان يقال ان الأول نظر الى التصدى لمنصب الاحتساب العام والثانى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذا اطلع عليه مع القدرة فان كل أحد مكلف بذلك (قوله وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الخ) لك ان تقول النهى عن المنكر ليس من جملة الدعوة الى الخير بل هو ردع عن الشر والجواب ان النهى طلب الكف عن المنهى والكف عنه خير فطلبه دعوة الى الخير (قوله لان جميع ما أنكره الشرع حرام) ان أراد بانكار الشرع التحريم صار الكلام خاليا عن الفائدة وان أراد به مجرد النهى عنه فيكون جميع ما أنكره الشرع حراما ممنوع لان المكروه مما أنكره الشرع وليس بحرام ثم ان مفهوم كلامه ان كل منكر حرام وهو خلاف ماقاله العلماء قال الامام الغزالى فى الاحياء المنكر الذى يجب النهى عنه أعم من المعصية لان من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره مع ان شرب الصبى والمجنون الخمر ليس بمعصية ثم ان بعض العلماء قد صرح بان النهى عن المنكر يشمل النهى عن المكروه والعجب انه جعل الأمر بالمعروف منقسما الى الواجب والمندوب والظاهر ان يقال النهى كالامر ينقسم الى الواجب والمندوب فالنهى عن الحرام واجب والنهى عن المكروه مندوب (قوله والاظهر الخ) فيه ان ماثبت فيه الحجة والبينة الموجبة للاتفاق عليه لايصح التفرق والاختلاف فيه سواء كان أصلا أو فرعا واما اختلاف المجتهدين فليس مما ثبت فيه الحجة المذكورة فقوله والاظهر فيه مافيه بل الوجه ان يقال على التفسير المذكور النهى عام فى الاصول والفروع (قوله لقوله عليه السلام اختلاف أمتى رحمة) قال الشيخ الامام تقى الدين السبكى فى

فتاو به ليس اختلاف الامة رحمة وليس الحديث معروفا عند المحدثين ولم أقف له عن سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ولا أظن له
أصلا (قوله وقيل يوسم أهل الحق الخ) ظاهر هذه العبارة يدل على انه معنى لا يوجد في الكناية لكنه ليس كذلك لان الكناية
توجب صحة ارادة المعنى الحقيقي فيجب وقوع بياض وجوه المؤمنين وسواد وجوه الكافرين ويمكن ان يقال مراده من قوله وقيل
بيان جواز ارادة المعنى الحقيقي حتى تتحقق الكناية والاولى ان يقال المقصود منه ان المعنى بهذه العبارة المعنى الحقيقي وليست الكناية
(قوله وهم المرتدون الخ) على هذا التقدير لا يتبين حكم جميع الناس والاولى هو التفسير الثالث وهو ان يراد جميع الكفار
والحكم بان كل من كفر فهو كافر بعد الايمان لانه آمن حين خطاب ألست بربكم (قوله أوجزاء لكفركم) الظاهر

أجر واحد (وأولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم [102] (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بما في لهم من معنى الفعل أو باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعدما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم أو جزاء لكفركم [103] (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون [104] (تلك آيات الله) الواردة في وعده ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة بالحق لا شبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال [105] (ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور) فيجازي كلا بما وعد له وأوعد [106] (كنتم خير أمة) دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ أو فيما بين الامم المتقدمين (أخرجت للناس) أي أظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما أمر ان يؤمن به وانما أخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على

ان هذا على مذهب من جوز ان تكون الحروف الجارة ينوب بعضها عن بعض أو ان الباء قد تكون بمعنى اللام فتكون الباء ههنا بمعنى اللام والجزاء مقدر ويمكن ان يكون ما ذكره حاصل المعنى (قوله لانه لا يحق عليه شيء الخ) أي الظلم تارة يفسر بنقص حق الغير وليس لاحد حق في ملكه تعالى بل ما وجد في أيدي المخلوقين فهو حق خالص لله تعالى لا يشوبه شركة الغير وتارة يفسر بفعل يكون الفاعل ممنوعا منه اما شرعا أو عقلا وهو تعالى ليس ممنوعا عن فعل من الافعال اذ لا أحد يمنعه والعقل السليم لا يحكم بقبح شيء صدر منه (قوله دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ) لك ان تقول المناسب

التعبير بالجملة الاسمية ليدل على الدوام والثبات واما الفعل الماضي فوهم لثبوت خيريتهم في الزمان خلاف
الماضي دون الحال والجواب انه مدح ولا وجه لمدح شخص بما ثبت له فيما مضى ولم يثبت له في الحال بل اتصف بخلافه ثم انه من المعلوم
ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا صاعدين في الكمال والشرف الى آخر زمانهم فاذا كانوا خيرا في الزمان الماضي فبطريق الاولى
أن يكونوا خيرا في الزمان الآتي ولو عبر بالجملة الاسمية لم يعلم منها صريحا انهم خير في أول الامر (قوله أو فيما بين الامم المتقدمين) أي
مشهور في الامم الماضية ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم بان يعلم من الانبياء (قوله واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة)
فيه أن الظاهر أن المخاطبين بهذا الخطاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدل على صحة الاجماع مطلقا فان قيل قد ثبت عصمة الامة

عن الاجماع على الخطاب قلنا هذا دليل مستقل على أن الاجماع حجة فكونه حجة يفهم منه لا من الآية التى استدل بها ههنا (قوله لكان خيرا لهم الخ) فان قيل هذه العبارة تدل على ان ماهم عليه نافع لكن الاسلام أنفع لهم فما هذا النفع الذى حصل من دينهم قلنا الرياسة والحظوظ الدنيوية والامان بقبول الجزية (قوله وهذه الجلة والتى بعدها الخ) المراد بهذه الجلة قوله تعالى منهم المؤمنون وما عطف عليه والمراد بالتى بعدها لن يضروكم الا أذى وانما كان ذكرهما على سبيل الاستطراد لان المقصود الاصلى بيان ان أهل الكتاب لو آمنوا لكان خيرا لهم ولا يخفى أن الجلتين المذكورتين لا يفيدان ذلك الغرض (قوله للتراخى فى الرتبة) فان عدم كونهم منصورين بل مخذولين أعظم درجة من توليهم الادبار وفرارهم ومفهوم كلامه ان ثم على تقدير الجزم للتراخى فى الرتبة وأما على تقدير عدمه فتكون بمعنى التراخى فى الزمان لكن عبارة الكشاف صريحة فى انها على تقدير عدم الجزم للتراخى فى الرتبة فانه صرح بان ثم لا ينصرون عطف على جلة الشرط والجزاء وان ثم للتراخى فى الرتبة (قوله الا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله تعالى الى قوله واتباع سبيل المؤمنين) فيه ان ذمة المسلمين هى قبول الجزية فعلى تقدير أن تكون الذلة قبول الجزية كما هو بعض الاحتمالات التى ذكرها كان معنى الكلام ضربت عليهم الجزية فى كل حال الا فى حال الالتباس بقبول الجزية وهذا كلام متناقض وعبارة الكشاف ههنا ان المعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية انتهى وليس فى كلامه أن الذلة هى الجزية ويمكن أن يقال اذا أريد بالذلة الجزية يكون المراد من الحبلين المذكورين دين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين واذا أريد من الذلة هدر النفس والمال والاهل كان المراد من الحبلين التمسك بالكتاب وقبول الجزية وهذا التفصيل هو مراد المصنف (قوله وقيل معناه الخ) يدل على ان المعنى الاول وهو أن يكون ذلك الثانى اشارة الى الكفر والقتل أرجح من أن يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة وايجاب الغضب ووجه رجحان الاول أنه على التقدير الثانى لا حاجة الى تكرير لفظ ذلك بل يكفى ان يقال ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق وبما عصوا وكانوا يعتدون اذ على هذا التقدير كل من المذكورات سبب ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب وأيضا المعنى الاول يفيد فائدة لم يفدها المعنى الثانى وهى أن العصيان الصغير يفضى الى الكبير والاصرار على الكبيرة يفضى الى الكفر (قوله فى المساوى) هذه العبارة موهمة للمعنى المخالف للمقصود اذ المتبادر من نفى التساوى فى المساوى أن يكون لكل منهم مساو بعضهم أكثر مساو لكن الاولى أن يقال المراد ليسوا سواء فى الحال ولذا قال صاحب الكشاف ليسوا مستوين ولم يذكر فى المساوى

خلاف ذلك (ولو آمن أهل الكتاب) ايمانا كما ينبغى (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر وهذه الجلة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد [١٠٧] (لن يضروكم الا أذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر [١٠٨] (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من أعم عام الاحوال أى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله واليهود فى غالب الامر فقراء ومساكين (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا (ذلك) أى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع أيضا [١٠٩] (ليسوا سواء) فى المساوى والضمير

(قوله عبر عنه بالتلاوة الخ) أى عبر عن تلاوة القرآن فى التهجد بما ذكر لانه أظهر دلالة على المدح اذ يمكن أن يفهم من التهجد غير الصلاة وأبلغ لذكر الآناء بلفظ الجمع واعلم أن التهجد هو الصلاة بعد النوم ولم يعلم من التلاوة آناء الليل ان يكون بعد النوم بل يمكن قبله وتبع فى هذا الكشاف الا أن يقال المراد منه عدم النوم لا ترك النوم كما هو معناه اللغوى (قوله بشارة لهم الخ) هذا كله بسبب ذكر قوله والله عليم بالمتقين بعد ذكر عدم الكفران أى الحرمان اذ فى هذا الذكر اشعار بان عدم الكفران بسبب التقوى (قوله ماينفق الكفرة الخ) لا يظهر وجه تخصيص الرياء بالمنافقين والسمعة بالكفرة فان الرياء قصد اراءتهم والسمعة قصد اسماعهم وكل منهما يجرى فى كل منهما والاولى أن يقال ماينفق الكفرة قربة أو مفاخرة أوخوفا أورياء أوسمعة (قوله أونعت وصف به البرد) انما قدر له موصوف لانه اذا كان بمعنى الصفة كان بمعنى البارد فصار معنى الكلام كمثل ريح فيها بارد ولا يصح ذلك الا بتقدير موصوف حتى يصير المعنى كمثل ريح فيها برد قائم بالبرد فلزم بردان فان قلت لا يخفى ان هذا المعنى الحقيقى غير مطابق الواقع فما وجه ذلك قلنا معنى قولهم برد بارد برد شديد أو النسبة بطريق المجاز العقلى (قوله لان الاهلاك عن سخط أشد) أى انما شبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم لان اهلاك حرث القوم المذكور يكون عن سخط وهذا الاهلاك أشد فيفيد احباط أعمالهم أشد الاحباط (قوله وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال الخ) يعنى لما كان هذا التشبيه تشبيها للحالة المركبة من الانفاق وظهوره فى الدنيا دون الآخرة بالحالة المركبة الاخرى التى هى ظهور الحرث أولا ثم عروض الريح المذكورة واهلاكه لم يجعل كلمة التشبيه واردة على الحرث فعلم من ذلك أن التشبيه ههنا لم يكن تشبيه ماينفقون بالحرث ولو كان كذلك لوجب اقتران كلمة التشبيه بالمشبه به الذى هو الحرث ووجه الشبه عدم الانتفاع بما شأنه النفع مع توقع الانتفاع والسعى فى تحصيله واعلم ان صاحب الكشاف ذكر فى تفسير قوله تعالى مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع انه لابد من تقدير مضاف وتقديره مثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق وقال العلامة التفتازانى انما وجب تقدير المضاف لان التشبيه وان كان مركبا لكن لا خفاء فى أن المناسبة تقتضى اضافة المثل فى الطرفين الى المتناسبين انتهى كلامه وعلى هذا يجب تقدير مضاف ههنا لكن ظاهر كلام الكشاف دال على انه لا يجب التقدير حيث قال هو من التشبيه المركب ويجوز ان يراد مثل اهلاك ماينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ماينفقون

لاهل الكتاب (من أهل الكتاب أمة قائمة) استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم (١١٥) (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطؤن عن الخيرات (وأولئك من الصالحين) أى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه (١١١) (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه ألبتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو أهل التقوى (١١٢) (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا (وأولئك أصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون (١١٣) مثل ماينفقون) ماينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء أوخوفا (فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) أى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم

اصحاب

كمثل ثلاث ريح وهو الظاهر من عبارة المصنف أيضا فليتأمل (قوله وقرئ ولكن أنفسهم يظلمونها الخ) أى قرئ لكن بالتشديد حتى يكون من الحروف المشبهة بالفعل وعلى هذا يكون أنفسهم اسما له فيجب تقدير مفعول يظلمون ولا يجوز ان يكون أنفسهم مفعول يظلمون والا لوجب تقدير ضمير شأن ليكون اسما للكن لكن لا يجوز تقديره بعد لكن الا فى الشعر بحسب الاستعمال (قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق) انما قدر ههنا ضمير الشأن لان من يبصر الخ جملة شرطية جزاؤها يعشق فلو جعل من الشرطية اسما للكن لزم أن لا يكون للكن خبر فتعين أن يكون من الشرطية مع الجملة التى بعده خبرا والاسم محذوف ولا يصح أن يكون ههنا شئ مقدرا الا ضمير الشأن (قوله على تضمين معنى المنع أو النقص) فان قيل قوله هذا موافق لما قال فى الكشاف هذا نحو قولهم لا آلوك جهدا ولا آلوك نصحا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصك و يفهم منه ان التضمين ليس بالمعنى المشهور والذى ذكر فى أوائل الكتاب من انه جعل المتضمن فيه على معناه والمضمن حالا كما فى أحمد الله اليك ان المعنى أحمد الله منتهيا اليك بل معنى التضمين ههنا استعمال اللفظ فيما يتضمنه و يستلزمه ولذا قال العلامة التفتازانى معنى لا آلوك جهدا لا أمنعك جهدا الا من قصر فى حقك فقد منعك شيأ مع انه صرح فى أوائل الحاشية بان معنى التضمين أن يبقى الفعل المذكور على معناه الحقيقى مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية فقولنا أحمد اليك فلانا أحمد منهيا اليك حمده و يقلب كفيه على كذا معناه نادما على كذا وقد يعكس أى يجعل المذكور حالا والمضمن أصلا كما قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب ان معناه يعترفون ولا بد من اعتبار الحال أى يعترفون به مؤمنين والا لكان مجازا محضا لا تضمينا فهذا المذكور فى أوائل الحاشية مناقض لما ذكره ههنا قلنا ما ذكروا ههنا محمول على الوجه الثانى من وجهى التضمين فيكون المعنى ههنا لا يمنعونكم خبالا مقصرين كما قالوا فى تفسير يؤمنون بالغيب ان معناه يعترفون بالغيب مؤمنين فيكون نفيا للمنع والتقصير فى الخبال فان النفى الوارد على الفعل المقيد قد يتوجه الى الفعل والقيد معا كما فى قوله ما جئتك راكبا لنفى المجئ والركوب معا وقدمر فى كلام المصنف مثله فان قيل اذا صح المجاز فما وجه اعتبار التضمين وانه تكلف قلنا اعتبار زيادة المعنى لأنه فى صورة المجاز يعتبر معنى واحد هو المعنى المجازى وفى صورة التضمين يعتبر معنيان المضمن والمضمن فيه فتأمل (قوله لان بدوه ليس عن روية واختيار) يعنى انهم بذلوا الجهد فى خفاء البغض لكن قد يظهر منهم آثار البغض من غير اختيار تام فيكون ما يخفى صدورهم أكبر لأنه حصل من بذل وسعهم وغاية جهدهم (قوله مستأنفات الخ) أى عللا لعدم أخذ المؤمنين بطانة من دونهم والجمل الأربع هى قوله تعالى لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات الآية فان كلا منها صالح لعدم أخذ البطانة المذكورة واما الجمل الثلاث فهى من قوله لا يألونكم خبالا الى قوله تعالى وما تخفى صدورهم أكبر والفرق بين الوجهين أنه على التقدير الاول يفيد عدم اتخاذ البطانة من دونهم مطلقا وعلى الثانى ان كانت الصفة مقيدة كان النهى مخصوصا بالمتصف بالصفات المذكورة فان كانت مبينة كانت عامة (قوله أو هو خبر ثان أو خبر لأولاء) على الأول أولاء اشارة الى المؤمنين وعلى الثانى اشارة الى الكافرين المخالفين على قياس أنت زيد تحبه يمكن وجه آخر

أصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أى ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا فى ضرورة الشعر كقوله

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

114 (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وليجة وهو الذى يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أى بطانة كائنة من دونكم (لا يألونكم خبالا) أى لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير وأصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص (ودوا ما عنتم) تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من أفواههم) أى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم (وما تخفى صدورهم أكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الاول صفات لبطانة 115 (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم فى موالاتهم وهو خبر ثان

أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من أجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أى وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على أسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم 116 (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم أو على مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم أو ما حرم الله جل جلاله عليكم (لا يضركم كيدهم شيأ) بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن الجد فى الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريأ على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) أى محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أى بما يعملون فى عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه 117 (واذ غدوت) أى واذكر اذ غدوت (من أهلك) أى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوّئ المؤمنين) تنزلهم أو تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الأربعاء ثانى عشر شوّال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يارسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدوّ الأصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل

(قوله دعاء عليهم الخ) عبارة الكشاف ان المراد بزيادة غيظهم زيادة ما يغيظهم من قوّة الاسلام وعز أهله فيكون دعاء زيادة الغيظ كناية عن دعاء قوّة الاسلام وقال العلامة التفتازانى يشير الى ان هذا من كناية الكناية عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذى هو دعاء زيادة غيظهم الى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذى هو قوّة الاسلام وعز أهله فهو يفيد ان المقصود قوّة الاسلام الموجب لغيظهم الموجب لهلاكهم فلا يحصل الترتيب المذكور بل المعنى مجموع ما ذكر من الدعاء بزيادة الغيظ وقوّة الاسلام المفضى الى هلاكهم فتأمل (قوله ولا تتعجب) ظاهر النهى عن التعجب المذكور يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم اطلاعه تعالى على ما فى الصدور فالأولى الوجه الأول (قوله ولأن الجد) هذا يدل على ان الدعوى التى هى عدم ضير كيدهم أصلا مسبب عن الجد المذكور وفيه ما فيه لان الجراءة على الخصم لا تنافى ضير الخصم فالأولى الاقتصار على ما ذكره أولا كما فعله صاحب الكشاف فان قيل كيف وقع الضرر على المسلمين من كيد العدو يوم أحد قلنا هذا من عدم الصبر والتقوى لأن بعضهم خالف أمر النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى السير وسيجىء

(قوله والظاهر انه ما كانت عزيمة الخ) أى ليس أمرا صادرا باختيارهم وقصدهم بل بمجرد خاطر وحديث نفس حصل بغير اختيار لأن العزيمة المذكورة لاتناسب من كان الله وليه وانما قال الظاهر لأنه يمكن حصول العزم ثم ولاية الله لهم بازالته والصبر والثبات على الحرب وما نقل فى الكشاف عن ابن عباس من انهم أضمروا أن يرجعوا فعصمهم الله يدل ظاهرا على انهم عزموا على الرجوع لأن أضمروا يدل على انهم قصدوا الرجوع باختيارهم وهذا هو العزم

يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا (118) (اذ همت) متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الأوس وكانا جناحى العسكر (أن تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى زهاء ألف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبى فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصارى وقال أنشدكم الله والاسلام فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) أى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة و يجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان ولايتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليتوكلوا عليه ولايتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (119) (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ما أفادهم التوكل و بدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وأنتم أذلة) حال من الضمير وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لأنه سببه (120) (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار أن لايكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج (121) (بلى) ايجاب لما بعد لن أى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) أى المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه وهو فى الأصل مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التى لاريث فيها ولاتراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم بلاتراخ ولاتأخير (مسومين) معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم و يعقوب بكسر الواو (122) (وما جعله الله) وما جعل امدادكم بالملائكة (الا بشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر

(قوله ليدل على قلتهم) لان هذا الوزن وزن جمع القلة (قوله أو لعلكم ينعم الله عليكم) هكذا عبارة الكشاف وقال العلامة التفتازانى يعنى انه كناية أو مجاز عن نيل نعمة أخرى توجب الشكر هذا كلامه يعنى انه يمكن ان جملة يشكرون كناية عن نيل نعمة أخرى فيكون المراد المعنى الغير الحقيقى مع جواز ارادة المعنى الحقيقى أو يجعل مجازا بان يراد المعنى الغير مع عدم جواز ارادة المعنى الحقيقى ولك أن تقول لايخلوا ما أن يكون ههنا صارف مانع عن ارادة المعنى الحقيقى أولا فان كان الاول فلا يجوز ان يكون كناية وان كان الثانى فلا يجوز ان يكون مجازا فلا وجه للابهام بقوله انه كناية أو مجاز بل الحق انه كناية لانه لامانع من ارادة الحقيقى والذى يخطر لى ان غرض صاحب الكشاف ان ههنا مقدرا وكانه فى الاصل لعلكم بنعم الله عليكم فتشكرون فحذف الجملة والفاء وأقيم تشكرون موضع ما حذف (قوله اشعارا بانهم كالآيسين عن النصر) تبع فيه الكشاف فانه قال وانما جيء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر وفيه شيآن أحدهما ان كون لن لتأكيد النفى مما رده صاحب المغنى حيث قال ولا يفيد لن تأكيد النفى خلافا للزمخشرى فى كشافه الثانى أنه ان سلم اشعاره بالياس كان اشعاره باليأس من كفاية امداد الله لهم بآلاف من الملائكة وليس من شأن المؤمنين أن يظنوا ان امداد الله تعالى لهم بآلاف من الملائكة غير كاف لهم والجواب ان هذا القول لهم يشعر بانهم لشدة يأسهم عن النصر

لما ذكر كأنهم انكروا عدم كفاية امداد الله تعالى بالملائكة المذكورة (قوله أو وما النصر ان كان اللام فيه للعهد) اذا كان اللام للعهد كان المعنى النصر المعهود الواقع يوم بدر ليقطع طرفا من الذين كفروا ولا يخفى ان مطلق النصر ليس لما ذكر (قوله للتنويع دون الترديد) لان القطع والكبت وقعا معا فلا يناسب الترديد الذي يكفي فيه أحدهما مبهما (قوله و يحتمل أن يكون معطوفا الخ) لا يخفى ان العطف المذكور على هذين الاحتمالين من عطف الخاص على العام لكن عطف الخاص على العام بأو محل النظر بل لا يظهر للتركيب على الاحتمال الثاني

وهو أن يكون العطف على شيء معنى ملائم ولعل صاحب الكشاف يضعف الاحتمالين المذكورين لما ذكرنا قال وقيل ان أو يتوب منصوب باضمار ان وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أو على شيء وكأنه لم يستحسن هذا الوجه ولم يرتض به والمصنف ذهل عما أشار اليه صاحب الكشاف فجزم بالاحتمال المذكور (قوله صريح في نفي وجوب التعذيب الخ) لانه علق بالمشيئة فلو كان واجبا لما صح تعليقه بها ثم ان التقييد بالتوبة وعدمها وهو أن يكون المعنى يغفر لمن يشاء بالتوبة و يعذب من يشاء بعدمها كالمنافي لظاهر الآية اذ هو يدل على انهما معلقان بالمشيئة مطلقا لكن التقييدين المذكورين منافيان للاطلاق المذكور واعلم ان التعليق بالمشيئة كما ذكرنا يفيد بحسب الظاهر ان لا وجوب لاحدهما لكن مذهب المعتزلة انه يجب التعذيب لمن لم يتب و بين هذين الامرين تناف وانما قال كالمنافي لاحتمال أن يكون المراد من الآية التقييد وان كان خلاف الظاهر جدا (قوله ولعل التخصيص بحسب الواقع الخ) ليس المراد من قوله تعالى أضعافا مضاعفة ان هذا النوع من الربا حرام دون غيره بل تخصيصه بالذكر لاجل ان بعض الناس كان يأكل الربا أضعافا مضاعفة فنزلت الآية في شأنه (قوله وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار و بالعرض للعصاة) أي المقصود بالذات من خلق النار عذاب الكافرين وأما قصد عذاب العصاة بها فانما هو لاجل تشبههم بالكفار (قوله دليل عزة التوصل الخ) أي قلة التوصل الى ما جعل خبر الواحد منهما وهو الرحمة فيما نحن فيه وانما كان دليلا عليها اذ المفهوم من ظاهره ان اطاعة الله والرسول لا توجب الجزم بالرحمة مثلا واذا كان كذلك

(ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الا من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما أمدهم و وعدهم به بشارة لهم و ربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الأسباب أكثر وحثا على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم (العزيز) الذي لا يغالب في أقضيته (الحكيم) الذي ينصر و يخذل بوسط و بغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم أو وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم (أو يكبتهم) أو يخزيهم والكبت شدة الغيظ أو وهن يقع في القلب وأو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعي الآمال [123] (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شيء وانما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شيء باضمار ان أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وان تكون أو بمعنى الا أن أي ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه و يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) قد استحقوا التعذيب بظلمهم [124] (ولله ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملكا فله الامر كله لا لك (يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له (والله غفور رحيم) لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم [125] (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر و يعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح [126] (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له [127] (وسارعوا) بادروا

كان الوصول اليها عزيزا فيكون المراد من القلة القلة الاضافية لانه لما لا تستلزم الطاعة الرحمة فقد تنفك الاولى عن الثانية لشقاء الخاتمة نعوذ بالله فوجود الثانية بالنسبة الى الاولى قليل فان قيل لا يخفى أن اطاعة الله والرسول تستلزم الرحمة مع ان بعضهم صرحوا بان عسى ولعل فى القرآن الكريم للايجاب وكلام صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون فى أوائل سورة البقرة قريب من هذا قلنا وان كان الامر كذلك لكن ايراد لعل التى هى فى الاصل بمعنى الرجاء يفيد بحسب الظاهر نظرا الى معناه الحقيقى أن اطاعة الله والرسول لا تستلزم الرحمة فيكون الوصول اليها عزيزا قليلا وفيه ما فيه والاولى أن يقال ان المراد من عزة التوصل قوة شرف التوصل بالمذكورة والدليل عليه انه لما كان لعل مفيدا بحسب الظاهر لعدم استلزام الطاعة المذكورة الرحمة كان الوصول اليها فى غاية الشرف (قوله وانها خارجة عن هذا العالم) أى عن السموات والأرض اذ ثبت أن عرض الجنة مساو لعرضهما فلو لم تكن خارجة عنهما لزم تداخل أحدهما أى أحد المتساويين فى الآخر فلزم تداخل الاجسام

وهذا مطابق لما روى عن أنس رضى الله عنه انه قال الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وأيضا اذا كان العرض الذى هو أقصر الامتدادين مساويا للسموات والارض فطولها الذى هو أطول الامتدادين أعظم منهما فيجب أن تكون الجنة خارجة عنهما وفيه نظر فتأمل فان قيل هذا يفهم من قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض فلم خصصه بانه مفهوم من أعدت قلنا معنى كونها خارجة عن هذا العالم ان مكانها خارج عن مكان هذا العالم الذى هو السموات والارض ولا يفهم من كون عرض الجنة كعرض السموات والارض انها خارجة عن هذا العالم أى مكانها خارج عن مكانهما اذ يمكن أن تعدم السموات والارض وتوجد الجنة مكانهما فكان عرضها كعرضهما مع ان مكانها على هذا التفسير عين مكانهما لا خارجا عنه فلا يلزم خروجها عن هذا العالم بل يفهم ما ذكر من أعدت للمتقين اذ لما كانت الجنة موجودة الآن ولا يمكن أن لا يكون مكانها خارجا عن مكانهما للزوم التداخل لزم أن تكون الجنة خارجة عنهما واعلم أن العلامة التفتازانى ذكر فى تفسير كلام الكشاف ان المراد من التشبيه المذكور المبالغة فى اتساع الجنة وليس القصد تحديد عرض الجنة ليمتنع كونها فى السماء هذا كلامه ولا يخفى ان هذا مناف لكلام المصنف وهو انه يفهم من الآية كون الجنة خارجة عن هذا العالم (قوله أو مدح منصوب أو مرفوع) فالاول أن يكون بتقدير أمدح الذين ينفقون والثانى أن يكون بتقدير هم الذين ينفقون (قوله بالندم الخ) أراد ان لا يكفى أن يقول المذنب أستغفر الله بل يجب التوبة والندم (قوله تذكروا) انما فسر به ليعلم أن المراد بالذكر الذكر القلبى لا اللسانى والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة ان قيل المفهوم من قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله حصر المغفرة وقصرها عليه وأما سعتها وعمومها فكيف يفهم قلت يفهم من ايراد الجمع المحلى باللام اذ يفهم ان كل ذنب صدر من الشخص

وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (أعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم 128 (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع (فى السراء والضراء) فى حالتى الرخاء والشدة أو الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى أمتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم 129 (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (أو ظلموا أنفسهم) بان أذنبوا أى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد فى

اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) حال من يصروا أي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به
130 (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان
ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين أو على الذين ينفقون ولا يلزم من
اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان مالهم أدون مما للمتقين الموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بان بين
انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى
التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم أجر العاملين) لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء
بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
131 (قد خلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا من قبل وقيل أمم قال

ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولا رأوا مثله في سالف السنن

(فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم
132 (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله قد خلت أو مفهوم قوله فانظروا
أي أنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين أو الى مالخص من أمر المتقين
والتائبين وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن 133 (ولا
تهنوا ولا تحزنوا) تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا
تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم شأنا فانكم على الحق
وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار أو لانكم أصبتم
منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أو وأنتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر
والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب
بالوثوق على الله أو بالاعلون 134 (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) قرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم
لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم أولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام
نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والأيام تحتمل الوصف والخبر ونداولها

لا يغفره الا الله وهو يستلزم سعة المغفرة (قوله تعالى وهم يعلمون) اشارة الى ان من لم يعلم كونه فعل ذنبا وأصر به بسبب جهله فلعله كان مغفورا واعلم أن صاحب الكشاف صرح بان النفي منصب على الفعل والقيد وفسره العلامة التفتازاني بان النفي متوجه على الاصرار من غير اعتبار نفي القيد واثباته وقال هو المناسب للآية أقول بل لا يمكن أن يتوجه النفي الى القيد وهو العلم والمقيد والقيد معا لان ماسبق وهو قوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم يدل على علمهم (قوله جملة مستأنفة الخ) أي ان عطفت والذين اذا فعلوا فاحشة على المتقين أو على صفته وهي الذين ينفقون كان أولئك الخ جملة مستأنفة والفرق بين هذين الوجهين ان الذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول غير المتقين وعلى الثاني داخل فيهم (قوله وتنكير جنات على الاول الخ) أي على كونه خبرا لقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة يدل تنكير جنات على ماذكر وجه الدلالة ان تنكير جنات التي هي جمع قلة يدل على التقليل فيكون فيه تقليلان أي لهم جنات قليلة بالنسبة الى الجنة التي هي عرضها السموات والارض أعدت للمتقين (قوله مستوجبون) هذا بظاهره مخالف لكلام أهل السنة ويمكن أن يراد من الاستيجاب اللزوم عادة (قوله لهذه النكتة) أي للاشعار بان العامل المذكور كالاجير (قوله فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين) انما قال ذلك لان أصل الهدى والموعظة قد حصل للمتقين يحتمل
(قوله قد خلت اعتراض الخ) هذا على التقدير الاخير (قوله وحالكم انكم أعلى شأنا منهم) يفيد علو شأن الكافرين لكن ليس لهم علو الا نظرا الى أمور الدنيا أو غلبتهم على المؤمنين يوم أحد ولو قيل المراد بالاعلى ههنا المبالغة في العلو لكان أولى (قوله ونداولها

يحتمل الخبر والحال) اذا كانت الأيام وصفا كان نداولها خبرا وان كان خبرا يحتمل أن يكون نداولها خبرا وان يكون حالا (قوله ليكون كيت وكيت الخ) أى ليكون قتل الكافرين ودخولهم جهنم وشهادة المسلمين ودخولهم الجنة ورفعة الاسلام (قوله والقصد فى أمثاله الخ) أى الغرض من تعليل الشئ بحصول علمه تعالى مثلا أو نفيه ليس حصول علمه تعالى أو نفيه بل الغرض من قوله وليعلم الله الذين آمنوا مثلا وجود المؤمنين الثابتين بطريق البرهان فان علمه تعالى بهم دليل على ثبوتهم وحينئذ نقول لايخفى اما أن يكون المراد من اثبات المعلوم اثباته فى الخارج فيلزم أن يكون ثبوته فى الخارج أزليا والالم يصح الاستدلال من علمه تعالى على ثبوته اذ صحة الاستدلال انما هو بالاستلزام أو يكون المراد اثباته فى علم الله تعالى ولايخفى أن اثباته فى علم الله تعالى وعلمه تعالى به واحد فلا وجه للحكم بالقصد الى الاول دون الثانى والجواب باختيار الاول ولا يلزم أزلية المعلوم فى الخارج لان المراد من العلم هو تعلق العلم الحادث أى التعلق بالموجود الحالى فتأمل (قوله أو يتخذ منكم شهودا معدلين

الخ) قال فى الكشاف أو وليتخذ منكم بالشهادة من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم على الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس انتهى وفيه ان كونهم شهداء على الناس بواسطة كونهم عدولا وأفضل من غيرهم من الامم وكونهم كذلك موجب اصلوح الشهادة اما صبرهم على الشدائد فكونه موجبا لصلوح كونهم شهودا لايخلو عن خفاء الاأن يقال الصبر على الشدائد فى سبيل الله ينبئ عن قوة الايمان وهى تنبئ عن العدالة وهى موجبة لصلوح كونهم شهودا والاولى أن يقال المراد من الصبر على الشدائد الجهاد ومن لم يصبر عليها وفر من الجهاد صار صاحب الذنب الكبير وخرج عن العدالة على التفصيل المذكور فى كتب الفقه (قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة الخ) لما كان الاستفهام للانكار دل الكلام على ان دخول الجنة لايكون بدون الجهاد وليس كذلك الاأن يقال المراد دخول الجنة أول الامر لكن المتخلف عن الجهاد من غير عذر لايدخلها الابعد دخول النار لجزاء التخلف فتأمل (قوله ولم تجاهدوا) دل على ان نفى العلم بالمجاهدين كناية عن نفى الجهاد (قوله على ان أصله يعلمن) أى بنون التأكيد تشبيها للنفى بالنهى على ان الواو للجمع (قوله وهو توبيخ لهم الخ) لكن المقصود نفى الامرين جميعا (قوله وهو توبيخ لهم الخ) فان قيل مم انهزامهم يستفاد قلنا من معاينة الموت وقتل اخوانهم اذ فيه اشعار بانهم لولم ينهزموا لقتلوا كاخوانهم وعبارة صاحب الكشاف أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذه العبارة أوضح دلالة على انهزامهم اذ يفهم منها انهم شارفوا على القتل فلولم ينهزموا لقتلوا كاخوانهم (قوله فان فى تمنيها تمنى

يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة أى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالايعلم أو الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى أمثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء أحد أو يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد (والله لايحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين 135 (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا 136 (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان أصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون 137 (ولقد كنتم تمنون الموت) أى الحرب فانها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحد على الخروج (من قبل ان تلقوه) من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها أو على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى

غلبة الكفار) أى الثانى فى ضمن الاول وان لم يكن قصدهم الامر الثانى والتوبيخ لتقصيرهم فى النظر حتى يعلم واستلزام الاول الثانى (قوله ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل) فيه خفاء اذ لا يفهم مما ذكر وهو كون الموت بالأجل وأنه باذن الله تعالى الحفظ ولا تأخير الاجل بل يفهم مجرد التشجيع وان الجهاد والحرب لا يغير الاجل المعين واعلم ان صاحب الكشاف قال ان من فوائده ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل وهذا كلام صحيح وأما كونه وعدا على ما ذكر المصنف ففيه نظر ويحتاج ما ذكره الى شئ آخر والفرق بين ما ذكره صاحب الكشاف وبين ما ذكره المصنف ان الآية على قول صاحب الكشاف تذكير ما وقع فى الماضى وعلى ما ذكره المصنف وعد النبى صلى الله عليه وسلم بما سيجيء فى المستقبل

غلبة الكفار [138] (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته روى أنه لما رمى عبدالله بن قميئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبى عليه الصلاة والسلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه [139] (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئة الله تعالى أو باذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس أجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) صفة له أى مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانهزم المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد [140] (وكأين) أصله أى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه أنه قلب الكلمة الواحدة كقولهم

(قوله انكار لارتدادهم الى قوله بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به قد جعل الفاء للتعقيب ويفهم مما ذكر ان ههنا مقدرا وكأنه قيل وعلم تحقق موتهم وبقاء دينهم متمسكا به أفان مات الخ فيكون انكار الارتدادهم وانقلابهم بخلوه عليه الصلاة والسلام بعد علمهم بما ذكر أى بعد العلم بما ذكر يجب عدم الارتداد لا الارتداد (قوله وقيل الفاء للسببية الخ) هذا كلام صاحب الكشاف وتبعه المعلقون عليه وغيرهم وفيه نظر اذ لا معنى لجعل خلو الرسل وبقاء دينهم متمسكا به سببا لما ذكر حتى يحتاج الى انكاره بل يجب ان يجعل الاول سببا لنقيض ما ذكر اللهم الا أن يتكلف تكلفا بعيدا والوجه أن يقال ان الفاء فى مثل هذا المقام مقدم على الهمزة فى التقدير لكن قدمت الهمزة لصدارتها من حيث الاستفهام والتقدير فأن مات الخ فتكون الباء لسببية خلو الرسل بقاء دينهم لانكار ارتدادهم بموته صلى الله عليه وسلم أى لما خلت الرسل وبقى دينهم بعدهم ينبغى ان لا يصير وامر تدين بعد موته صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما قلنا من ان الهمزة مؤخرة فى التقدير عن حرف العطف فى مثل هذا المقام المذكور هو مذهب الجمهور قال صاحب المغنى اذا كانت الهمزة فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على اصالتها فى التصدير وتجعل أخواتها متأخرة عن حرف العطف كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو وكيف تكفرون وانى تؤفكون هذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى انتهى وهذا المذهب أوقع الزمخشرى فيما ذكر

وعلى

رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الاخرى ألفا كما أبدلت من طائى (من نبى) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء أتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون أو ضمير النبى ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله) فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبى أو بعضهم (وما ضعفوا) عن العدو أو فى الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به مايريده والالف من اشباع الفتحة أو استكون من الكون لانه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم و يعظم قدرهم [141] (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) أى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم هضما لها واضافة لما أصابهم الى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لأن أن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله [142] (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم) أى الى الكفر (على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم [143] (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره [144] (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ماقذف فى قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (مالم ينزل به سلطانا) أى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) أى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر

(قوله ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد) لان هذا البناء يدل على التكثير فالانسب أن يكون قتل مسندا الى الجماعة التى هم الربيون حتى يتحقق الكثرة وفيه ان النبى متعدد فى المعنى لان كأين للكثرة و يمكن الجواب بان الكثرة أنسب بالربيين لانهم أمم الانبياء والامم أكثر من أنبيائهم وأيضا كثرة النبى باعتبار المعنى وكثرة الربيين باعتبار اللفظ والثانى أولى بالاعتبار و بالجملة فادة الكثرة فى الربيين أظهر من كائن من نبى ويؤيد ماذكرنا افراد ضمير منه الراجع الى نبى (قوله وهذا تعريض بما أصابهم الخ) فان بعض المؤمنين ضعفوا واستكانوا حيث قالوا ليت ابن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان (قوله ليكون عن خضوع وطهارة الخ) أى أخروا طلب التثبيت عن دعاء مغفرة الذنوب ليكون دعاء التثبيت أقرب الى الاجابة لان دعاء الطاهر من ذنوبه الخاضع لله أقرب الى الاجابة (قوله لان ان قالوا أعرف) وحق الاعرف ان يكون مسندا اليه (قوله لدلالته على جهة النسبة و زمان الحدث) أى دلالته على ان نسبة القول اليهم بطريق صدوره عنهم فان قالوا صريح فى انهم فاعلوا القول فتكون نسبة القول اليهم بجهة الفاعلية بخلاف قولهم فانه ليس فى الاضافة تصريح بانهم فاعلو القول المذكور اذ يكفى فى الاضافة أدنى ملابسة

(قوله بسبب الاستغفار الخ) هذه السببية تستفاد من الفاء (قوله بالضم) أى بضم العين (قوله وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر) أى المراد من قوله تعالى مالم ينزل به سلطانا انهم جعلوا شركاء لله ماليس لهم حجة فى الواقع على كونهم شركاء ولا تنزل أيضا والغرض دفع ان يتوهم مما لم ينزل ان له حجة فى الواقع لكن لم تنزل كما ان الظاهر من المصراع المذكور نفى الانجحار وان كان المقصود ان ليس بها ضب ولا انجحاره (قوله فوضع الظاهر موضع المضمر) أى وضع مثوى الظالمين موضع مثواهم للتغليظ فان وصف الظلم يوجب تغليظ

الامر على الظالم ولذا كرعلة سوء المثوى فان الظالم يستحق ان يكون مثواه سيأ (قوله من أحسه اذ أبطل حسه) هذا لا يخلو عن بعد وقول الصحاح يدل على ان أصل معنى حس قيل قال حسناهم بمعنى استأصلناهم قتلا قال تعالى اذ تحسونهم باذنه وكلام الكشاف يوافق كلام الصحاح (قوله تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة) يفهم منه ان العفو عنهم لما علم من ندمهم على المخالفة

للتغليظ والتعليل [145] (ولقد صدقكم الله وعده) أى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه (حتى اذا فشلتم) جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل (وتنازعتم فى الامر) يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لانخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم [146] (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب و يمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو فى الاحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم اذ الابتلاء أيضا رحمة [147] (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم أو ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على أحد) لايقف أحد لاحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (فى أخراكم) فى ساقتكم أو جماعتكم الاخرى (فأثابكم غما بغم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو فجازاكم غما بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم) لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عليم بأعمالكم و بما قصدتم بها [148] (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) أنزل الله عليكم الامن حتى أخذكم النعاس وعن أبى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على انه جمع آمن كبار و بررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن (يغشى طائفة منكم) أى النعاس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) أوقعتهم أنفسهم

ليس بطريق التفضل ويمكن ان يقال ان المراد ان العفو اما بمجرد التفضل من غير النظر الى ما يصدر منهم من الندم على المخالفة أو التفضل بسبب الندم بان يكون الندم سببا عاديا (قوله كاذكر) فيه ان يكون المعنى اذكر محمد اذ تصعدون فيكون النبى من جاتهم لكنه ليس كذلك كما فهم من الآية وهذا الاعتراض لم يرد على الكشاف لانه ذكر ان بعضهم قرأ يصعدون بالياء فيحتمل بالياء ان يكون تقدير اذكر على هذا الاحتمال والجواب ان المقصود ان المقدر فعل من جنس أذكر وهو اذكروا فيكون الخطاب للمعتدين واما ما جوزه العلامة التفتازانى من انه من قبيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء ففيه ماذكر (قوله ونعاسا بدل الاشتمال) لانه ينتظر السامع ان انزال الأمنة بأى طريق كان فافهم البدل انه بالنعاس (قوله وأمنة حال منه متقدمة) على ماهو القاعدة من انه اذا كان صاحب الحال نكرة يجب تقديم الحال عليه لئلا يلتبس بالصفة

(قوله أو مفعول له) عطف على قوله نصب على المفعول (قوله أوقعتهم أنفسهم الخ) يقال أهمه الامر بمعنيين أحدهما أحزنه الأمر وأقلقه والآخر كان الامر مهما له فالتفسير الاول مأخوذ من المعنى الاول والثانى من الثانى والحصر المذكور مستفاد من المقام لان الكلام فى حكاية شدة الأمر بدليل قوله تعالى يظنون بالله الخ وهو الظن المختص بالملة الجاهلية كقوله حاتم الجود

فى

فى الهموم أو مايهمهم الاهم أنفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها (يقولون) أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل أخبر ابن أبى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ أوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) أى الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه فان حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون أى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) أى فى أنفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه البيان له (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد أو زعم ان الامر كله لله ولأوليائه أو لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن أبى وغيره (ماقتلنا ههنا) لما غلبنا أو لما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أى لخرج الذى قدر الله عليهم القتل وكتبه فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم أحد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لامعقب لحكمه (وليبتلى الله مافى صدوركم) وليمتحن مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أى وفعل ذلك ليبتلى أو عطف على محذوف أى لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جة وللابتلاء أو على قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين (149) (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم أحد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لايعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب (150) (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب أو المذهب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى (لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا)

على ان الخطاب فى هذه الآية مع المؤمنين والمنافقين معا فان اظهار الاخلاص يناسب المؤمنين واظهار النفاق يناسب المنافقين لكن سوق الآية يدل على ان الخطاب مع المنافقين فقط لان المخاطبين هم الذين يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا ولا يخفى انهم المنافقون لا المخلصون والعجب ان صاحب الكشاف جعل الخطاب مخصوصا بالمؤمنين فالاعتراض عليه أقوى (قوله أى وفعل ذلك ليبتلى) فان قيل ما المعطوف عليه قلنا يمكن لو كنتم فيكون تحت قل أى وقل فعل الله ذلك ليبتلى (قوله ويخلصه من الوساوس) معناه مافى القلوب من الوساوس أى يجعله مجردا عن مقارنة الوسواس فيكون الاعتقاد خالصا عن شائبته وهذا آكد من ان يقال وليمحص قلوبكم فان تمحيص القلوب تجردها من الوسواس وهذا لايستلزم بقاء الاعتقاد الصحيح بل يجوز ان تكون ساذجة لايتصور فيها شئ وههنا نظر لانا قد أثبتنا ان الخطاب مع المنافقين وهو لايناسب التخليص من الوساوس (قوله لاجلهم وفيهم) الباعث على هذين التأويلين ان قالوا لاخوانهم يدل بحسب الظاهر على ان الاخوان مخاطبون لكنهم ليسوا كذلك كما سيصرح به (قوله لكنه جاء على حكاية الحال الماضية)

مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا [151] (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) أي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء [152] (ولئن متم أو قتلتم) اي على أي وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر [153] (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيء الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب اذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على ما هو أصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم أي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح [154] (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله

هذه الحكاية على ما ذكروا هي ان تقدر نفسك كانك موجود في ذلك الزمان الماضي أو كانه موجود الآن واعلم ان المصنف تبع فيما ذكر صاحب الكشاف واعترض المعلقون عليه بان حكاية الحال الماضية انما تكون حيث يؤتى بصيغة الحال والمذكور ههنا صيغة الاستقبال لان معنى اذا ضربوا حين يضربون في المستقبل قال الزجاج اذا ههنا لمجرد الزمان وقال قطرب كلمة اذ واذا يقوم كل منهما عن الآخر وهذان الجوابان مبنيان على استعمال اذا في غير المستقبل وهذا ان لم يوجد في استعمال العرب لكن القرآن أولى بان يستشهد به وهو حجة على غيره

وليس غيره حجة عليه كما صرح بذلك كله العلامة النيسابوري (قوله يعني المنافقين) الدال على انهم منافقون ما في قوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك (قوله على ان يكون اللام لام العاقبة) أي ليست اللام لام العلة لان جعل الحسرة في القلوب لا يكون علة باعثه على القول المذكور (قوله حسرة في قلوبهم خاصة) انما قال خاصة لان الاعتقاد المذكور حسرة في قلوبهم سواء كان المؤمنون مثلهم أولا فلو لم يقل خاصة لزم ان لا يكون الاعتقاد المذكور حسرة اذا وافقهم المؤمنون لكن ليس كذلك فاذا قيل خاصة صح الكلام لان عدم موافقة المؤمنين لهم موجب لكون الاعتقاد المذكور حسرة في قلوبهم خاصة دون قلوب المؤمنين (قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم الآيتين) فان قيل لم قدم القتل في الاية الاولى وأخر في الثانية قلنا لانه رتب في الآية الاولى المغفرة والثواب على ما تقدم فكان تقدم القتل أنسب لان ثوابه أكثر وأما في الآية الثانية فلما رتب فيها الحشر وكان مساويا بالنسبة الى الموت والقتل وكان الموت أكثر كان تقديم الموت أنسب (قوله جواب القسم) فاللام في لمغفرة لام جواب القسم واللام في ولئن متم اللام الموطئة للقسم (قوله فما ينالون المغفرة والرحمة الخ) تخصيص هذا بالذكر صريح في ان المخاطبين هم المؤمنون حقا (قوله ربطه على جاشه) جاش القلب بالهمز ارتاع عند الفزع وفلان رابط الجأش وربيط الجأش كأنه يربط نفسه من الفرار بشجاعته (قوله حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه) هذا رابط للآية بما سبق (قوله للتأكيد والدلالة الخ) تبع في هذه العبارة الكشاف وفيه توسع وحق العبارة أن يقال وما مزيدة لتأكيد الدلالة الخ لان أصل الدلالة على الحصر استفيد

من تقديم الجار والمجرور ولذا قيل ان فى كلام الكشاف حذفا والمعنى ما مزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة (قوله أوظن به الرماة) معطوف على قوله اتهم فيكون المعنى امابراءة الرسول عما اتهم به أوعما ظن به الرماة (قوله وأما المبالغة فى النهى الخ) لان ما كان لنبى معناه على ماذكر ماصح لنبى وهذا آكد من صريح النهى عن الغلول من وجهين أحدهما كون الكلام فى صورة الخبر لانه يفيد ان لاحاجة الى النهى الصريح والثانى نفى امكان الغلول فيفيد انه لاصحة لغلول النبى فضلا عن وقوعه (قوله ومبالغة ثانية) لان المبالغة الاولى استفيدت من قوله وما كان لنبى على ماذكرنا (قوله فلا ينقص ثواب مطيعهم الخ) دل هذا الكلام على ان نقص زيادة ثواب المطيع وعقاب العاصى ظلم وهذا خلاف مذهب أهل السنة بل مذهبهم أنه يقال حاكم على الاطلاق يفعل مايشاء لوعذب المطيع أو يزيد فى عذاب العاصى لم يكن ظالما والعجب ان هذا كلام المعتزلة والجواب أن المراد من الظلم ههنا خلاف الوعد والاولى أن يقال المراد منه ماذكر من نقص الثواب وزيادته ولولم يذكر المقابل وقال لاينقص من ثواب مطيعهم الخ لكان أولى حتى يكون لاينقص الخ مفسرا للايظلمون الا أن يقال الفاء يفسر به كما فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم (قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله) هذه الفاء مقدمة فى الحقيقة على همزة الاستفهام وقد توضح فى قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم فتكون الفاء لسببية ماتقدم وهو توفية كل نفس ما كسبت لانكار تسوية من اتبع ومن باء

الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لاناصر لهم سواه وآمنوا به [153] (وما كان لنبى أن يغل) وماصح لنبى أن يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه فى خفية والمراد منه امابراءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها أوظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ماروى أنه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول والمعنى وماصح له أن يوجد غالا أو أن ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث أو بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بماقبله أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لايظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم [156] (أفمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء) رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع [157] (هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب أوهم ذوو درجات (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها [158] (لقد من الله على المؤمنين) أنعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من نسبهم أومن جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أى من أشرفهم لانه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم (يتلوا عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم)

(قوله تعالى وبئس المصير ههنا تقدير) والمعنى مأواهم يقال فى شأنه بئس المصير فيكون متعلق خبر محذوف (قوله عالم بأعمالهم) تبع فى هذا التفسير الكشاف وهو يدل على أن كونه تعالى بصيرا عين كونه عالما وهو مذهب من قال بعضهم من ان البصر علمه بالمبصرات والحق انه ليس كذلك قال فى شرح المواقف اتفق المسلمون على أنه تعالى سميع بصير لكنهم اختلفوا فى معناه فقالت الفلاسفة والكعبى وأبو الحسن البصرى ذلك عبارة عن علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات وقال الجمهور منا ومن المعتزلة والكرامية انهما صفتان زائدتان على العلم وتوضيحه انا اذا علمنا شيأ علما تاما جليا ثم ابصرناه فانا نجد بالبديهة فرقا بين الحالتين ونعلم بالضرورة ان الحالة الثانية تشتمل على أمر زائد مع حصول العلم فيها فذلك الزائد هو الابصار (قوله وقرئ من أنفسهم) بفتح الفاء من النفاسة بمعنى

يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال (و يعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر (١٦٤) (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى أصابتكم أى أقلتم حين أصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم أحد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند أنفسكم) أى مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم و يصيب منكم
(١٦٥) (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد (فباذن الله) فهو كائن بقضائه أو تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة أو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا) تقسيم للامر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو و يكسر منه (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (١٦٦) (يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات (١٦٧) (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أوجر بدلا من الضمير فى بافواههم أو قلوبهم كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

(لاخوانهم) أى لاجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم (وقعدوا) حال مقدرة بقد أى قالوا قاعدين عن القتال (لو أطاعونا) فى القعود بالمدينة (ما قتلوا) كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد التاء (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فانه أحرى بكم والمعنى أن القعود غير مغن عن الموت فان أسباب الموت كثيرة كما

تكون مقدمة فى الاصل على الواو (قوله ولما ظرفه المضاف) ضمير ظرفه راجع الى قلتم أى لما أصابكم قلتم (قوله وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه) هكذا عبارة الكشاف وهى مناسبة لمذهبه لانهم على أن مثل هذا لايكون بارادة الله لان تغليب الكفار على المؤمنين قبيح وهو تعالى لا يريد القبيح والمناسب لاهل السنة أن يقال الاذن بمعنى الارادة (قوله وليتميز المؤمنون والمنافقون) ان أراد التميز عند الله فيرد عليه ان الطائفتين ممتازان فى علمه تعالى دائما وان أراد التميز عند الناس يرد عليه ان لا معنى لتفسير قوله تعالى وليعلم المؤمنين تميزهم عند الناس اذ المراد بالعلم علم الله تعالى والاولى أن يقال مراده ان معنى قوله وليعلم المؤمنين ليميز الله المؤمنين فيتميز المؤمنون عند الخالق لكنه اكتفى بالثانى وهو لازمه (قوله أو كلام مبتدأ) عطف على جلة ما أصابكم

(قوله تعالى هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) فان قيل انهم كافرون لانهم منافقون لما سيجىء ان من قوله والله أعلم بما يكتمون من النفاق قلنا المراد انهم للاصرار على الكفر وكمال اظهاره أقرب منهم للايمان الظاهرى (قوله تأكيد وتصغير) أى تحقير لانه مشعر بانه أمر صادر عن مجرد اللسان وليس منه فى القلب شئ (قوله على جوده لضن بالماء حاتم) هذا استشهاد بابدال المظهر من ضمير الغائب فان حاتما بدل من ضمير جوده وانما جعل بدلا منه لانه مجرور اذ القوافى على الكسر

(قوله أولى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف) يرد عليه ان الذين قتلوا كيف ينهون عن الحساب وأجيب بانهم أحياء ونفوسهم باقية مدركة ولقائل أن يقول لا فائدة لهذا النهى لانهم يعلمون انهم أحياء ولا يحسبون انهم أموات وأيضا فى وصول هذا النهى اليهم خفاء ولابد من نقل و بالجملة فهذا الوجه من الاعراب كما ذكروا ليس كما ينبغى الا أن يتكلف فيقال المقصود من نهى الشهداء عن الحساب المذكور نهى غيرهم ثم انه على ماذكروا فيه جواز حذف أحد مفعولى باب حسبت والاقتصار على الآخر وهو قليل (قوله بل احسبهم) بلفظ الامر أحياء هذا التقدير الذى ذكره ليس بمرضى اذا كان حال الشهداء

انهم أحياء فالمناسب الامر بالعلم لا الظن

أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس [163] (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) نزلت فى شهداء أحد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول أو من يحسب أو الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل أحياء) أى بل هم أحياء وقرئ بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء (عند ربهم) ذوو زلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء [164] (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة (و يستبشرون) يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) أى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم أحياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة و بعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما أنعم عليه و بشرى للمؤمنين بالفلاح [165] (يستبشرون) كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله الا خوف عليهم و يجوز أن يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال أنفسهم (بنعمة من الله) ثوابا لاعمالهم (وفضل) زيادة عليه كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة [166] (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره (للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون

فيناسب أن يقدر بل اعلمهم أحياء خصوصا اذا كان المخاطب بهذا الخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن يقال ايراد الحسبان للمشاكلة (قوله مدرك بذاته) فيه انه يلزم أن يكون مدركا وأما كونه بذاته مدركا من غير حاجة الى آلة فغير ظاهر لم لا يجوز أن يكون بعد خراب البدن متعلقا بشئ يكون ذلك الشئ آلة لادراكه كما صرح به بعض أهل الكشف والتحقيق فان الحديث الذى روى عن ابن عباس صريح فى ان أرواحهم متعلقة باجسام فيحتمل ان تكون تلك الاجسام آلات لادراكها كما فى هذه النشأة أبدانهم آلات لها الا ان يقال مراده من ادراكه بالذات عدم احتياجه الى البدن الذى تعلق به فى الدنيا فان ادراكه باق مع خرابه (قوله واحماد الخ) الحمد فى الآية للشهداء بسرورهم بحسن حال اخوانهم (قوله و يجوز ان يكون الاول الخ) أى يجوز ان يكون الاستبشار الأول استبشارا بحال اخوانهم وهذا الاستبشار استبشار بحال أنفسهم فهذا احتمال والاحتمال الأول الذى ذكره ان يكون الاستبشاران بحال الاخوان (قوله على انه استئناف معترض) كذا فى الكشاف ومعناه انه كلام مبتدأ ليس معطوفا على ماسبق وكونه معترضا لكونه فى آخر الكلام وليس بمعطوف ومن هذا علم ان الجملة المعترضة لا يلزم ان تكون بين كلامين متصلين (قوله المقصود من ذكر الوصفين) المراد من الوصفين الاحسان والتقوى لا النعت النحوى (قوله لان المستجيبين كلهم الخ) فانهم أى المستجيبين الصحابة وهم بالصفتين المذكورتين

متقون روى أن أباسفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لايخرجن معنا الامن حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت [167] (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الاشجعى وأطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد أو لانه انضم اليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يعنى أباسفيان وأصحابه روى انه نادى عند انصرافه من أحد يامحمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى أهل مكة حتى نزل بمر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم أحد الاشريدا أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكباوهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للقول أو لمصدر قال أو لفاعله ان أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو [168] (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) وربح فى التجارة فانهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدو (واتبعوا رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه مافازوا به [169] (انما ذلكم الشيطان) يريد به المثبط نعيما أو أباسفيان والشيطان خبر ذلكم ومابعده بيان لشيطنته أو صفته ومابعده خبر ويجوز أن تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف أى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة (يخوف أولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى (وخافون) فى مخالفة أمرى فجاهدوا مع رسولى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس [170] (ولا يحزنك

(قوله وينقص حتى يدخل صاحبه النار) فان قيل الايمان وان كان ضعيفا لايوجب دخول الشخص فى النار بل يوجب خروجه عنها كما ورد فى الحديث انه يخرج من النار من كان فى قلبه حبة من خردل من ايمان قلنا ضعف الايمان يوجب ترك الواجب وفعل المنهى الموجبين للدخول فى النار (قوله ومابعده بيان لشيطنته) أى جملة استئنافية تكون دليلا على كونه شيطانا (قوله أوصفته ومابعده خبره) أى الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف أولياءه خبر فالمعنى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه (قوله يعنى ابليس عليه اللعنة) فان قيل محصل كلامه ههنا انه ان كان ذا اشارة الى المثبط كان المراد من الشيطان المعنى اللغوى وان كان اشارة الى القول كان المراد من الشيطان ابليس ولا يظهر توجيه هذا الفرق قلنا الفرق انه على الاول لابد أن يكون المراد من الشيطان غير ابليس لان نعيما وأباسفيان غيره واما اذا أريد القول فلاباعث على ان يراد بالشيطان غير ابليس بل يمكن ان يقدر مضاف كماذكر حتى يكون الشيطان ابليس كما هو المتبادر من لفظ الشيطان فان قيل كيف ينسب قولهما الى الشيطان قلنا لما حصل القول المذكور بسبب الشيطان ووسوسته نسب اليه (قوله الضمير للناس الخ) أى ضميرهم راجع الى الناس فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الذين على الاول أى ان يفسر الاولياء بالقاعدين عن القتال والى الاولياء ان كان المراد من الاولياء أباسفيان وأصحابه وهو التفسير الثانى

للاولياء (قوله يحتمل المفعول والمصدر) فعلى الاول معناه لن يصلوا الى أولياء الله شيأ من الامور الضارة وعلى الثانى معناه لن يضروا شيأ من الضرر (قوله وفى ذكر الارادة الخ) الاولى ان يقال ان فى ذكرها دليلا على المقصود الذى هو عدم جعل الحظ لهم فى الآخرة لانه اذا لم يرد الله لهم حظا فى الآخرة لم يحصل لهم ذلك الحظ لا يقال لو قيل لا يجعل الله لهم حظا فى الآخرة لكان دليلا على ارادة عدم الجعل فكان أبلغ لانا نقول لا يلزم من عدم الجعل ارادة عدم الجعل بل عدم ارادة الجعل مع ان المقصود عدم الجعل فالمناسب المبالغة فيه (قوله وانما نملى بدل منه) لم يجعلوه مفعولا ثانيا لان المفعول الثانى من هذا الباب يجب ان يحمل على الأول لكن ههنا ليس كذلك ولهذا لما جعله مفعولا ثانيا حكم بتقدير مضاف حتى يصح الحمل (قوله وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل الخ) أى المبدل منه فى حكم المنحى من حيث انه غير مقصود بالذات والبدل المذكور يصح ان يكون قائما مقام المفعولين لان ان مع جملها يصح قيامها مقام مفعولى باب حسبت فان قيل قد مر جواز حذف أحد مفعولى باب حسبت فما الحاجة الى عذر قيام البدل مقام المفعولين قلنا فرقا بين الاقتصار والحذف فالاقتصار ان لا يكون مفعول ثان لا مذكورا ولا مقدرا والحذف ان لا يكون مذكورا ويكون مقدرا وههنا الاقتصار لا الحذف (قوله فكان حقها الخ) لان قاعدة علم الخط ان ما المصدرية تفصل عن الحرف الذى قبلها تنبيها على كونها مع ما بعدها فى حكم كلمة واحدة (قوله استئناف بما هو العلة للحكم قبلها) يعنى دليل على الحكم المتقدم وهو عدم الحسبان المذكور فانه اذا كان الاملاء لزيادة الاثم كان دليلا على عدم حسبان ان أملاءهم خير لهم (قوله وعند المعتزلة الخ) أى ليست للارادة حتى يكون المعنى لارادة الله ازدياد اثمهم كما هو مذهب أهل السنة لان ارادة ازدياد اثمهم قبيح عند المعتزلة وهو غير جائز على الله تعالى (قوله وبكسر الاولى) أى بكسر ان فى انما نملى لهم خير لانفسهم (قوله ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة) لك ان تقول لا يخلو اما أن يكون املاء الله تعالى لهم لازدياد الاثم أو للتوبة فان كان الاول لم يكن هذا التفسير صحيحا وان كان الثانى لم يكن التفسير الاول صحيحا والجواب ان كلا من الامرين محتمل لانه يصح ان يكون مراد الله تعالى من املائهم زيادة اثمهم ويحتمل ان لا يكون كذلك بل يكون املاؤهم لتوبتهم لان الله يفعل ما يشاء والتفسيران المذكوران على هذين الاحتمالين فان قيل اذا كان املاؤهم لتوبتهم ودخولهم فى الايمان يجب ان يتوبوا ويدخلوا فى الايمان والا لزم خلاف مراد الله تعالى وهو باطل على مذهب أهل الحق قلنا اللزوم ماذكر انما يكون اذا لم يقدر شئ آخر فاما اذا قدر بان يقال انما نملى لهم لامكان التوبة فى زمان الاملاء أى للاتساع فى زمان مكان التوبة فلا

الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيأ) أى لن يضروا أولياء الله شيأ بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها أنفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم فى الكفر لانه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) مع الحرمان عن الثواب (١٧٦) (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من العرب (١٧٧) (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم) خطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ان الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم

(قوله على هذا) أى قراءة انما الثانى بالفتح كذا فى الكشاف وقال العلامة التفتازانى يعنى ان ما على هذه القراءة مصدرية وليزدادوا فى موضع الخبر ولما لم يكن الاملاء الذى للتوبة والدخول فى الايمان ملائما لمقارنة العذاب بل الثواب جعل الواو حالية داخلة فى حيز النهى عن الحسبان بمنزلة ان يقول ليزدادوا وليكون لهم عذاب وظاهر ان هذا المعنى لا يحصل بالواو العاطفة بل ليس ههنا ما يحسن عطف هذه الجملة عليه نعم للاعتراضية وجه انتهى وفيه ان المفتوحة مصدرية فلا باعث على جعل ما مصدرية بل يلزم منه اجتماع حرفين مصدريين فالظاهر ان يقال ان ما كافة والجواب ان ما يجعل الفعل بتأويل المصدر وأن تجعل الجملة التى بعدها بتأويل المصدر فان المعنى ولا يحسبن الذين كفروا ازديادا املائنا لهم للاثم (قوله على هذا الخ) ليس كما ينبغى اذ على القراءة المشهورة وهى قراءة الاولى بالفتح وانما الثانية على الكسر يجوز ان تكون الواو حالية أيضا فلا وجه لتخصيص الحالية بالقراءة الشاذة واعلم ان فى عبارة المصنف حيث قال يجوز اشارة الى كون جواز الواو اعتراضية بخلاف عبارة الكشاف اذ ليس فيها اشعار بما ذكر فانه جزم بان الواو على القراءة الغير المشهورة للحالية (قوله الخطاب لعامة المؤمنين) أى خطاب أنتم على هذا يكون المناسب أن يكون المؤمنون مخلصين اذ لو كان المراد منهم المؤمنين مطلقا سواء كانوا مخلصين أو منافقين لناسب أن يقال ما كان الله ليذركم

بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم (ولهم عذاب مهين) على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو أى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين 173 (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخالص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر النبى به بواطنكم و يستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء 174 (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص أو بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما أوحى اليهم روى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى أنه عليه السلام قال عرضت على أمتى وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) لا يقادر قدره 175 (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) القراآت فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء

لكن الظاهر ان قوله لا يترككم مختلطين الخ تفسير قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين وهو يدل على ان المراد بالمؤمنين ما يعم المخلصين والمنافقين وبالجملة قد غير عبارة الكشاف عما ينبغى وهى كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض (قوله أو ينصب له ما يدل عليها) يعنى أن اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على الغيب يكون بطريقين أحدهما بطريق الوحى والثانى أن يشاهد أمرا يدل على أمر يكون من بعد كما نصب للنبى صلى الله عليه وسلم علامات دالة على مصارع الكفار يوم بدر على ما ذكره بعض أكابر أهل الكشف والتحقيق (قوله ولا يقولون الا ما أوحى لهم) أى لا يقولون فى أمر الشرائع والاخبار عن الله تعالى وعن الغيب (قوله انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على أمتى الخ) يمكن أن يكون المراد من الامة أمة الاجابة ويكون معنى قوله أعلمت من يؤمن بى أعلمت من يؤمن بى من الخلائق ومن يكفر بى ويمكن أن يكون المراد أمة الدعوة فيكون المعنى عرضت على أمة دعوتى أى الخلائق الواصلة اليهم دعوتى ثم الظاهر أن المراد من قوله أعلمت من يؤمن بى الخ من كان موجودا فى عصره ولاقاه ويمكن أن يكون المراد غيره والله ورسوله أعلم (قوله وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق) هذا لا يلائم ان يكون الخطاب فى أول الآية لعامة المؤمنين لخالصيهم ومنافقيهم بل المناسب أن يكون لمنافقيهم خاصة وحينئذ يخالف هذا الخطاب للخطاب السابق فى هذه الآية وهو قوله تعالى ما أنتم عليه فانه صرح بانه عام للخاص وغيره واعلم أن تعليق تتقوا بالنفاق من زياداته على الكشاف والمناسب ان يبقى التقوى على اطلاقه فيكون المعنى وتتقوا ما يجب أن يتقى حتى يشمل المخلص وغيره (القراآت فيه ما سبق) من قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم الآية

(قوله ليتطابق مفعولاه) أي ليحمل أحدهما على الآخر (قوله وان جعله الموصول) أي ان جعل فاعل تحسبن الموصول (قوله كان المفعول الاول محذوفا) لم لا يجوز أن يكون هو مفعولا أول لانه ضمير مرفوع فلا يقع مفعولا (قوله بيان لذلك) أي بيان لكونه شرا لهم (قوله والمعنى سيلزمون الخ) هذا بناء على أن يطوقون استعارة تبعية والمستفاد من الحديث انه على معناه الحقيقي ولا منافاة اذ يمكن أن يطوق البخيل حقيقة و يلزم أيضا و بال بخله لزوم الطوق (قوله وهو أبلغ في الوعيد) لأن الوعيد في الخطاب والحضور أشد منه في الغيبة (قوله لولا ما بيننا من العهد) هذا مخالف لما قاله الفقهاء من ان العهد ينتقض باسماع الذمي كلمة الكفر

بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم (بل هو) أي البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم [176] (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لذلك والمعنى سيلزمون و بال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعله الله شجاعا في عنقه يوم القيامة (ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما يعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فمجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد [177] (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعد لهم العقاب عليه (سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) أي سنكتبه في صحائف الكتبة أو سنحفظه في علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله عز وجل واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع و يقول بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) أي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال [178] (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدمت أيديكم) من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان أكثر أعمالها بهن (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء [179] (الذين قالوا) هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص و وهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا (أن لا نؤمن

(قوله أي سنكتبه) فان قيل الظاهر لقد كتبناه في صحائف الكتبة لان نزول الآية بعد ان قالوا ذلك القول والظاهر ان الكتبة كتبوه قلنا المراد سنثبت وعديته في صحائف الكتبة لا نمحوه (قوله واستهزاء بالقرآن والرسول) لان قولهم استهزاء بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله (قوله وفيه مبالغات) الاولى انه تعالى قال هذا القول لهم بذاته المتعالى لا بواسطة الثانية انه تعالى أمرهم بما ذكرنا فأوجب عليهم الذوق الثالثة أمرهم بالذوق الذي هو دال على قوة ادراكهم للعذاب ووصوله الى باطنهم لان الذوق مستلزم له الرابعة وصف العذاب بالاحراق وما ذكرنا في ايراد الذوق أولى مما ذكره المصنف لما فيه من التكلف (قوله والمعنى انه لم يخف عليه الخ) جعل هذا المجموع معنى ما ذكر لا يخلو عن تكلف والاولى أن يقال والله أعلم ان المقصود من قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا رد اليهود في جحده فيكون كناية عن كذبهم في جحده (قوله أو سنحفظ) لا يخفى ان كل شئ محفوظ في علم الله تعالى ازلا وأبدا فالاولى أن يقال هو كناية عن اعداد العذاب لهم (قوله لان أكثر أعمالها بهن) أي أكثر أعمالها الظاهرة (قوله يستلزم) لا يخفى انه تعالى كيف يشاء يفعل في ملكه بان يعاقب المطيع أو يثيب العاصي لا يكون ظالما كما هو مذهب أهل الحق فنفي الظلم عنه تعالى لا يقتضي ما ذكره المصنف والذي يخطر في خلدي والله أعلم ان المعنى وان الله ليس بظلام

للعبيد لو عذبهم يعنى ان تعذيبهم بسبب أفعالهم وبكونه تعالى ليس بظلام بتعذيبهم اذ لو كان الله تعالى بتعذيبهم ظالما لما عذبهم البتة والاول ثبوت السبب والثانى رفع المانع وأيضا يمكن أن يقال ان المراد من الظلم التعذيب بغير جرم ويكون المعنى ذلك العذاب الذى هو جزاء أفعالهم من غير زيادة بسبب ان الله تعالى لا يعذب بغير جرم فلو زاد فى الجزاء لزم التعذيب بغير جرم لان الزيادة تعذيب من غير جرم وذكر الظلام بصيغة المبالغة مع ان الظاهر ذكر الظالم لان صدور فعل ناقص عن الكامل نقص كامل فلو صدر ظلم ما من الله تعالى وهو أكمل من غيره بل هو الكامل على الاطلاق وكل كمال مستفاد منه لكان ذلك الظلم فى غاية الشناعة والعظم ومن صدر منه ظلم عظيم كان ظلاما (قوله وهذا من مفترياتهم) محصل ما ذكر ان ما نقلوه من التوراة كذب لانه لا فائدة لتخصيص المعجزة بايجاب الايمان بل كل معجزة دال على ايجاب الايمان ولك أن تقول مفهوم قولهم ان كل معجزة لا توجب الايمان وان أوجبت صدق صاحبها بل الموجب للايمان هو هذه المعجزة الخاصة فيجب اثبات ان المعجزة كلها توجب الايمان لا لمجرد الدعوى والاولى أن يقال ان كذبهم يستفاد من قوله تعالى ان كنتم صادقين ثم انه يمكن أن يستفاد من كون الذين قالوا ان الله عهد الينا هم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فان فنحاص هو قائل بالقولين المذكورين واخوته فى حكمه عليهم اللعنة فيكون الذين الثانية صفة للذين السابقة

لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك [80] (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات أخر واجترؤا على قتله [81] (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حبسته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات [82] (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * (وانما توفون أجوركم) تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وأدخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز

وهو الظاهر من العبارة فيكون المعنى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا فدل على كذبهم فى هذا القول لانه تهديد لهم بهذا القول كما يدل على كذبهم فى القول السابق (قوله تعالى بالبينات) ان قيل المناسب تقديم الذى قلتم لانه أظهر فى الزامهم قلنا يكون الذى قلتم داخلا فى البينات فيكون تخصيصا بعد تعميم فلذا أخر ثم انه نقل عن السدى ان هذا الشرط جاء فى التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح (قوله للدلالة) يعنى اذا لم تكرر الباء يمكن أن يكون الزبر والكتاب عين البينات بالذات وغيرها بالاعتبار فكان شئ واحد بينة باعتبار تبيينه الاشياء وكتابا باعتبار اشتماله على الاحكام والشرائع فكان العطف بتغاير الاعتبار فيكون من عطف صفات شئ واحد بعضها على بعض لكن اذا كرر الباء كان مشعرا بتغايرهما بالذات اذ لو كانا واحدا بالذات لكان الظاهر عدم تكريرها وكذا نقول فى وبالكتاب (قوله بالنصب مع التنوين وعدمه) أى بنصب الموت مع تنوين ذائقة وعدم تنوينها كما فى قول أبى الاسود الدئلى فذكرته ثم عاتبته * عتابا رفيقا وقولا جميلا فالفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا الاصل ذاكر بالتنوين مجرورا معطوفا على مستعتب ولا اضافة لان الله منصوب واسم الفاعل معتمد على النفى (قوله ولفظ التوفية الخ) انما لم يقل يدل بل يشعر بايصال بعض الاجر فى القبور حتى يكون هذا الكلام دليلا على نعيم القبر وعذابه لان توفية الاجور يوم القيامة يدل على أن قبله ايصال بعض الاجور ولعله يكون فى الدنيا (قوله تعالى فمن زحزح) فان

والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) أي لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار

183 (لتبلون) أي والله لتختبرن (في أموالكم) بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات (وأنفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان ذلك) يعني الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه

184 (واذ أخذ الله) أي اذكر وقت أخذه (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب (فنبذوه) أي الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه (واشتروا به) وأخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا واغراضها (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا

185 (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول (ولهم عذاب أليم) بكفرهم وتدليسهم روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة

186 (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهم (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير

187 (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما

قيل البعد عن النار مستلزم لدخول الجنة فما فائدة التصريح بذكره مع انه موهم لعدم الاستلزام قلنا لأن البعد من النار بأن يكون البعيد من أصحاب الاعراف وهو السور الذي بين الجنة والنار (قوله فانها متاع بلاغ) أي متاع يبلغ به الى مقاصد الآخرة (قوله لمن معزومات الامور) أي العزم ههنا مصدر بمعنى المفعول أي المعزوم فيكون المراد منه اما معزوم العبد أو معزوم الله تعالى وهو المراد بقوله ما عزم الله تعالى عليه (قوله ما أخذ الله) أي أخذ الميثاق على أهل الجهل أن يتعلموا بعد أخذ الميثاق على أهل العلم أن يعلموا (قوله أو المفعول الاول محذوف) أي المفعول الاول للا يحسبن محذوف وبمفازة مفعوله الثاني ويكون فلا تحسبنهم تأكيد وهذا اذا جعل التأكيد مجموع فلا تحسبنهم وأما اذا جعل التأكيد للفعل والفاعل اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الاول ولا حذف هكذا ذكر العلامة التفتازاني ولا يخفى ما في اتصال الضمير المنصوب الذي هو المفعول الاول

للانحسـ بن يؤكده من البعـد والتكلف ولعـل ترك صاحب الكشاف لهـذا الوجه لما ذكرنا (قوله لان مناط الاستدلال) على وجود البارى تعالى الجامع لصـفات الـكمال تغير الموجودات من حال مخصوص الى حال آخر مخصوص اذ هذا التغير لابدله من مغير اذ لا يمكن أن يكون تغـير الشئ مقتضى ذاته والالزم أن يكون التغـير المخصوص لازماله لاينفك عنـه أصلا وليس كذلك فثبت مغير خارج عن المتغير فثبت شئ غير الامور المذكورة يكون تغيرها بسببه فان كان ذلك الشئ متغيرا أيضا نقلنا الكلام الى تغيره ونقول ان كان بمغير آخر هو أيضا متغير وهلم جرا فلزم التسلسل وان كان بمغـير لايكون متغيرا أصلا ثبت وجود ذات مغير للاشياء لايكون متغيرا أصلا وهذا هو واجب الوجود اذ كل ممكن يقبل التغيرات وجوده من غيره فلم يكن موجودا فوجد بارادة موجـده فهو قابل للتغير من موجـده ثم ان النظام المحكم المستمر الذى فى خلق السموات والارض والاختلاف المذكور دال على توحد الذات المقدسة واتصافها بالعلم والقدرة والارادة الـكاملة الى غيرها من الصفات وهذا التقرير وان اعتبر فيه بعض المقدمات

سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هـذه الثلاثة فى هـذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهـذه متعرضة لجلة أنواعه فانه اما أن يكون فى ذات الشئ كتغير الليـل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿١٨٨﴾ (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجـة للشافعى رضى الله عنـه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل أهله (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول أى يتفكرون قائلين ذلك وهـذا اشارة الى المتفكر فيه أى الخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والارض أو اليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غـير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك (سـبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعـتراض (فقنا عـذاب النار) للاخلال بالنظر فيـه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجـله خلقت السموات والارض حملهـم على الاسـتعاذة ﴿١٨٩﴾ (ربنا انك من تدخـل النار فقـد أخزيته)

الحدسية التى يمنعها المجادل المعاند لكنه كاف لذوى البصائر ولهـذا قيل لآيات لاولى الالباب (قوله كتغير العناصر) هـذا مأخوذ من كلام الفلاسفة فانهم أثبتوا للعناصر صـورا جسـمية ونوعية وكذا أثبتوا للافـلاك حركات وضعية يتبدل بها أوضاعها التى هى نسب أجزائها بعضا الى بعض والى الخارج عنها وأما أهـل الشرع فلم يثبتوا للعناصر الصور بل قالوا ان كل جسم مركب من أجزاء لاتتجزأ وكذا لم يثبتوا للافـلاك حركات وضـعية بـل قالوا ان الـكواكب يسـبحون فى الافلاك كما نص عليـه فى القرآن الـكريم مثل قوله تعالى كل فى فلك يسبحون

غاية

فالاولى أن يكتفى بمطلق التغـير فان كل ما ذكر متغير الاحوال (قوله ومضـطجعين) هذا تفسير لقوله تعالى وعلى جنوبهم ولك ان تقول لم يقل ومضطجعين وما فائدة العـدول عنه مع انه أخصر وأقول والله أعلم لعـل من فوائده تنويع العبارات بازاء الحالات والاعتبارات فعبر أولا عن حالة من الاحوال بالمصـدر الذى هو القيام وعن حالة بصيغة قعود الذى هو جمع قاعد الذى هو المشتق وعن حالة ثالثة بالجار والمجرور (قوله فهو حجة للشافعى رضى الله عنـه) يعنى تخصيص القرآن الاضطجاع بالذكر يدل على تعيينه بعـد العجز عن القعود وانه لايجوز الاستلقاء كما هو رأى الحنفية فان قيل الظاهر ان المراد من تذكرون غـير الصلاة ولذا قال وقيل معناه يصلون فلا يكون حجة لان حمل الذكر على الصـلاة خلاف الظاهر قلنا الذكر محمول على الاطلاق فهو شامل للصـلاة فيكون فيه حجة فتأمل والاولى أن يقال مراده ان الآية على التفسير المتأخر حجـة للشافعى (قوله وفائدة الفاء الخ) توضيح ما ذكر انه لما كان من فوائد خلق السموات والارض ما ذكر من كونهما مبدأ لخلق الانسان الى آخر ما قاله كان للخالق العناية بخلق الانسان والرحمة عليه

فكأن هذا ابائنا على طلب الوقاية عن عذاب النار يعني لما كتب ربنا رحمته وتفضل علينا في الدنيا بالنعم المذكورة فأنعم علينا في الآخرة بالحفظ من عذاب النار (قوله من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك) الصمان اسم جبل فيه مرعى عظيم لكن في تنظيره بما ذكر شيء وهو أن الشرط والجزاء في من ادرك الصمان متحد فلا بد من تأويل الجزاء بان يراد فقد أدرك غاية المرعى أو المرعى الكامل وأما قوله تعالى من تدخل النار فقد أخزيته فليس كذلك لان ادخال النار عذاب جسماني والآخر عذاب روحاني كما سيجيء في كلامه والجواب أن المراد ان الجزاء مفهوم من الشرط في كل من المثالين فان الاخزاء مفهوم من ادخال النار فلو أبقي الجزاء على حاله لكان كلاما خاليا عن الفائدة فيجب أن يحمل الاخزاء على كماله ولك أن تقول كمال الاخزاء أيضا مفهوم من ادخال النار فتأمل (قوله وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع) فانه رتب في هذا الكلام العذاب الروحاني وهو الاخزاء على الجسماني الذي هو ادخال النار وجعل الثاني شرطا والاول جزاء ولا يخفى أن المراد من الجملة الشرطية الجزاء فيشعر بان الروحاني أفظع اذ لو كان الجسماني أفظع لكان الظاهر أن يجعل جزاء حتى يكون هو المقصود بالذات وأيضا المفهوم من قوله تعالى فقنا عذاب النار طلب الوقاية من عذابها وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته كأنه دليل على الطلب المذكور

غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع (وما للظالمين من أنصار) أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر (190) (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي بان آمنوا فامتثلنا (191) (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيآتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والابرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب (192) (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في

فكأنه قيل نطلب الوقاية من عذاب النار لترتب الخزي عليه وهذا التقدير يدل على ان غاية ما يخاف من العذاب الروحاني (قوله ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة) رد لما قاله صاحب الكشاف من ان نفي النصرة مستلزم لنفي الشفاعة (قوله وفيه مبالغة الخ) لان الظاهر انه ان كان المنادي مسموعا كان كلامه مسموعا بطريق الاولى ولا يخفى ان المنادي غير مسموع فيجب تقدير شيء وهو ان يكون التقدير سمعنا نداء منادي ينادي للايمان (قوله وفي تنكير المنادي الخ) اطلاقه باعتبار انه لا يضاف الى شيء بعينه بان يقال انا سمعنا منادي الايمان وانما كان الاطلاق أولا ثم التقييد ثانيا دالا على التعظيم لان ما ذكرنا انما يكون فيمن يقوى الاهتمام به (قوله لتضمنها الخ) فبالاعتبار الاول يتعدى بالى وبالثاني بالباء (قوله بان آمنوا) فيكون ان مفسرة لانها بعد النداء الذي بمعنى القول وفيه ان ان آمنوا لا يلائم ان يكون تفسيرا لينادي للايمان ولا للايمان فقط اذ لا يلائم ان يقال سمعت مناديا أي آمنوا يوافق ما ذكرنا ما قاله صاحب المغني ان الكوفيين أنكروا ان التفسيرية البتة وهو متجه لانه اذا قيل كتبت فيه ان افعل لم يكن افعل نفس كتبت كما كان الذهب نفس العسجد في قولك هذا عسجد أي ذهب ولهذا لو جئت باي في المثال المذكور مكان ان لم تجده مقبولا عند الطبع ويمكن ان يقال ان ههنا مقدرا والمعنى ينادي للايمان أي قال آمنوا حتى آمنوا تفسيرا لينادي للايمان فتأمل (قوله أو بان آمنوا) الظاهر ان هذا بدل عن قوله تعالى للايمان فيكون المعنى ينادي بان آمنوا أي بطلب الايمان لان ان وان جعلت الفعل بمعنى المصدر لكن بقي اعتبار المعنى في الماضي والاستقبال في المستقبل والطلب في الامر (قوله جمع بر أو بار) قال العلامة التفتازاني الجمهور على انه لم يثبت جمع فاعل على أفعل وان أصحاب جمع صحب بالسكون وصحب بالكسر مخفف صاحب بحذف الالف (قوله مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة) اذا لم يكن من الموعودين بان كان سيء العاقبة أو قاصرا في الامتثال لا وجه للدعاء بالعبارة المذكورة لان معناها طلب ما وعده الله واذا لم يكن الداعي من الموعودين لا وجه لدعائه

بان يقول آتنا ما وعدتنا والاولى الاقتصار على الامرين الاخيرين وهو امتثال الامر والاستكانة أى الخضوع (قوله وهو أخص من أجاب) لان استجاب لايستعمل الا فى اجابة الدعوة بخلاف أجاب فانه بمعنى جواب النداء والسؤال والدعاء وأيضا الاستجابة لاتستعمل الا فى تحصيل المطلوب بخلاف أجاب (قوله على ارادة القول) يحتمل وجهين أحدهما ان يكون استجاب بمعنى قال والثانى ان يكون التقدير قائلا انى لاأضيع (قوله أو لانهما من أصل واحد) لايظهر من هذا وجه كون بعضكم من بعض الا باعتبار الاتصال فهو راجع الى مابعده (قوله بين بها الخ) الشركة المذكورة فهمت من قوله من ذكر أو أنثى فراده ان علة الاشتراك تفهم من هذا القول لانه اذا كان بعضهم من بعض ومتصلا به فحكم كل من البعضين حكم الآخر فحكم النساء يكون حكم الرجال فى جزاء الاعمال (قوله والثانى أفضل) أى أوجه تقدم قتلوا على قاتلوا لان القتل الذى فهم من قتلوا وهو الشهادة أفضل من المقاتلة وهذا اذا كان المقاتل والمقتول واحدا واما اذا كانا متغايرين فالوجه هو ما ذكر (قوله أو لان المراد الخ) (قوله والمراد أمته) فيكون ههنا مضاف مقدر أى لا يغر أمتك (قوله تنزيلا للسبب الخ) المبالغة ان أصل لايغرنك لاتكن مسرورا فنهى التقلب عن الغارية ليستدل به على تعلق النهى باغترار المخاطب لان كون التقلب غارا سبب لصيرورة المخاطب مغترا وهذا موافق لما قاله العلامة التفتازانى ان فيه اشعارا بان السبب عين التقلب والمسبب الاغترارية والنهى ورد عن الاول والمراد النهى عن الثانى أعنى الاغترار مجازا أو كناية ولك ان تقول لاتظهر السببية ههنا لان كون التقلب غارا ليس سببا لكون المخاطب مغرورا لان الغارية والمغرورية متضايفان وقد صرحوا بان القطع والانقطاع والكسر والانكسار مثلا متضايفان وقد حقق فى العلوم العقلية ان المتضايفين لايصح كون أحدهما سببا للآخر بل هما معا فى درجة واحدة والاولى ان يقال علق النهى بكون التقلب غارا ليفيد نهى المخاطب عن الاغترار لان نفى أحد المتضايفين الذى هو الغارية يفيد نفى المتضايف الآخر الذى هو الاغترار (قوله وبئس المهاد)

الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ماوعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك (ولا تخزنا يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لاتخلف الميعاد) باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف [193](فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام (انى لاأضيع عمل عامل منكم) أى بانى لاأضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر أو أنثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر أو لانهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان أم سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت [194](فالذين هاجروا) الخ تفصيل لاعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الاوطان والعشائر للدين (وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى) بسبب ايمانهم بالله ومن أجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا والثانى أفضل أو لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر[195] قتلوا للتكثير (لاكفرن عنهم سيآتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) أى أثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه [196](لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) أى ما مهدوا لانفسهم [197](لكن الذين اتقوا

ربهم

اما ان يكون معطوفا على جهنم بتأويل ان مأواهم مقول فى شأنه بئس أو خبر محذوف أو تكون الواو اعتراضية (قوله وكنا اذا الجبار) المتسلط العالى وضافنا بمعنى نزل بنا وصار ضيفا لنا والقنا جمع قناة وهى الرمح والمرهفات السيوف

ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا (وما عند الله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله [198] (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من أحبارهم [199] (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) ما خص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء [200] (ياأيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد (وصابروا) وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) أبدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه الصلاة والسلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح أو واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم

﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها الناس) خطاب يعم بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم أى خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير

الصادقة (قوله والمراد أمته) فيكون ههنا مضاف مقدر أى لايغرن أمتك (قوله وانما دخلت اللام الخ) أى لام التأكيد تدخل على خبر ان ومنع دخولها على اسمها حذرا من اجتماع حرفى التأكيد لكن ههنا دخلت على الاسم لتأخره عن الخبر فلا يلزم الاجتماع المذكور (قوله لان سرعة الحساب الخ) لان غرضه من الحساب ظهور ما يستحق المكلف من الجزاء وترتيبه عليه ومنه يعلم ما فهم من كلامه ان العلم بالجزاء داخل فى سرعة الحساب (قوله المعبر عنها) أى صفة المقامات الثلاثة فالصبر على الطاعات المرتبة الاولى التى هى الشريعة ورفض العادات المرتبة الثانية التى هى الطريقة ومرابطة السر على جناب الحق المرتبة الثالثة التى هى الحقيقة

﴿سورة النساء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة) أى خلق منها زوجها تقرير لما ذكر وفيه انه لا يلزم من خلق حواء من آدم خلقهم من نفس واحدة بل خلقهم من نفسين غاية الامر ان احداهما خلقت من الأخرى وظنى ان ما ذكره قاصر عن توضيح المراد والمعنى والله أعلم انه جعل الاصل الاول لكم نفسا واحدة وهذا صحيح لانه آدم وحواء أصل ثان من الاول وعلى هذا ظهر كون خلق ههنا زوجها تقريرا للجملة الاولى التى هى خلقكم من نفس واحدة

(قوله اذ الحكمة تقتضى ان يكون النساء أكثر) كما سيجىء فى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور انه لعل تقديم الاناث لكونها أكثر لتكثير النسل فعلى مقتضى ماذكره ههنا يكون كون الاناث أكثر خلاف الحكمة والذى يخطر لى ان تقديم الاناث هناك لكونها أكثر فى آن الاسلام الذى هو آخر الزمان و ورد فى الحديث ان من اشراط الساعة ان يقل الرجال و يكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة رجل واحد و وصف الرجال بالكثرة ههنا للاهتمام بشأنهم أولان الرجال أكثر منهم فى مجموع أزمنة وجودهم من لدن آدم عليه السلام الى يوم القيامة وهذا لاينافى ان يكون النساء أكثر فى آخر الزمان (قوله بيان لكيفية تولدهم منهما) لان تولدهم من نفس واحدة يناسب بيان كيفيته اذ هو أمر خفى يتردد العقل فيه أهو من مجرد النفس الواحدة أو منها مع الزوج التى خلقت منها (قوله وذكر كثيرا) أى الظاهر يقتضى أن يقال رجالا كثيرة بالتأنيث وايرادها بالتذكير باعتبار تأويل الرجال بالجمع فكأنه قيل ان المراد جمع رجال كثيرا أو نساء (قوله أولان المراد) يعنى لما كان ربكم خلقكم من نفس واحدة فبينكم قرابة واتصال وهو يوجب الشفقة والرحمة من بعضكم على بعض كما لايخفى على سليم الطبع (قوله وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة) أى الضمير المجرور كبعض الكلمة لان هذا الضمير قوى الاتصال لان اتصاله من وجهين أحدهما باعتبار كونه ضميرا متصلا والثانى

خلقهم من نفس واحدة (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين و بنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها أولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله و بنى جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق و باث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق و باث (واتقوا الله الذى تساءلون به) أى يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك أى مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه الكريم على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى أموالهم) أى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على

باعتبار انه متصل بالجار وتبع فى تضعيف قراءة حمزة صاحب الكشاف وقال العلامة النيسابورى ومن قرأ بالجر فللعطف على الضمير المجرور فى به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ماقبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها بقياس واه كبيت العنكبوت أقول قال بعض أكابر علم القراءة وهو الشيخ الجزرى فى كتابه النشر الذى عمله فى القراآت كم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انكارهم بل أجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كخفض والارحام واعلم أن الظاهر من قول العلامة النيسابورى ان كل حرف من قراءة كل من القراء السبعة متواتر لكنه خلاف ماقاله الجزرى فى النشر فقال زعم بعض المتأخرين أن القرآن لا يثبت الا بالتواتر ولا يخفى ما فيه لانا اذا اشترطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الائمة السبعة وغيرهم قال ولقد كنت اجنح الى هذا القول ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف وقال القراآت المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير ان هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم تركن النفس الى مانقل عنهم فوق ماينقل عن غيرهم انتهى كلامه وعلى هذا ظهر ضعف ماقيل من كون كل حرف حرف من القراآت السبعة متواترة (قوله اما على انه لما جرى مجرى الاسماء) يعنى ليس فى اللغة جمع فعيل صفة على فعالى بل على فعال وفعلاء وفعلى ككرام وكرماء ومريض ومرضى واما فعيل اسما فيجمع على فعائل فاليتيم لما جرى مجرى الاسماء كصاحب وفارس فى عدم ذكر الموصوف معهما أجرى مجرى الاسماء فجمع على يتائم كما جمع أصيل على أصائل ثم نقل بعض الحروف عن مكانه كما ذكر

(قوله لانه من باب الآفات) أى اليتم من الآفات لانه التجرد من الاب لجمع جمع ماهو آفة كمريض جمع على مرضى (قوله قبل أن يزول الخ) فى الكشاف وفيه أنه اذا كان اطلاق اليتيم على البالغ بطريق الاتساع كما ذكر كان اليتيم حقيقة من لم يصل الى البلوغ فاذا بلغ زال عنه اسم اليتيم فلا وجه لقوله أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم ولعل مراده قبل أن يزول عنهم هذا الاسم بطريق الاتساع أى قبل مجىء زمان لا يطلق عليه اسم اليتيم اتساعا فانه أول زمان البلوغ وفيما يقرب منه يطلق عليه اسم اليتيم فاذا بعد لم يطلق عليه وقال العلامة التفتازانى اطلاق لفظ اليتامى حقيقة لغوية لاعرفية أو مجاز باعتبار ما كان لقرب العهد بالصغر

انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى وأسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده فى الآية اما للبلغ على الاصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع اليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الامر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم أى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) أى ان خفتم أن لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنابها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو ان خفتم أن لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم أن لا تعدلوا فى أمر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة أو اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ماملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أى ان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة

والاشارة الى وجوب المسارعة الى دفع أموالهم حتى كأن اسم اليتيم باق بعد غير زائل انتهى ولو قال المصنف أول بلوغهم وفى وقت كان اسم اليتيم كأنه باق عليهم لم يرد شئ (قوله وهذا تبديل وليس بتبدل) فان التبديل هو اعطاء شئ وأخذ آخر والتبدل أخذ شئ وترك شئ آخر وكذا الاستبدال فان استبدال الحرام من أموال اليتامى بالحلال من الاوصياء أن يتركوا حلال أموالهم و يأخذوا أموال اليتامى التى هى حرام عليهم وكذا أخذ أموالهم بترك حفظها (قوله ذهابا الى الصفة) يعنى استعملت كلمة ما فى النساء مع اختصاصها أو غلبتها فى غير ذوى العقول لان التفرقة بين من وما انما هى اذا أريد الذات أما اذا أريد الوصف كما

تقول فى الاستفهام ما زيد أى أفاضل أم كريم فعبر عنه بكلمة مادون من بحكم الوضع على ما ذكره صاحب الكشاف وصاحب المفتاح وغيرهما وههنا المراد من ما الصفة أى انكحوا الموصوفة باى صفة أردتم من البكر والثيب والشابة واضدادها الى غير ذلك من الاوصاف (قوله أو ماملكت أيمانكم) فان المراد بما ملكت أيمانكم الجوارى فانه عبر عنهما بما لقلة عقولهن (قوله فانها بنيت صفات الخ) أى صيغت للوصفية وان لم توضع أصولها التى هى ثلاثة وأربعة لها (قوله وقيل لتكرير العدل) لانها أخرجت عن أوزانها الاصلية وعن التكرار الى الوحدة (قوله متفقين فيه ومختلفين) لا يخفى ما فى هذه العبارة ومحصلها ان معناها الاذن لكل واحد من الناكحين يريد الجمع أن ينكح

أى عدد شاء من الاعداد المذكورة سواء كان كل ناكح متفقين فيه أو مختلفين فان الضمير فى ينكح راجع الى كل ناكح ولو قيل سواء كان الناكحون متفقين فى العدد أو مختلفين لكان أولى (قوله ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع) أى لو قيل انكحوا ماطاب لكم من النساء اثنين وثلاثا وأربعا لكان المعنى اجمعوا بين هذه الاعداد ولا يظهر التوزيع أى ان لكل واحد أن ينكح اثنين فقط والفرق بين العبارتين أنه اذا قيل انكحوا اثنين وثلاثا وأربعا فمجرد العبارة يظهر منها أن يجوز الجمع بين الاقسام المذكورة بان ينكح كل الاربع ويحتمل أن يكون المراد التوزيع بان ينكح بعض اثنين وبعض ثلاثا وبعض أربعا وأما اذا قيل انكحوا اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فلا وجه لان يقال معناه يجوز الجمع بين هذه الاقسام بان ينكح كل ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا والازم جواز نكاح أكثر من أربع والاحاديث الصحاح مانعة عنه وفيه نظر اذ يمكن أن يقال اذا نظر الى الاحاديث بكلمة التوزيع أو أورد العبارة الاولى وبالجملة فكلامه موضع نظر وقال صاحب الكشاف الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ماأراد من العدد الذى أطاق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وتوضيحه أنه اذا قيل اقتسموا هذا المال درهمين وثلاثة وأربعة لم يصح جعل درهمين حالا من المال اذ ليس المال درهمين أما اذا كرر ظهر معنى آخر هو التفصيل فكأنه قيل اقتسموا هذا المال حال كونه درهمين درهمين باعتبار القسمة أو ثلاثة ثلاثة أى اقتسموا هذا المال كائنا قسمته على هذا التفصيل المخصوص وصاحب الكشاف لما جعل نظير ماذكر اقتسموا هذا المال الخ يفهم منه ظاهرا ان لا معنى لقول القائل انكحوا ماطاب لكم من النساء اثنين وثلاثة وقد صرح العلامة التفتازانى بان حكم الطيبات فى افراد النكاح حكم المال المذكور فى القسمة حيث قال لم يصح جعل درهمين حالا من المال الذى هو ألف درهم بخلاف مااذا كرر فان القصد منه الى الوصف والتفصيل فى حكم الاقتسام وكذا الطيبات فى حكم النكاح انتهى كلامه فظهر الفرق بين كلام المصنف وصاحب الكشاف فان المفهوم من كلام المصنف ان معناه يجوز الجمع دون التوزيع وكلام صاحب الكشاف يدل على ان ليس له معنى اذ لا معنى لخطاب الجمع بنكاح ماطاب من النساء حال كونه اثنين اذ لا يصح للجميع نكاح ثنتين ولا ثلاثة فان قيل يفهم من قوله انه يجوز أن ينكحوا اثنين اثنين ومن قوله ثلاث انه يجوز أن ينكحوا ثلاثة ثلاثة وأما انه يجوز أن ينكح بعض اثنين و بعض ثلاثة فلا يفهم منه قلنا اذا جاز أن ينكح كل واحد ثنتين أو ثلاثا أو أربعا يلزم جواز أن ينكح واحد ثنتين والآخر ثلاثا والآخر أربعا اذ لا وجه لتجويز نكاح كل واحد ثنتين أو ثلاثا والمنع من نكاح بعض ثنتين والبعض الآخر ثلاثة وأربعا فتأمل جدا فى هذا المقام فقد بقى ما فيه من الكلام والتوفيق من الملهم العلام (قوله ولو ذكرت بأو الخ) أى لو قيل فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى أو ثلاث أو رباع لكان المعنى ان للناكحين أن يأخذوا نوعا خاصا من هذه التقسيمات بان يكون كل ناكح اثنين أو ثلاثا أو أربعا ولم يظهر انه يجوز أن ينكح واحد اثنين وآخر أربعا لان مفهوم أو تجويز أحد الامرين أو الامور وأما جواز الجمع فانما يفهم من خارج والحاصل أن الواو تدل على جواز الجمع من هذه الانواع من الاعداد وهذا أى الجمع بان ينكح واحد اثنين وآخر ثلاثة وآخر أربعا فان هذه الانواع اجتمعت فى الناكحين وأما أو فلا يدل على الجمع وقد أهمل شيأ لابد من ذكره وذكره صاحب الكشاف حيث قال الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع مختلفين فى تلك الاعداد ان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ماوراء ذلك فان قوله محظورا عليهم ماوراء ذلك غير مذكور فى كلام المصنف ووجب ذكره ليتحرز عن مذهب من جوز نكاح التسع استدلالا بان اثنين وثلاثا وأربعا تسع وذلك لان من نكح الخمس أو مافوقها لم يحافظ على القيد المذكور أى كيفية النكاح وكونه على هذا التقدير والتفصيل بل جاوز الى خماس وسداس (قوله تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة الخ) يتوجه عليه وعلى ماتقدم وهو قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى الخ سؤال وهو أن يلزم من القول المتأخر أن يكون نكاح الواحدة مشروطا بخوف عدم العدل فلا يجوز بدونه ومن القول المتقدم أن يكون نكاح غير اليتامى مشروطا بخوف عدم الاقساط فى اليتامى ولا يجوز بدونه والذى يخطر لى والله أعلم ان المراد فان خفتم أن لا تعدلوا فالاحسن أن تنكحوا واحدة فالاحسنية مشروطة بالخوف المذكور وقس عليه قوله تعالى فان خفتم ان لا تقسطوا الخ

درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الاعداد أيضا (فواحدة) فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة (أو ماملكت أيمانكم) سوّى بين الواحدة من

الازواج

(قوله أقرب من ان لا تميلوا) أى أقرب الى عدم الميل والجور من اختيار كثرة الازواج فان عدم الميل فى هذه الصورة أيضا قريب لان لى قدرة الزوج ان لا يميل عن الحق ولا يجور وهو شأن المؤمن اذ حصول الجور والميل انما هو لعارض لكن عدم الجور أقرب حصولا فى اختيار الواحدة والتسرى وان نوقش فى القرب الى عدم الميل فى صورة اختيار الواحدة فاقربيته أمر محقق وأما قربيته الى عدم الميل والجور فاختيار الواحدة قرب والمراد بيان شدة القرب كما قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فان المراد أنه لو فرض مستقر ومقيل يكون فيه تنعم لكان الجنة خيرا منه وأحسن (قوله ولعل المراد بالعيال الخ) اذا كان المراد بالعيال الازواج كان ذلك اشارة الى التسرى فوجه الاقربية ظاهر لأن التسرى أقرب الى عدم كثرة العيال بالنسبة الى اختيار الواحدة وهو قريب الى عدمها كما لا يخفى وان كان المراد الاول اذ يصح أن يجعل ذلك اشارة الى اختيار الواحدة وكأن الاقربية بالنسبة الى كثرة الازواج فان قيل عدم كثرة الازواج متحقق فى كل من الصورتين وهما اختيار الواحدة والتسرى فما معنى كون أحدهما اقربيا الى عدم كثرة الازواج والآخر أقرب قلنا المراد من الأقرب الى عدم كثرة الازواج أقوى وأشد مناسبة لعدمها وظاهر ان مناسبة التسرى لعدم الكثرة أقوى وأشد من اختيار الواحدة (قوله لجواز العزل) فيه انه يجوز العزل عن الزوجة أيضا عند الشافعى والاولى أن يقال لان الولد الحاصل

الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) أى التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرى (أدنى أن لا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان أريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة (نحلة) أى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أى آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له أو حال من الصدقات أى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة

من التسرى له النقص من جانبها فقد يعزل عنها أشد لدفع هذه المنقصة بخلاف الزوجة وأيضا قد يعزل عن الامة حذرا عن صيرورتها مستولدة (قوله وبضمهما على التوحيد) أى بضم الصاد والدال على صيغة الفرد وهى صدقهن (قوله نظر الى مفهوم الآية) يفهم من ان كون النحلة بمعنى الفريضة أن ايتاء الصداق فرض مقدر على الزوج (قوله وحال) يعنى اذا كان النحلة بمعنى الديانة كان مفعولا واذا كان حالا كان بمعنى الدين ولا يتوهمن انه اذا كان بمعنى الديانة جاز أن يكون مفعولا له وان يكون حالا ويمكن حمل عبارته على ان الديانة التى هى المصدر اذا أبقيت على معناها كانت مفعولا له واذا جعلت بمعنى الدين كانت حالا وقد غير عبارة الكشاف وهى المعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول له ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه وفرضه (قوله حملا على المعنى) أى حملا على ما هو راجع الى معنى الصدقات ويقوم مقامها فانه لو قيل آتوا النساء صداقهن يصح كآتوا النساء صدقاتهن (قوله أو يجرى مجرى اسم الاشارة) أى تذكير الضمير وافراده باعتبار ان الضمير راجع الى الصدقات بتأويل المذكور كما فى بيت رؤبة قال صاحب الكشاف ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روى عن رؤبة انه قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق فقال أردت كان ذلك قال العلامة التفتازانى لما توجه انه لا بد فيه من التأويل بالمذكور من غير توسط اسم الاشارة أجاب أى صاحب الكشاف بان الفصحاء من العرب قد اعتبروا ذلك حيث قال رؤبة أردت كان ذلك مشيرا الى الخطوط وجعل الحجة قول رؤبة لا نفس البيت لاحتمال أن يكون تذكير الضمير باعتبار الخبر وهو توليع البهق انتهى ولا يخفى ما فى المذكور من القصور فان السؤال انه لما وجب التأويل بالمذكور فما فائدة اعتبار اسم الاشارة ولم يجعل الضمير فى القرآن عائدا الى الصدقات بتأويل المذكور وكذا فى قول رؤبة فيجب فى الجواب بيان نكتة ولا يخفى ان ما ذكروه فى الجواب من أن الفصحاء اعتبروا ذلك لا يغنى عن بيان النكتة لان السؤال

المذكور باق اذ يجوز أن يقال لم اعتبر الفصحاء ذلك و يمكن أن يقال ليس مراده رؤبة من الجواب المذكور توسط اسم الاشارة بل مراده انه كما يجوز ان يقال كان ذلك اشارة الى الخطوط بتأويل المذكور كذلك يجوز ان يقال كانه بان يكون الضمير راجعا الى الخطوط بهذا التأويل (قوله توليع) قال الاصمعى اذا كان فى الدابة ضروب من الألوان من غير بهق فذلك التواليع والبلق السواد والبياض (قوله لكن جعل العمدة) أى الظاهر ان يقال ان وهبن عن طيب حتى يكون عن طيب من متعلقات الفعل لكنه جعل الطيب مسندا وعمدة فى الكلام مبالغة فى اعتبار طيب النفس (قوله أقيمت مقام مصدريهما) قال صاحب الكشاف وقد يوقف على فكلوه و يبتدأ هنيأ على الدعاء وعلى انهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنيأ مريئا قال العلامة التفتازانى قوله وعلى انهما صفتان بيان وتتميم لقوله على الدعاء كسبالك وعلى هذا ظهر مافى تقرير المصنف من التقصير فى بيان المراد (قوله أو وصف بهما المصدر) أى كلوه أكلا هنيأ (قوله يتأثمون) قال صاحب الصحاح تأثم تحرج عن الاثم أى يتحرجون ان يقبل أحدهم الخ (قوله وهو الملائم) أى كون المراد من أموالكم أموال السفهاء وأضيف الى الاولياء كما ذكر هو الملائم للآية المتقدمة وهو قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وللآية المتأخرة وهى قوله تعالى فادفعوا اليهم أموالهم واعلم ان صاحب الكشاف فسر السفهاء باليتامى حيث قال والدليل على انه خطاب للاولياء فى أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وفيه ان ما ذكر لا يدل على ان الخطاب فى خصوص أموال اليتامى لان حكم السفهاء مطلقا كذلك سواء كانوا يتامى أولا فلذا لم يخصص المصنف أموال السفهاء بأموال اليتامى بل أبقاها على اطلاقها وهو الظاهر ولا باعث على الصرف عن الظاهر مع ان الحكم فى مطلق السفهاء كذلك (قوله ثم ينظر الى أيديهم) أى ثم او يطلب منهم شئ من المال و ينظر من ان يخرج من أيديهم شئ (قوله وهو أوفق الخ) لان قيام الشخص وانتفاعه بماله لا بمال غيره (قوله ما يقام به) أى ما يقام به شئ أى جعل الله الاموال تقاومون بها أى يحصل القيام لكم ورفع الخلل عنكم بها (قوله واجعلوها مكانا لرزقهم) ايراد لفظ فى مشعر بان المراد جعل أموالهم محلا لرزقهم وهذا لا يكون الا بالتجارة ولو قيل وارزقوهم منها لظن ان المراد ان رزقهم من نفس المال (قوله عدة جميلة) بان يقال لهم ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم (قوله ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن) الاولى الاكتفاء بالاول وان كل قول معروف اما واجب أو مندوب أو مباح وكل منها حسن فى الشرع كما صرح به المصنف فى منهاج الاصول و يمكن ان يقال مراده بما عرفه الشرع ما يحكم الشرع بترتيب الثواب عليه و بما عرفه العقل ما يكون ملائما للطباع السليمة (قوله بان يحتلم الخ) لم يذكر دليل حصول البلوغ بالاحتلام وذكر دليل البلوغ بالسن لان فيه اختلافا كما ذكره ولا اختلاف فى حصوله بالاحتلام ودليل حصوله بالاحتلام قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقوله صلى الله

* كأنه فى الجلد توليع البهق * اذ سئل فقال أردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيأ مريأ) فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ ما يلذه الانسان والمرئ ما تحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وانما أضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل أحد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته وأولاده ثم ينظر الى أيديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقولهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) أى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه ما يتصرف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم

عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم الحديث (قوله لانه يصلح للنكاح عنده) أى يصلح لان يستقل بالنكاح بخلاف ماقبل البلوغ فانه لايصلح للاستقلال فيه (قوله من غير تاخير عن حد البلوغ) يعتبر معه أساس الرشد (قوله والجملة الخ) أى الجملة المذكورة بعد حتى مع قوله تعالى فادفعوا اليهم أموالهم وانما قال دفع أموالهم اليهم يشترط فيه ايناس الرشد لان الجزاء مقصود بالذات والشرط قيد له بمنزلة الظرف (قوله تعالى ولاتأكلوها الخ) فان قيل هذا نهى عن أكلهم اسرافا وبدارا معا فاين النهى عن أحدهما فقط قلنا النهى عنه قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اذ يعلم منه النهى عن أكل مالهم بغير المعروف لكن الاسراف والمبادرة غير المعروف (قوله بقدر حاجته وأجرة سعيه) هذا ظاهر اذا كانت الأجرة وقدر الحاجة مساويين اما اذا زاد أحدهما على الآخر فكيف يأخذ بقدر

الحاجة أو أجرة السعى قلنا الظاهران

أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل الولد خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه وأقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى و بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان أبصرتم منهم رشدا وقرىء أحستم بمعنى أحسستم (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها و يؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولاتأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم أو لاصرافكم ومبادرتكم كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهى للاولياء أن يأخذوا و ينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) بانهم قبضوها فانه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة و وجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق فى دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولاتتجاوزوا ما حد لكم (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك باعادة العامل (نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله أو حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان أوس بن الصامت الانصارى

مراده تعيين أجرة السعى وذكر قدر الحاجة للتصريح بانه لابد من الحاجة فتأمل (قوله ومبادرين كبرهم) أى سابقين كبرهم أى مسرفين فى مالهم مخافة ان يكبروا فيأخذوه من أيدى الاولياء (قوله مشعر بان الولى له حق فى مال الصبي) امادلالة الاكل بالمعروف على ماذكر فظاهر واما الاستعفاف فقد قالوا فى دلالته انه مبالغة فى العفة ولايتحقق بمجرد الامتناع عما لاحق له فيه أصلا هذا كلامهم وفيه ان المعنى اذا كان ممنوعا من أكل مال اليتيم كما هو مذهب الشافعى وأصحابه رضى الله عنهم فلا وجه لكونه صاحب الحق في مال اليتيم ثم ان الظاهر ان المبالغة فى العفة للاشعار بان على الغنى عادة الاحتراز عن أكل مال اليتيم و بذل الوسع فى ان لايأكل مال اليتيم باحتيال انه ماله حتى يتحقق عنده انه ليس مال اليتيم (قوله وايراد هذا التقسيم) يعنى لم يظهر من ظاهر قوله تعالى ولا تأكلوها انه خطاب لمن فلما جيء بالتقسيم المذكور علم المخاطب لان الاكل بالمعروف من أموال اليتامى انما يكون للاولياء (قوله يريد بهم المتوارثين بالقرابة) أى المراد من الاقربين الذين يكون بينهم مع الرجال توارث بان يكون كل منهما صالحا للارث والغرض ميراثه ليس لمطلق الاقارب نصيب بل هو للقرب المذكور (قوله نصب على انه مصدر مؤكد) والتقدير فرض لهم فريضة بجعل نصيبا مفروضا بمعنى الفريضة (قوله أو حال الخ) هذا بيان حاصل المعنى والتقدير يثبت لهم نصيبا مفروضا وانما قدم المصنف الحال على ذى الحال لكونه نكرة (قوله أوس بن الصامت) قال العلامة التفتازانى فى الكتب المعتبرة والروايات الصحيحة ان أوس ابن ثابت أخا حسان استشهد باحد وأوس بن الصامت استشهد فى خلافة عثمان رضي الله عنه

خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) أمر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرارىهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) أمرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثانى ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب أو للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن أبى بردة رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا وأى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى أولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) أى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا فى

(قوله أم كحة) بالحاء المهملة وبضم الكاف (قوله فزوى) جمع (قوله عن الحوزة) هى مجتمع الملك موضع السلطنة (قوله الفضيخ) بالضاد والخاء المعجمتين قيل لعله المسجد الذى سكنه أصحاب الصفة (قوله وهو دليل الخ) لانه تعالى خاطب أولا بان للاقربين نصيبا مفروضا ولم يبين القدر المفروض ثم بين بقوله يوصيكم الله (قوله ممن لا يرث) لما ذكر فى الآية السابقة حال الاقربين الوارثين ذكر ههنا حال الاقربين غير الوارثين (قوله أو ما دل عليه القسمة) أى المقسوم الذى هو الميراث (قوله وليخش الذين حالهم وصفهم انهم) فيكون بعض الصلة محذوفا ويفسر تركوا يشارفوا لان الترك غير حاصل بالفعل لان الترك بعد الموت فلا وجه للخوف (قوله أمرهم بالتقوى الخ) أى أمرهم بالخشية أولا فى قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا ثم أمرهم ثانيا بالتقوى الذى هو غاية الخشية ثم أمرهم بالقول المعروف فى قوله تعالى وليقولوا قولا سديدا (قوله ظالمين أو على وجه الظلم) يعنى ظلما حال أو تميز (قوله فى بطونهم) هذا يستفاد من لفظ فى لان المعنى نارا كائنا فى بطونهم وحقيقة الظرفية أى كما ان يكون المظروف مساويا للظرف فاذا أكلوا قدر ما لا يملأ البطن لم يكن المأكول فى البطن حقيقة أى كله بل فى بعض (قوله   الجهة
سيدخلون نارا وأى نار) شديدة الاحراق شأنها من الشدة بحيث تستحق أن تسأل عن حالها وتتحقق كيفيتها (قوله يقال صلى النار) بكسر اللام هذا وصليته معنيان حقيقيان ولهما لازم هو الدخول فى النار فاستعمل ههنا فى اللازم واذا ضممت الياء

الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به (فان كن نساء) أي ان كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان أو صفة للنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) أي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحرى ان تستحقه مع أخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك (ولأبويه) ولأبوي الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكر أو أنثى غير ان الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة ومابقي من ذوي الفروض أيضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) فحسب (فلأمه الثلث) مما ترك وانما لم يذكر حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثا وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث مابقي من فرضه كما قاله الجمهور لاثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلأمه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لايرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة أو الاخوات وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لايحجب الام من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص أخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها (من بعد وصية يوصي بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين وانما قال بأو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث

شددت اللام أولا كان بالمعنى الحقيقي الذي هو الادخال في النار (قوله وان كانت المولودة واحدة) يعني اذا كانت خالصة ليس معها ذكر من الأولاد والأولى أن يقال ان الضمير في كانت راجع الى الولد لأنه ذكر في ضمن أولادكم وتأنيثه باعتبار الخبر كما مر (قوله واقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان) يعني انه ذكر ان للذكر الثلثين وللبنت معه الثلث بعد ما تبين فيجب أن يكون للاثنتين ثلثان فبالحرى أن تستحقه مع أخت مثلها فان قيل هذا الدليل والذي يجيء بعده يدل على عدم النقص عن الثلث ولا يدل على عدم استحقاق الزيادة قلنا قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين يدل على عدم استحقاق الزيادة لأنه اذا كانت مافوق الاثنتين لاتستحق أكثر من الثلثين فبطريق الأولى (قوله لقوله فلهما الثلثان مما ترك) اى قوله تعالى في آخر السورة في آية يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة (قوله فانه يفضي الى تفضيل الأنثى الخ) يعني اذا كان مع الأبوين الزوج فله النصف فلو كان فرض الأم في هذه الصورة ثلث كل المال وبقي للاب السدس لزم أن يكون للام ضعف ما للاب والحال أن الأب مساو للام في القرب الى الميت والجهة التي هي الكون أصلا وقريبا (قوله فان كانوا الخ) كالاخوة للاب فانهم لايرثون مع الأب لكن يردون الأم من الثلث الى السدس (قوله من غير اعتبار الثلث) أي من غير اعتبار أن يكون الاخوة ثلاثة وان كان خلاف مقتضى الظاهر (قوله ولا الأخوات الخلص) يفهم منه أنه لو اجتمع الأخ والأخت يحجبون الأم من الثلث الى السدس ويرد عليه انه أيضا خلاف الظاهر لأن الظاهر انه مخصوص بالاخوة الخلص نعم يحتمل أن تكون صورة الاجتماع داخلة في الاخوة باعتبار التغليب (قوله بأو التي للاباحة الخ) أي التسوية وعدم اختلاف الحكم متعلق بالأمرين جميعا أو باحدهما (قوله وهي متأخرة في الحكم) أي تنفيذ الوصايا مؤخر عن أداء الدين بل يجب أولا أداء الدين ثم تنفيذ الوصية (قوله لأنها مشبهة بالميراث) وجه التشبيه ان الميراث ثبت بالموت كما ان الوصية كذلك بخلاف الدين فانه ثابت قبل الموت

(قوله شاقة على الورثة) فان أخذها من غير عوض وصل الى المورث بخلاف الدين (قوله ومندوب اليها الجميع) أى جميع المؤمنين يدعو الى الوصية لقوله صلى الله عليه وسلم ماحق مسلم عنده شئ يبيت ليلتين الا وصيته مكتوبة عنده (قوله فالدين انما يكون) هذا وجه رابع لتقدم الوصية لأنها كثيرة بالنسبة الى الدين بل هو نادر (قوله أو مورثكم منهم) عطف على من يرثكم (قوله ولا يستثنى منه الخ) فان أولاد الأم ذكورا واناثا يستوون فى الميراث وكذا المعتق والمعتقة فان كلا منهما يرث كل التركة بالعصوبة (قوله ويستوى الخ) أى اذا كانت الزوجة واحدة ولم يترك الزوج ولدا فلها الربع وكذا اذا كانت الزوجة أكثر من واحدة سواء كانت ثلاثا أو أربعا فالمجموع الربع

وقس عليه حال الصورة التى ورثت الزوجة فيها الثمن (قوله من ورث) أى يورث من المجرد لا المزيد فيه (قوله والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد) أى اذا كان مفعولا له كان بمعنى القرابة المذكورة أما اذا كانت خبرا أو حالا يكون بمعنى القريب الذى لا يكون والدا ولا ولدا فيكون كلالة التى بمعنى القريب المذكور الميت (قوله وتورث من أورث) أى يكون من باب الافعال فيكون المعنى يورث غيره وترك الميراث له وههنا اشكال وهو أنه اذا كان الرجل الوارث والكلالة ليس بولد ولا والد فضمير له يرجع الى الرجل على ماقاله المصنف وصاحب الكشاف فيكون المعنى وان كان الوارث ليس بولد ولا والد وله أخ أو أخت من الأم فلكل منهما السدس فلزم دخول أخى الميت من الأب اذا كان لهذا الأخ أخ من الام وان كان هذا الاخ ليس أخا للميت فلابد من قيد آخر يخرج هذا الاخ وان كان ضمير له راجعا الى الميت فهذا مع انه خلاف ماقاله المصنف وصاحب الكشاف لايخفى مافيه وبالجملة الاولى الاقتصار على أن يكون الرجل هو الميت (قوله وكلالة يحتمل المعانى الثلاثة الخ) المعنى الاول من لم يخلف والدا ولا ولدا الثانى قرابة ليست من جهة الوالد والولد الثالث من لا يكون والدا ولا ولدا وعلى الاول وهو أن يكون بمعنى من لم يخلف ولدا ولا والدا يكون خبر الرجل أو حالا اذا كان يورث خبرا (قوله فآليت الخ) أى حلفت لا أرحم الناقة من كلالتها أو اعيائها ولا من رقة قدمها ولا من حفى حتى تلاقى محمدا أى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله لانها كلة) أى ضعيفة بالنسبة الى قرابة البعضية (قوله وانه ذكر الخ) معطوف على قوله قراءة أبى أى لما ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين والاخوة كل المال علم أن المراد

شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أى لاتعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ماأوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان أحد المتوالدين اذا كان أرفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته أو من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة أو تنفيذ الوصية (فريضة من الله) مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم و يفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فيما قضى وقدر (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) أى ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بنى بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ماللمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا أولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) أى الميت (يورث) أى يورث منه من ورث صفة رجل (كلالة) خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد و يجوز ان يكون الرجل الوارث و يورث من أورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر أو حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى ألاقى محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى (أو امرأة) عطف على رجل (وله) أى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه (أخ أو أخت) أى من الام ويدل عليه قراءة أبى وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الام وأنه ذكر فى آخر السورة ان

للاختين

من الاخت والاخ ههنا ولد الام لقوله تعالى فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث اذ لو كان المراد ههنا أعم من ولد الام كان اطلاق الحكم بانهم شركاء فى الثلث مناقضا للحكم المذكور فى آخر السورة (قوله لان الادلاء الخ) أى النسبة الى الميت بسبب الام والظاهر ان أدلاءهم لما كان بمحض الانوثة حصلت قوة للاناث بسبب قوة المناسبة للواسطة التى هى الام فيصير هذا سببا لكون حصة الاناث كالذكور ولك أن تقول الادلاء وان كان بمحض الانوثة لكن الذكورة توجب ترجيح الذكر كما فى سائر صور اجتماع الذكور والاناث وأيضا لما كانت أولاد الام منتسبين الى الميت بالام فالظاهر أن يرثوا من الميت كما يرثون من الام التى هى الواسطة والاولى أن يحال تعيين هذه الانصباء الى التعبد والقول بان الحكمة فيها مخفية

(قوله ومفهوم الآية الخ) لان الفرض ان الميت

للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فيناسب أن يكون لاولادها (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع (من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار) أى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أوقصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم (وصية من الله) مصدر مؤكد أومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة أى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فمادونه بالزيادة أو وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بعقوبته (تلك) اشارة الى الاحكام التى قدمت فى أمر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) أى يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن (فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) يستوفى أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى أوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزانى (أو يجعل الله لهن سبيلا) كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن

كلالة أى لم يخلف ولدا ولا والدا فخص عنه أى أخرج هذه الصورة وهى اذا كان الاخ أو الاخت مع الام من حكم مفهوم الآية (قوله أوقصد المضارة الخ) أى بان يقصد بالوصية وان كانت بالثلث أومادونه مضارة الورثة دون القربة أى التقرب من الله تعالى (قوله وهو حال الخ) أى اذا كان يوصى على البناء للفاعل كان غير مضار حالا من الضمير المستقر فيه وان قرئ على البناء للمفعول كان حالا من الضمير المستقر فى يوصى المبنى للفاعل المفهوم من يوصى المبنى للمفعول (قوله أى لا يضار وصية من الله الخ) المراد بالمضر بتوصية الله مخالفتها وقد وصى الله تعالى بشيئين أحدهما عدم الزيادة على الثلث فى الوصية والثانى عدم قصد الضرر بالاولاد فالضرر بوصيته تعالى مخالفة أمره فى أحدهما

(قوله وخالدين حال مقدرة الخ) لان الخلود غير موجود حال الدخول وانما الموجود التقدير والفرض كما فى المثال الذى ذكره والمعنى معه صقر بتقدير انه يصيد غدا (قوله لانهما جريا الخ) أى ليس خالدين فى الحقيقة صفة الجنات بل صفة للداخلين فيها وهم من يطع الله ورسوله فلو جعل صفة للجنات لوجب ابراز الضمير فيقال خالدين هم فيها كما ثبت فى كتب النحو (قوله يستوفى أرواحهن الموت الخ) يعنى يتوفى باق على أصل معناه وصحة المعنى اما باعتبار شئ مقدر وهو الملائكة واما باعتبار تشبيه الموت بشخص مستوف أرواحهن فههنا استعارة (قوله كتعيين الحد الخ) الوجه الاول ناظر الى التفسير الاول والوجه الثانى ناظر الى التفسير الثانى

(قوله بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد) قال فى الصحاح التوبيخ التهديد والتقريع التضييق ثم قال التضييق التعيير واللوم فيكون حاصل المعنى بالتهديد والتعيير واللوم وقيل بالتعيير والجلد (قوله فاقطعوا الخ) قال صاحب الكشاف معنى قوله تعالى فآذوهما فو بخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقوبة و يحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سوائهما و يراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما انتهى كلامه وعلى هذا ظهر ما فى كلام المصنف من الاجمال والابهام ثم ان قوله فاقطعوا عنهما الايذاء مناسب لما فسره أولا صاحب الكشاف وقوله فاعرضوا عنهما بالستر مناسب لما فسره ثانيا ثم ان تفسير الايذاء بالتعيير والجلد لا يناسب تفسير قطع الايذاء بالستر لانه بعد الجلد لا معنى للستر لكن صاحب الكشاف لما فسر الايذاء بالتهديد لا الجلد ناسب تغييره قطعه بالستر فتأمل (قوله فى السحاقات) أما الاول فبقرينة ايراد صيغة التأنيث وأما الثانى فبقرينة صيغة المذكر (قوله كالمحتوم على الله) فان قيل بل هو محتوم عليه بمقتضى وعده اذ يمتنع تخلف وعده قلنا المراد من المحتوم الواجب عقلا وقبول التوبة ليس كذلك بل هو شبيه به (قوله ملتبسين بها) انما فسر بذلك ولم يفسر بجهل كون الفعل معصية لان التوبة لا تخصهم بل من علم كون الفعل معصية ثم تاب فهو داخل تحت هذا الحكم بل من لم يعلم كونه معصية قد لا يحتاج الى التوبة لان فعل الجاهل معفو عنه وانما قلنا قد لا يحتاج لان الجاهل بما ذكر قد يؤاخذ بتقصيره فى تحقيق الامر (قوله سوى بين من فسر التوبة الخ) هذا الكلام يدل على ان قوله ولا الذين يموتون وهم كفار هم الذين لم يتوبوا أصلا وحينئذ لم يظهر الدال المعطوف عليه اذ لو عطف على الذين يعملون السيئات يوهم أن يكون المعنى وليست التوبة للكفار الذين ماتوا على الكفر ولم يتوبوا أصلا وهذا كلام لا فائدة فيه الا أن يراد من التوبة ما يترتب عليها وهو الغفران ويمكن أن يقال معنى الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات من الفسقة حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار بان تكون توبتهم فى حال حضور الموت حتى يكون القيد المذكور وهو قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت الخ قيدا لهما (قوله للمبالغة فى عدم الاعتداد بها) المراد بالمبالغة التأكيد ولا يخفى ان تسوية توبة الفرقة الاولى وعدم توبة الفرقة الثانية تؤكد عدم القبول لأن أصل عدم القبول حاصل من قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات (قوله و بالذين الخ) يعنى نسب السوء الذى هو مفرد الى المؤمنين والسيئات التى هى الجمع باللام الى المنافقين اشعارا بان أفعالهم السيئة كثيرة حتى كانهم فاعلوا كل سيئة (قوله وقيل) المعنى على ما قال صاحب الكشاف لا يحل لكم

كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد (فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء أو اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنى الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة (انما التوبة على الله) أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أى يتوبون فى أى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لا يعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين و بالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم و بالذين يموتون الكفار (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم و بيان ان العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فابدلت

الدال الاولى تاء (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة و بالفتح ما يكره عليه (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزويج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة الا أن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف في الفعل والاجمال في القول (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ و يجعل الله فيه خيرا كثيرا) أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو أصلح للدين وأدنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) أي احدى الزوجات جمع الضمير لانه أراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه شيأ) أي من القنطار (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) استفهام انكار وتوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمين و يحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا أراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان أو ما أشار اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ما قد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك ومكروهات ومعناه ان النهي مخصوص بما اذا كانت كارهات أو مكرهات والمفهوم منه انه لا منع اذا لم يكن كذلك وليس كذلك والجواب ان الغالب الكراهة وماخرج مخرج الغالب لا يعتبر مفهومه (قوله فتتزوجوهن كارهات الخ) الظاهر أن الارث عبارة عن دعوى حق الاختصاص بالامور الثلاثة المذكورة فيكون كرها على هذا التقدير قيدا للتزوج للارث (قوله تعالى ولا تعضلوهن الخ) فان قيل هذا لا يناسب ماقاله من ان المعصية عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها لأن الوارث ما آتاها شيأ قلنا يكون المراد حينئذ بما آتيتموهن ما أتاهن من جنسكم (قوله وقيل الخطاب الخ) يفيد ان التفسير الذي تقدم مبني على ان الخطاب في ترثوا وتعضلوا لغير الازواج وقوله بعد ذلك وقيل تم الكلام الخ يفيد ان الخطاب في ترثوا للعصبة وفي لا تعضلوا للازواج (قوله لانه أريد به الصفة الخ) أي المراد منه المنكوحة أو المزوجة وقيل مصدرية على ارادة المفعول فيكون ما نكح بعض المنكوحة (قوله للمبالغة الخ) كذا في الكشاف وتوضيحه انك جعلت ما نكح آباؤكم شاملة لما يمكن نكاحها ومالا يمكن كما جعل العيب شاملا للعيب المحقق والمفروض حتى يدخل فيه الشجاعة المستفادة من قوله بهن فلول الخ وانما أفاد المبالغة لانه اذا حصرت المنكوحة فيما يستحيل نكاحها ظهرت المبالغة في حرمة جميع منكوحات الآباء بحيث لا تشذ احداهن من الحكم المذكور مع ان أصل التحريم والتعميم حصلا من قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء لأن ما من صيغ العموم واذا تحققت ماقلنا ظهر لك ما في كلام المصنف وصاحب الكشاف من الاجمال

(قوله فانه لامؤاخذة الخ) قال العلامة النيسابوري قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهم مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم على التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه في الجاهلية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله (قوله مارخص لامة من الامم) قال العلامة النيسابوري بل ان زرادشت بني المجوس بزعمهم قال بحل نكاح الامهات والبنات الا ان أكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا (قوله سبيل الخ) هذا المخصوص بالذم وفاعل أساء الضمير المبهم المستقر فيه المبين بالتمييز (قوله لانه معظم مايقصد منهن) لك أن تقول معظم مايقصد منهن الاستمتاعات لا النكاح بمعنى التزوج الذي هو مراد ههنا كما صرح به الفقهاء وأيضا في قوله ولانه المتبادر الى الفهم نظر اذ لقائل أن يقول بل المراد الاستمتاع لا نفس العقد ويمكن أن يقال المقدر ههنا يحتمل أحد شيئين اما النكاح أو الاستمتاع فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فيدل على حرمة النكاح لان الغرض منه وفائدته الاستمتاع فاذا حرم حرم وأيضا يجب تقدير النكاح ههنا فاما ان يكون المقدر بمعنى الوطء أو العقد وظهر من حرمة العقد حرمة الوطء بلا توهم الخلاف دون العكس (قوله وكذا الباقيات) أي العمات من الجهات الثلاث أي العمة لابوين أي من كانت أختا للاب لابوين والعمة لاب أي من كانت أختا للاب من الاب فقط والعمة للام أي من كانت أختا للاب من الأم وقس عليه الخالات (قوله وأمرها على قياس النسب الخ) يعني حكم

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ماقد سلف ان أمكنكم أن تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ماقد سلف فانه لامؤاخذة عليه لا انه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهي أي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله مارخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم مايقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الأكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وان سفلت وأخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمرضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درت عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من

الرضاعة حكم النسب باعتبار المرأة التي أرضعت فتكون المرضعة أما للرضيع وبناتها اخواته وأخواتها خالاته وقس عليه وكذا حكم الرضاعة حكم النسب باعتبار الفحل الذي نسب اليه اللبن اي والد الطفل الذي ولدته المرضعة ودرت عليه اللبن فيكون ذلك الوالد أبا الرضيع وبناته اخوات الرضيع واخواته عماته وقس عليه وانما قال باعتبار والد الطفل الخ ولم يقل باعتبار زوج المرضعة لانه يمكن ان يكون لبن المرأة منسوبا الى رجل مع انه ليس بزوج لها بان يطأها بشبهة الرضاع أو يطأها بملك اليمين ثم ولدت من ذلك الوطء فان حكمهما حكم الزوج اذا كان لبن المرأة منسوبا اليهما فلو كان لرجل خمس مستولدات فارضعت كل منها طفلا رضعة صار الرجل ابا له وحرمت كل منها على الطفل لانها موطوآت أبيه لا لكونها أمهات وكذا لو وطئ رجل امرأة بشبهة فحبلت وولدت ثم أرضعت طفلا بهذا اللبن يصير الرضيع ابنا للواطئ ويفهم من قوله باعتبار المرضعة الخ انه ليس حكم الرضاعة حكم النسب باعتبار الطفل الرضيع فلا تحرم أخوات الرضيع على صاحب اللبن ولا المرضعة على اخوته (قوله واستثناء الخ) اما الاول فصورته ان يكون لرجل ابن من امرأة ثم تزوجت هذه المرأة زوجا آخر وولدت منه بنتا فان هذه البنت التي هي أخت ابن الزوج الاول ربيبة الزوج الاول فتحرم مع ان أخت الابن الرضاعي للرجل غير محرمة عليه أي على ذلك الرجل لكن الحرمة الاولى للمصاهرة أي لكونها بنت زوجته لا للنسب واما الثاني وهي أم أخت الرجل من الرضاع فصورته ان ترضع امرأة ذكرا وأنثى وتكون تلك المرأة ليست والدة لهما فلا يحرم أم تلك الانثى التي هي أم أخت الذكر من الرضاع على ذلك الذكر ويحرم أم الاخت من غير الرضاع فانه اذا نكح رجل امرأة وحصل له منها ابن ثم نكح أخرى وحصل منها بنت فان هذه الزوجة الثانية أم أخت الرجل الذي هو الابن المذكور وحرمت عليه لكن هذه الحرمة ليست بسبب النسب بل بسبب كونها زوجة أبيه وهو المراد

بالمصاهرة (قوله فان حرمتهما من النسب الخ) أى اذا كان حرمة أخت ابن الرجل باعتبار النسب بان يكون الاخت أخت الابن فى النسب وكذا الابن ابنا للرجل فى النسب تكون الحرمة أى حرمة أخت ابن الرجل عليه بسبب المصاهرة لا بسبب النسب كما بيناه وقس عليه الصورة الأخرى وهى أم أخت الرجل (قوله مقيدة للفظ الخ) المراد باللاتى مع صلتها مجموع قوله تعالى اللاتى دخلتم بهن اذ المعنى وربائبكم اللاتى يكن فى حجوركم من نسائكم الخ بان يكون من نسائكم متعلقا بيكن كما ان فى حجوركم كذلك حتى يكون من نسائكم اللاتى دخلتم بهن مقيدا للحكم لا قوله فى حجوركم اذ هو ليس مقيدا كما سيبين (قوله ولا يجوز تعليقها الخ) حتى يكون المعنى وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن فتكون أمهات النساء ليست بحرام مطلقا بل شرط الحرمة ان يكون النساء مدخولا بهن (قوله اللهم الا اذا جعلتها للاتصال) أى من جعل من للاتصال فيكون المعنى أمهات نسائكم المتصلة بالنساء اللاتى فى حجوركم وربائبكم اللاتى فى حجوركم المتصلة بالنساء اللاتى دخلتم بهن فان أمهات النساء متصلة بالنساء والربائب

أيضا متصلة بهن اما الاول فلانهن أى الربائب بناتهن والاستثناء استثناء من قوله ولا يجوز تعليقها بالامهات أيضا لان عاملهما مختلفان فان عامل النساء الاول اما المضاف أو معنى الاضافة اللام المقدرة على اختلاف الآراء وعامل النساء الثانى من الجارة فلو كان الموصول الثانى صفة للنساء لكان كلمة واحدة وهى الموصول الثانى معمولا لعاملين مختلفين وانما ذكر هذا دفعا لسؤال انه لم لا يجوز ان يكون اللاتى وصفا للنسائين فيكون حكم أم الزوجة حكم بنتها فى ان تحريمهما مشروط بالدخول (قوله تقوية العلة وتكميلها) أى هو تقوية لعلة الحرمة وتكميل اذ لا يخفى ان شبهها بالبنات وكونها فى حكمهن تقوية لعلة حرمتهن و يفهم من قوله الشبه بينهما مع قوله تقوية العلة وتكميلها ان علة حرمة الربيبة مشابهتها بالولد فاصل المشابهة تتحقق بكونها ولد الزوجة المدخولة فان كلا من ربيبته التى هى بنت المدخولة و ولد الرجل من أمها يصدق عليه انه ولد مدخولة الرجل واعلم ان ما جعله المصنف تقوية للعلة جعله صاحب الكشاف نفس العلة فقال فائدة قيد فى حجوركم التعليل للتحريم والظاهر ان نظر المصنف ههنا أدق ثم ان فى كلاميهما اشارة الى عدم اعتبار مفهوم القيد اذ اعتباره انما يكون اذا لم يكن له فائدة أخرى غير انتفاء الحكم عند انتفائه واما اذا اعتبر فائدة أخرى كما فيما نحن فيه فلا يلزم اعتبار المفهوم كما قرر فى الاصول (قوله تصريح بعد اشعار دفعا للقياس) يعنى لو لم يذكر فان لم تكونوا الخ أمكن ان يقيس قائس غير المدخول بامهاتهن على المدخول بها بجامع كونها بنت الزوجة (قوله لا عن ابناء الولد) فانهم أيضا من أصلابهم غاية الامر ان يكون بواسطة

الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) ذكر أولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات أيضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية واذا علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله

اذا حاولت فى أسد فجورا * فانى لست منك ولست منى

على معنى ان أمهات النساء و بناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج أمها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم أو بصدده تقوى الشبه بينها و بين أولادكم وصارت أحقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه أنه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع و يؤثر فى حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد اشعار دفعا للقياس (وحلائل أبنائكم) زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج (الذين من أصلابكم) احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد (وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع الرفع عطفا على المحرمات

(قوله والظاهران الحرمة) أى كما يحرم جمع الاختين فى النكاح كذا يحرم الجمع بينهما فى الوطء بملك اليمين وقس عليه غير هذه الصورة (قوله فان المحرمات المعدودة الخ) أى كما يحرم نكاح العمات والخالات وغيرهن يحرم وطؤهن بملك اليمين وعلى هذا فالمناسب ان يكون حرمت عليكم وطء أمهاتكم وبناتكم الآية حتى يشمل حرمة الوطء بالنكاح و بملك اليمين و يفهم منه حرمة النكاح اذ معظم المقصود من النكاح الوطء والباقى توابعه واذا حرم الوطء حرم النكاح و يفهم مما ذكره ههنا خلاف ما ذكره أولا من تقدير النكاح فتأمل فان قلت يفهم من قوله والمحرمات المعدودات انه يحرم وطء الام والبنت بملك اليمين والحال انهما اذا صارا ملكا للولد والوالد عتقا فى الحال فما تعين تحريم وطئهما بملك اليمين قلنا قد يقران فى الملك كما اذا وهب للمكاتب أو وصى له باحدهما فكان القريب كسوبا يقوم بكفاية نفسه فانه يجوز له قبوله واذا قبله ملك ولا يعتق عليه (قوله أو ما ملكت أيمانكم) وهو الذى مر فى قوله تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم (قوله لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك) يعنى أو ما ملكت أيمانكم يراد به ماسوى الجمع بين الاختين الا ما قد سلف كما قال فيما سلف ولم يذكر ههنا التوجيه الثانى من التوجيهات الذى ذكر فيما سلف ولعله ترك لاشتماله على التكلف واعلم ان صاحب الكشاف لم يذكر ههنا فى توجيه الاستثناء الا كونه منقطعا وقال العلامة التفتازانى اقتصاره عليه اشارة الى انه لا يناسب ان يقدر متصلا و يقصد التأكيد والمبالغة كما فى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وذلك لانه عقب هذا بقوله ان الله كان غفورا رحيما وذلك بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا انتهى وتوضيحه انه لو قصد من الاستثناء التأكيد والمبالغة لا يناسب قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما لان الغفران والرحمة لا يناسب تأكيد التحريم بخلاف قوله تعالى انه كان فاحشة الآية فان جميع ما ذكر مبالغة فى التحريم ويفهم منه ان المناسب الاقتصار على كون الاستثناء منقطعا ويدل عليه ترك الاحتمال الاول الذى ذكره المصنف ههنا (قوله وغير هذا الحرف) أى غير المحصنات من النساء المذكور ههنا فانه أيضا يقرؤه بالفتح ولعل عدم قراءة الكسر ليعلم كونها ذوات أزواج اذ لو قرئ بالكسر أى بكسر الصاد لم يعلم ذلك (قوله واياه عنى الفرزدق الخ) أى أراد الفرزدق بقوله وذات حليل الخ المسبية فان أنكحتها رماحنا دال على انها أخذت بالحرب (قوله وخص عنه بالسنة) أى أخرج عما وراء ذلك محرمات الرضاع وغيرها مما ذكر فانها أيضا محرمة سوى المحرمات الثمان المذكورة وكونها ثمانيا باعتبار ان قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله تعالى وأخواتكم من الرضاعة مشتملة على ثلاثة أصناف من المحارم الاصول بحسب النسب أو الرضاع وفروع النسب الاصول بالنسب والرضاع وان كان ما بحسب الرضاع لا يذكر الا بعضه فهذه ثلاثة أصناف والخمسة الباقية هى ما ذكر بقوله تعالى وأمهات نسائكم الى قوله تعالى والمحصنات من النساء

والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على أظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام (الا ما قد سلف) استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج أحصنهن التزويج أو الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن لانهن أحصن فروجهن (الا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتى سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول أبى سعيد رضى الله تعالى عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل أنكحتها رماحنا ❊ حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال أبو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ما وراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين)

مفعول

(قوله والمعنى) الى قوله ارادة لايخفى انه يمكن ان يقال بتقدير اللام فكان المعنى لان تبتغوا ولاحاجة الى تقدير الارادة لان الارادة تستفاد من اللام فكان غرضه بيان حاصل المعنى والارادة بمعنى الطلب هنا الا بالمعنى المشهور اذ لايجوز تخلف المراد عن الارادة الالهية عندنا (قوله ان تبتغوا باموالكم بالصرف) هكذا فى أكثر النسخ وعلى هذا يكون ههنا مفعول مقدر وهو النساء كما صرح به صاحب الكشاف وفى بعض النسخ من غير الباء وعلى هذا يكون المفعول الصرف مجازا من قبيل استعمال اسم السبب فى المسبب لان الابتغاء والطلب سبب الصرف (قوله بدل الاشتمال) لماوجب تعلق الاحلال بشئ من الافعال اذ لا تتعلق الاحكام بالذوات كما مر فالسامع متشوف الى ذكر شئ بعده فيكون بدل الاشتمال (قوله ولا تجة فيه) لان اللازم منه صلاحية المال للصداق ولا يلزم منه ان لايكون غيره صالحا له أيضا ولايخفى ان تخصيص المال بالذكر مشعر بما قاله الحنفية لكن السنة مثل قوله عليه الصلاة والسلام الوارد فى المتفق عليه بين الصحيحين من رواية سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل التمس تزويج امرأة هل معك شئ من القرآن قال نعم سورة كذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن (قوله أوفما استمتعتم به منهن) هذا التفسير يحوج الى تقدير اذ لا يرتبط الجزاء بالشرط فى الآية كما لايخفى فالتقدير فآتوهن أجورهن فى مقابلة الاستمتاع (قوله أو مصدر مؤكد) أى فرض لكم الاجور فريضة لدلالة قوله تعالى فآتوهن عليه (قوله أى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى) هذا التفسير يجعل طولا بتقدير الفعل مع ان الطول بمعنى الاعتلاء والمقصود الغلبة على نكاح المؤمنات وفى هذا التفسير نظر وهو ان لقائل ان يقول لم أورد طولا ولم

مفعول له والمعنى أحل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن أو أثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لايقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لابد وان يكون مالا ولا تجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن) فمن تمتعتم به من المنكوحات أوفما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أى ايتاء مفروضا أو مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضى أوفيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس انى كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح المؤقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له أى ومن لم يستطع منكم أن يعتلى نكاح المحصنات أو من لم يستطع منكم غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك مايجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم

يكتف بقوله ومن لم يستطع منكم ان ينكح المحصنات نعم اذا كان الطول بمعنى الغنى وهو التفسير الثانى كان تاما لان عدم الاستطاعة يحتمل لكن المقصود ههنا عدم وجدان مهر الحرائر (قوله فظاهر الآية حجة للشافعى) لان حمل طول نكاح المؤمنات على ملك فراش الحرة وحمل النكاح فى الشرع على الوطء خلاف الظاهر (قوله على أن النكاح هو الوطء) فيصير المعنى من لم يكن تحته حرة يطؤها فمما ملكت (قوله ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد) أى حمل لفظ المؤمنات فى قوله تعالى المحصنات المؤمنات على انه للتقييد حتى لايجوز نكاح الأمة الكتابية لانه محمول على الافضل كما ذهب اليه أبو حنيفة (قوله وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية) يفهم منه ان ماتقدم من مذهب الشافعى عدم جواز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية والا لم يكن فرق بين هذا المذهب وبين مانقل عن الشافعى فان قيل كيف شرط نكاح الأمة بعدم القدرة على الحرة الكتابية مع

أن القرآن الكريم قيد المحصنات بالمؤمنات فيفهم ان من لم يقدر على الحرة المؤمنة يجوز له نكاح الامة كما هو مذهب بعض الاصحاب قلنا حمل الشافعي قوله تعالى المؤمنات في المحصنات المؤمنات لا على التقييد بل حمل ذكره على الأعم الاغلب فان المؤمن في الغالب لا يرغب في نكاح الكافرة فكانه قيل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات وغيرهما والاختصار على المؤمنات لما ذكر (قوله ونقصان حق الزوج) لان ولده منها تابع لهما ويجب عليه ان يخليها في بعض الاوقات لخدمة سيدها (قوله فاكتفوا بظاهر الايمان الخ) فيه نظر اذ لا يلزم من كونه تعالى أعلم بايمانهن الحقيقي الاكتفاء بظاهر الايمان نعم لو لم يكن العلم بايمانهن مطلقا الا لله تعالى وجب لنا الاكتفاء بظاهر الايمان لكن لا يلزم من كونه تعالى أعلم بايمانهن حصر العلم فيه بل يلزم عدم الحصر فالوجه الاكتفاء بالتفسير الثاني كما فعله صاحب الكشاف (قوله واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له) اذ يمكن اعتبار شرط آخر هو كون مباشر العقد الولي أو وكيله (قوله بغير مطل وضرار ونقصان) المطل هو عدم الاداء بغير عذر والاضرار هو الاحواج لى التقاضي والملازمة (قوله عفائف) قال العلامة النيسابوري ظاهر الكلام ههنا حرمة نكاح الزانية لكن الاكثرين على أن الامر في الآية للاستحباب لان الواجب ان تكون الامة عفيفة لصحة نكاح أخدان السر قال العلامة النيسابوري قال أكثر المفسرين المسافحة هي التي ترمى مع كل من أرادها ومتخذة الخدن هي التي لها صديق معين (قوله تعالى فاذا أحصن الخ) هذا الشرط للدلالة على ان الاحصان بالتزوج في حق الامام لا يزيد على الحد الذي كان عليها قبل التزوج (قوله لقوله تعالى وقيل وليشهد الخ) هذا دليل يدل على أن المراد بالعذاب الحد لا العذاب الاخروي كما لا يخفى (قوله الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه) ظاهر الحديث يقتضي حرمة انكاح الاماء اذ ما يفضي الى الهلاك محرم فليحمل الحديث على المبالغة (قوله غفور لمن لم صبر) فان قلت ما مناسبة ذكر الغفور ههنا قلت والله أعلم لعل المراد مغفرة الصغائر التي حصلت عند عدم النكاح بسبب قوة الشبق (قوله واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال الملازم للارادة) فيه ان الارادة الالهية اذا تعلقت بشئ لا ينفك الشئ عنه فان التعلق وحصول المراد واحد لانها أي الارادة الالهية علة تامة للشئ ولا ينفك المعلول عن علته التامة الا أن يقال ان الكلام في ارادة حصول الشئ في المستقبل أو يقال ان الارادة الالهية تعلقت في الازل بوجود الاشياء في الازمنة المستقبلة كما صرح به بعض المحققين من أهل علم الكلام ولو قيل لتأكيد معنى الارادة كما صرح به صاحب الكشاف لم يتوجه اليه شئ

والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله أعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن باذن أهلهن) يريد أربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن أجورهن) أي أدوا اليهن مهورهن باذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك رضي الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات أخدان) أخلاء في السر (فاذا أحصن) بالتزويج قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان أتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ما على المحصنات) يعني الحرائر (من العذاب) من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف (ذلك) أي نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الوقوع في الزنى وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة الاثم بأخبث القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وأن تصبروا خير لكم) أي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ما تعبدكم به من الحلال والحرام أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد

أردت لكيما يعلم الناس أنه * سراويل قيس والوفود شهود

(قوله وليبين مفعول له) هذا على اصطلاح ابن الحاجب ومن يحذو حذوه وأما المتقدمون من النحاة فيجعلون مثله مفعولا به بالواسطة لا مفعولا له (قوله يريد الحق لاجله) أى لاجل التبيين فيكون الحق انزال القرآن مثلا (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) اذا تبتم عن المعاصى (قوله أو يرشدكم الى مايمنعكم) فيكون يتوب عليكم مجازا من قبيل اسم المسبب فى السبب فان الارشاد المانع من المعاصى والحاث على التوبة سبب قبول التوبة وكذا الارشاد الى مايكون كفارة للسيئات (قوله كرره للتأكيد والمقابلة) المراد بالمقابلة مقابلة والله يريد أن يتوب عليكم وقوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات الآية أريد ذكر مقابله ليكون مشعرا بابطال ارادتهم والعطف بين هاتين الجملتين لمناسبة المقابلة

بين المريدين والمرادين (قوله فان

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أى يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم الى مايمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة أو الى مايكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد أن يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت (أن تميلوا) عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (ميلا عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله أن يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله لا يغفر أن يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ يجز به ومايفعل الله بعذابكم (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع أى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها أغلب وأرفق لذوى المروآت ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أى الا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة (ولا تقتلوا أنفسكم) بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى أن عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب مايؤدى الى قتلها أو باقتراف مايذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من أهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس

اتباع الشهوات الائتمار لها) يريد دفع سؤال هو ان بعض الصالحين قد يشتغل بشهوات النفس وليس داخلا فى الحكم المذكور فاجاب بان المراد بمن يتبع الشهوات ليس المشتغل بها وانما هو المؤتمر لها ومطيعها وأما الصالحون فما كان اشتغالهم بالشهوات المباحة الا لاجل تجويز الشرع (قوله بالاضافة الى ميل من اقترف) أى ليس المراد بالعظيم العظيم فى ذاته اذ لعل مطلوبهم ليس كذلك بل قنعوا باقتراف الذنوب على الندور ولعلمهم بان اقتراف الذنوب العظيمة فى أنفسها ليس من شأن الصحابة (قوله هذه الثلاث) وهى يريد الله ليبين لكم الآية والله يريد أن يتوب عليكم الآية ويريد الله أن يخفف عنكم الآية

(قوله أواقصدوا) أى ولكن اقصدوا (قوله لانها أغلب وأرفق لذوى المروآت) بخلاف الاستيهاب وطلب الصدقات ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا استعمالا للخاص فى العام حتى يشمل ماذكرنا (قوله تأوله فى التيمم لخوف البرد) أى أول الالقاء فى التهلكة وحمله عليه فى اثبات التيمم بخوف البرد (قوله فانه القتل الحقيقى) أى ارتكاب الذنوب الموجبة للهلاك فى الآخرة فالمراد من القتل الحقيقى قطع فوائد الحياة وترتيب مايناسب عليها ويجوز أن يراد بها القتل مطلقا استعمالا للخاص فى العام حتى يشمل ماذكرنا (قوله وقيل المقصود بالنهى الخ) فيكون الاكل بمعنى الصرف استعمالا لاسم المسبب فى السبب والظاهر أن المراد من الاكل على غير هذا التفسير الاخذ وقد فسر به الاكل فى قوله تعالى الذين يأكلون الربا (قوله بالبخع) البخع هو قتل النفس غما (قوله بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها) حفظ المال فهم من النهى من أكل المال

بالباطل فان أكل المال بالباطل مستلزم لعدم حفظ المال (قوله لما أمر بني اسرائيل بقتل الانفس) لا يخفى ان أمر بني اسرائيل بقتل الانفس للجريمة الكبيرة التي هي عبادة العجل كما قال تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ولا يدل ما ذكر على انه تعالى رحيم بامة محمد صلى الله عليه وسلم لا على بني اسرائيل كما فهم من كلامه وقوله نهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن قتل الانفس (قوله واتيانا بما لا يستحقه) الظاهر ايراد الواو مكان أو وحتى يكون الافراط في التجاوز عن الحق تفسيرا للعدوان والاتيان بما لا يستحق ظلما ثم انه اذا كان العدوان التجاوز عن الحق كان بعينه الظلم فلا حاجة الى ذكره بعده الا أن يقال ان العطف باعتبار التغاير في المفهوم ثم ان العدوان التجاوز عن الحد ولذا فسره صاحب الصحاح بالظلم وأما الافراط في التجاوز فلم يذكر في الصحاح (قوله مصلية) أي مشوية (قوله على ارادة الجنس) فيكون حاصل معنى هذه القراءة والقراءة المشهورة واحدا لان اجتناب الجنس لا يكون الا باجتنابه عن جميع الكبائر (قوله والاقرب أن الكبيرة) الفقهاء صرحوا بان الراجح من تعريف الكبيرة انها ما يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة ولا يخفى الفرق بين هذا و بين ما قاله المصنف الا أن يقال مراده من الوعيد الوعيد الشديد ولكن مثل هذا التكلف لا يلائم التعريف سيما تعريف الكبيرة التي فيها الخلاف (قوله لقوله ان الله لا يغفر الخ) يمكن أن يكون وجه الاستدلال به على ما زعمه هذا القائل ان المفهوم من قوله تعالى ان تجتنبوا الخ ان الكبائر غير مغفورة اذ قيد غفران السيئات باجتنابها والمفهوم من قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الشرك غير مغفور فتكون الكبائر أنواع الشرك لكنه ضعيف اذ للقائل أن يقول لا نسلم أنه يلزم من الآية عدم غفران الكبائر وانما المفهوم منه ان الكبائر اذا اجتنب عنها كفرت السيئات الاخرى ثم انه استدلال بالموجبين من الشكل الثاني فلا ينتج (قوله وأصغر الصغائر حديث النفس) هذا لا يطابق ما قاله العلماء منهم حجة الاسلام فقال في كتاب الاحياء أول ما يرد على النفس الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وهذا يسمى حديث النفس ولا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وما قاله الحجة مطابق لما ورد في الحديث فانه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم فان الوسوسة حديث النفس على ما صرح به أهل اللغة وقد ورد في رواية أخرى عفي لامتي ما حدثت به أنفسها واذا كان حديث النفس مما ليس للاختيار فيه مدخل فلا وجه لعدها من الصغائر فان قلت لعله أراد بحديث النفس ليس ما ذكر بل الهم والعزم على الفعل الذي جعلوه مما يؤاخذ به العبد كما صرح به حجة الاسلام قلت هذا فاسد من وجهين أحدهما لا يطلق على العزم حديث النفس على ما نص عليه الحجة فانه قال أما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس والثاني أن الحكم بان العزم مطلقا أصغر الصغائر منظور فيه لأن المعلوم ان العزم على القتل أكبر من غصب قليل من المال أخذه فكيف يكون أصغر الصغائر (قوله فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه) هذا خلاف ظاهر الآية لان ظاهر مفهومه ان الاجتناب عن جميع الكبائر مكفر للصغائر وان أريد جنس الكبيرة فهو أيضا مستلزم للاجتناب عن جميعها (قوله ولعل هذا مما يتفاوت

وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم وقيل معناه انه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل أو ما سبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير و بالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى و بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و يصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث انه سبب الصلي (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) كبائر الذنوب التي نهاكم الله و رسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة أقرب منها الى سبع وقيل أراد به ههنا أنواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس و بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له أمران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت

باعتبار

باعتبار الاشخاص والاحوال) أى لعل كون الذنب كبيرا يختلف باعتبار تفاوت الاشخاص والاحوال وتفاوت أحوال شخص واحد فالذنب الصغير الصادر من غير الكامل يمكن أن يتصف بالكبر اذا صدر من الكامل واستشهد عليه بما ذكر من قوله ألا يرى انه تعالى عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى أخذ الفداء من أسارى بدر بقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم وفى اذنه عليه السلام للمنافقين فى عدم الخروج الى الغزو بقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية واعلم انه لا يلزم من عتاب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم صدور الذنب عنه اذ قد يمكن أن يكون العتاب بصدور شئ لا يليق بكماله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن ذنبا اذ الكامل قد يصدر منه على الندور ما لا يناسبه فلا يلزم منه ما ادعاه من كون كبر الذنب ربما يتفاوت بتفاوت الاشخاص والاحوال وان كان مريدا له لم يكن قوله لم يعد على غيره خطيئة فضلا عن ان يؤاخذه عليها محل نظر ٧ فتأمل (قوله من الامور الدنيوية كالمال والجاه) انما خص بهما لأن تمنى الامور الاخروية توجب له ثوابا فلا يكون مذموما بخلاف تمنى الامور الدنيوية اذ لا يكون له ثواب فيكون ضائعا (قوله وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب) قال العلامة النيسابورى قال أهل السنة التمنى ارادة ما يعلم أو يظن عدم حصوله فى المستقبل ولك ان تقول ان ارادة الشئ هو طلبه فكيف قال المصنف ان التمنى لا يكون مع الطلب وأيضا المعلوم عدم حصوله لا يطلب فاما ما يظن عدم حصوله و يحتمل حصوله لم لا يطلب ثم ان صاحب المفتاح قال أما النوع الاول من الطلب فهو التمنى

باعتبار الاشخاص والاحوال ألا ترى انه تعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام فى كثير من خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذه عليها (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة وما وعد من الثواب أو ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفى الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك أى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) أى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على أن المنهى عنه هو الحسد أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم

أما ترى كيف تقول ليت زيدا جاءنى تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا ويمكن أن يقال ان الارادة ليست الطلب بل التشهى فاندفع الاعتراض الاول فان مراد المصنف ان التمنى هو تشهى النفس لحصول الشئ من غير اعتبار الطلب فيه لا مع اعتبار عدم الطلب حتى لا يمكن أن يجتمع مع الطلب وان لا يكون فاندفع الثانى ثم انه يمكن أن يقال أيضا مراد المصنف من طلب الشئ قصد تحصيله والتوجه اليه وهذا لا يعتبر فى التمنى اذ قد يعلم عدم حصوله قطعا فكيف يرى حصوله وأما صاحب المفتاح فمراده من الطلب ليس الا التشهى وميل الطبع اليه والتمنى مطلقا كذلك وعلى هذا اندفع الاعتراض الثالث (قوله فان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر) لأن القدر يقتضى ان لا يكون ذلك الشئ له وهو يشتهى أن يكون ذلك الشئ له لان اشتهاءه خلاف ما قدر له متضمن لعدم الرضا بما قدر له مع ان فيما قدر له لابد أن يكون حكمة وان خفيت وهو أى عدم الرضا به انكار تلك الحكمة وهو معارضة مع الحكمة (قوله وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع) لان الكسب سبب لحصوله فينبغى أن يشتغل بالكسب ولا فائدة فى مجرد التمنى بل هو تضييع الحظ الذى هو الامر المقدر له بكسب لانه اذا اكتفى بمجرد التمنى ولم يشتغل بالكسب لم يحصل له مطلوبه (قوله وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال) فانه اذا قدر له شئ عن غير كسب لابد له من حصوله فى وقته المقدر فقبل حصوله يكون التمنى ضائعا وفى وقته يكون التمنى محالا فالضياع والاستحالة بالنظر الى وقتين لا انهما يجتمعان فى وقت واحد لتنافى الصفتين (قوله وجعل ما قسم له الخ) الظاهر انه بصيغة المصدر عطف على النصب أى المراد جعل ما قسم لكل منهم كالمكتسب له بصيغة المفعول أى جعل ما قسم لكل وارث كالشئ الذى اكتسبه ذلك الوارث وعلى هذا لا تكون من للسببية بل التبعيضية لان ما اكتسبه أعم مما ذكر (قوله أمر المواجهة) أى أمر الخطاب لا أمر الغائب (قوله أو لا تتمنوا الخ) بين هذا الوجه والوجه الاول ان على الوجه الاول الحث على السؤال بمثل ما أعطاه الله الناس وعلى هذا الوجه الحث على سؤال مطلق النعم

(قوله فهو يعلم مايستحقه كل انسان الخ) هذا يدل على ان كل ما أعطى شخصا فهو بسبب استحقاقه فهو يدل على ان كل انسان فى حد ذاته مستحق لان يرد عليه من الله تعالى شيء وهذا الاستحقاق ليس من الله تعالى بل من ذاته والالزم أن يكون اعطاء هذا الاستحقاق لاستحقاق آخر وهلم جرا فاذا ثبت الاستحقاق الذاتى ثبت ان كل ما حدث فى العالم يجب أن يكون على النحو الذى وجد وهذا ما صرح به حجة الاسلام فى كتاب الاحياء وههنا أمر غامض فتأمل فالاولى أن يقال ان الله عالم بحال كل شخص وسؤاله من فضله فيعطيه اذا أراد (قوله فاسألوا الله مثله الخ) هذا خلاف ما نقل العلامة النيسابورى عن المحققين فانه قال قال المحققون لا يجوز للانسان أن يقول اللهم أعطنى دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغى أن يقول اعطنى ما يكون صلاحا فى دينى ودنياى ومعادى واسألوا الله من فضله كل ما يقرب به ويسوقه اليكم أى اسألوا الله بعض فضله وعطائه بوسيلة ما يقرب فضله ويسوقه اليكم وحاصله افعلوا ما تصلون به الى فضل الله ورضوانه (قوله وروى ان أم سلمة) يعنى نزلت الآية المشتملة على قوله تعالى واسئلوا الله من فضله فيدل على ان النساء لا يسألن ما للرجال ولكن يسألن من فضل الله تعالى فان فضل الله لا نهاية له يعطيه من يشاء فلعله تعالى يعطى لامرأة واحدة أكثر ما يعطى رجالا كثيرة (قوله مع الفصل بالعامل) أى الفصل بالعامل الذى هو جعلنا بين كل الذى هو الموصوف ومما ترك الذى هو الصفة وانما جوزه لأن الكل معمول جعلنا فهو مؤخر تقديرا (قوله لانه فى معنى الوراث) لان المولى بمعنى الوارث ثم انه اعترض على هذا الوجه والوجه الاول انه ليس لكل تركة موالى وكذا ليست لكل ميت وأجيب عنه بان المراد ان لكل جعلنا جنس الموالى قل أو كثر حتى ان من لا وارث له فبيت المال وارثه فان قلت فلم لم يقل ولكل جعلنا مولى حتى يكون شاملا للواحد والاكثر فان المولى جنس قلنا لعل ايراد الجمع للايماء بان الغالب كثرة الموالى (قوله فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين) الظاهر ان هذا بناء على ما قاله أكثر الفقهاء ان الوالدين والاولاد لا يدخلون فى الاقارب عرفا بل القريب من ينتهى اليه بواسطة وأجيب عنه بان المراد بالاقربين المعنى اللغوى فيشمل الاولاد والتصريح بذكر الوالدين لشرفهم وزيادة الاهتمام بشأنهم (قوله أو ولكل قوم جعلناهم الخ) أورد عليه ان جعل الجار والمجرور مبتدأ بتقدير الموصوف قليل وان لكل قوم من الموالى جميع ما ترك الوالدان لا نصيب منه وأجيب انه مع قلته ثابت فى القرآن الكريم كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ومادون ذلك وان ما يستحقه القوم بعض التركة لما فيها من مؤن التجهيز وقد يكون الدين والوصية (قوله موالى الموالاة) لما كان المولى لفظا مشتركا فى معانى كثيرة منها الحليف المعاهد والمقصود ان الذين عقدت أيمانكم هو مولى الموالاة الذين هم المعاهدون (قوله فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) فيه انه اذا كان للميت ذو رحم فهو أولى بالارث من الحليف الذى هو الاجنبى واما اذا لم يكن للميت ذو رحم وقرابة فلم تدل هذه الآية على عدم ارث الحليف فلا يلزم نسخ آية والذين عقدت ايمانكم بل يلزم التخصيص (قوله أو الازواج) وعلى هذا الخطاب فى ايمانكم للاولياء (قوله وقوله فآتوهم جملة مسببة) بصيغة المفعول لان ما تقدم سبب لانه اذا كان للذين عقدت ايمانكم نصيب كافهم من العطف المذكور لزم وجوب اتيانهم النصيب (قوله وقرأ الكوفيون) أى قراء الكوفة من

فسل الذين وشبهه اذا كان أمرا مواجها به وقبل السين واو أو فاء بغير همز وحمزة فى الوقف على أصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شيء عليما) فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان أم سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) أى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر (والذين عقدت ايمانكم) موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث أو الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم) أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف اليه

السبعة وهم عاصم وحمزة والكسائي عقدت بغير ألف أي عقدت عهودهم ايمانكم أي أيديكم فانه لما كان مماسة الايمان أي الايدي علامة مقارنة للعهد نسب عقد العهد الى الايمان فيكون عهودهم مفعولا وايمانكم فاعلا (قوله ثم حذف كما حذف) لان تقدير القراءة الأخرى وهي ان يقرأ عاقدت ايمانكم اياهم (قوله واقامة الشعائر) أي الأمور الدنيوية التي يعتبر فيها اعلام الناس كالأذان والخطبة (قوله والشهادة في مجامع القضايا) أي الشهادة في جميع الأمور التي تعلق بها قضاء

اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة روي أن سعد ابن الربيع أحد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب أي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن في المضاجع) في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف أولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أي لاتبايتوهن (واضربوهن) يعني ضربا غير مبرح ولاشائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو انه على علو شأنه يتجاوز عن سيآتكم ويتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عن أزواجكم أو انه يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها أضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف امالاجرائه مجرى المفعول به كقوله * ياسارق الليلة أهل الدار * أو الفاعل كقولهم نهارك صائم (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر أو اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من أهله وآخر من أهلها فان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج

القاضي فان شهادة الرجال معتبرة في الجميع وشهادة النساء معتبرة في بعضها دون البعض الآخر كالقصاص والحدود (قوله والاستبداد بالفراق) أي الاستقلال بالفراق بين الزوجين (قوله لتقتص) يحتمل ان يكون هذا الحكم باجتهاده صلى الله عليه وسلم وان يكون المراد من الاقتصاص ضربا من التعزير (قوله شأنه الخ) فيه ان علو الشأن يقتضي زيادة أو انه على علو الكرم الذي هو أنسب بالعفو قال تعالى خذ العفو (قوله أو انه يتعالى ان يظلم أحدا) فانتم عباده ينبغي لكم ان لاتظلموا الغير ولا تنقصوا حقه وتخلقوا باخلاق الله على قدر استطاعتكم (قوله وان خفتم شقاق بينهما) لم يذكر المصنف ولا صاحب الكشاف ما المراد من الخوف ونقل العلامة النيسابوري عن ابن عباس ان المراد العلم وقال الفقهاء اذا شهد الشقاق بينهما بعث حكما من أهله وحكما من أهلها لقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما الآية (قوله امالاجرائه الخ) فان قلت لم يجعل الاضافة بمعنى في كما في ضرب اليوم على ماقاله ابن الحاجب قلت يحتاج الى التجوز والتكلف (قوله رجلا وسطا) قال في الصحاح يقال وسط في قومه اذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا (قوله وقيل الخطاب للازواج والزوجات) فالمراد من الحكم الجنس فيحتمل العقد والمعنى ابعثوا أيها الازواج والزوجات التي وقع الشقاق جماعة حكما من أهله وجماعة حكما من أهلها

(قوله واستدل به على جواز التحكيم) لفظ استدل مشعر بضعف الاستدلال ووجه ضعفه ما ذكره بقوله ان النصب لاصلاح ذات البين (قوله ولا يليان الجمع والتفريق) أي ليس للحكمين ان يؤثرا النكاح ولا الطلاق والفسخ اذ الاصل الظاهر في التقرير والارتفاع المذكورين رضا الزوجين (قوله الضمير الاول للحكمين الخ) انما رجح هذا الوجه على الوجهين الآخرين لان على الوجه الأخير وهو ان يكون الضمير راجعا الى الزوجين لا تظهر فائدة بعث الحكمين واما على الوجه الآخر وهو ان يكون الضميران راجعين الى الحكمين فلان المتبادر

من التوفيق ههنا التوفيق بين الزوجين بقرينة المقام وذكر الشقاق بينهما (قوله بالظواهر) الظاهر من كلامه ان المراد من العليم العالم بالظواهر ومن الخبير العالم بالبواطن حتى يكون لفا ونشرا على الترتيب لكن الاولى ان يقال ان العليم هو العليم بالظاهر والباطن والخبير العليم ببواطن الأ. وهكذا فسروه ويحصل منه تأكيد العلم بالبواطن وانما أكد العلم بالبواطن لان العلم بالباطن مستلزم للعلم بالظاهر فالعلم بالباطن أولى بالتأكيد (قوله وقرئ بالنصب بتقدير أخص) فيفيدان نوع اختصاص بالاحسان بسبب اجتماع القرب والجوار (قوله على الاختصاص) أي قرئ ذي القربى (قوله والجار الجنب) قيل جنب فعل بمعنى المفعول من جنبه يجانبه أي المجنوب المنحى وقيل المعنى ذي الجنب بمعنى الجانب وهو الناحية وهو عبارة عن البعد (قوله بدل من قوله من كان) كذا في الكشاف هذا على تقدير ان يكونا أي المختال الفخور والذين يبخلون بقوله طائفة واحدة وكذا الوجه الثالث واما على الوجهين الاخيرين فلا يلزم الاتحاد ويفهم مما ذكره ان بدل الكل ما صدق هو والمبدل منه على ذات واحدة وان كان بين البدل والمبدل منه عموم من وجه (قوله أحقاء بكل ملامة) هو الخبر المقدر المحذوف (قوله كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء) فان اهانة كل شئ ان يفعل به ما لا يليق وشأن النعمة ان يجاد بها لان الجود منشأ نفع الدارين والجود مستلزم للاظهار في الجملة فثبت ان ما لا يجود بالنعمة أو يخفيها فعل ما لا يليق بها

والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين أو لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين أي ان قصدا الاصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أي ان أرادا الاصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) صنما أو غيره أو شيأ من الاشراك جليا أو خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذي القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذي القربى) أي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) يتفاخر عليهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه

(قوله تعالى فساء قرينا) أى فساء قرينه قرينا فالمخصوص الذى يوجب الارتباط بالمبتدأ محذوف (قوله واعوانه الداخلة والخارجة) أما الاولى فالنفس والقوى الحيوانية واما الخارجة فشياطين الجن والانس (قوله وتنبيه على ان المدعو الى أمر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا) لان المفهوم من الآية التوبيخ على عدم الايمان والانفاق مع العلم بعدم ضررهما (قوله ينبغى ان يجيب اليه احتياطا) معناه ينبغى ان يفعله للاحتراز عن احتمال الذم اللاحق بعدم فعله وهذا فيما يحتمل الضرر لعدم فعله فلا يلزم منه انه اذا دعى أحد الى شئ فعله وتركه متساويان فى عدم الضرر ان يكون فعله أولى (قوله وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الأخرى) وهى قوله تعالى والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر لان القصد ههنا التخصيص اذ المقصود من قوله تعالى وماذا عليهم الحث على الايمان وماذكر بعده ولما كان الايمان أشرف قدم ليوافق الوضع الطبع والمقصود من ذكر الايمان فى الآية السابقة التعليل أى تعليل انفاق الأموال رياء الناس عدم الانفاق لاجل الله تعالى وفى سبيله لعدم الايمان (قوله لا ينقص من الأجر ولا يزيد فى العقاب) لا يخفى ان المعنى الحقيقى للظلم ليس بمجموع

المعنيين المذكورين اللذين هما نقص الاجر والزيادة المذكوران حتى يكون تحقق الظلم مستلزما لتحققهما معا فيلزم عدم تحقق الظلم بوقوع أحدهما دون الآخر والأولى أن يقال الظلم ههنا بمعنى ضر الغير بما لا يستحقه فالمعنى ان الله لا يضر أحدا بما لا يستحقه مثقال ذرة فما ذكر تفصيل المعنى وايراد أنواعه (قوله وفى ذكره ايماء) أى فى ذكر مثقال الذرة اشارة خفية الى أن الظلم وان كان حقيرا فجزاؤه عظيم لان فى ذكر المثقال ايماء الى ثقل الظلم لما كان الظلم المذكور حقير القدر فيكون ثقله باعتبار الجزاء (قوله وأنث الضمير لتأنيث الخبر) فان قيل تأنيث الخبر بعد تأنيث الاسم فالقول بكون تأنيث الاسم باعتبار تأنيث الخبر دور قلنا ليس دخول التاء على الحسنة والسيئة للتأنيث بل للنقل فليس دخول التاء على الحسنة التى هى الخبر باعتبار تأنيث الاسم حتى يلزم ماذكر (قوله تشبيها بحروف العلة) قال بعضهم شبهها فى امتداد الصوت وقال الرضى النون مشابهة للواو فى الغنة وقال آخرون حذف تخفيفا لكثرة الاستعمال (قوله فضاعف ثوابها) لان جعل الفعل الواحد فعلين كالصلاة الواحدة صلاتين غير معقول فالمراد من المضاعفة التكثير فى الاجر كان يستحق عشرة أجور فيجعل مائة وان كان كل أجر دائما لان الثواب هو المنفعة الحاصلة الدائمة وماقلناه هو معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالعجب ان العلامة التفتازانى فسر الثواب بما ذكر ثم جعل مضاعفته عبارة عن دوامه وعدم تناهيه (قوله زائدا على ماوعد فى مقابلة العمل) فما وعد فى مقابلة العمل لابد أن يحصل بسبب الوعد وهذا الزائد ليس كذلك بل ان شاء أعطى والا لا يعطه كما قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب (قوله لانه تابع للاجر) هو الموعود بالعمل الصالح وهذا الزائد ليس كذلك فتسميته بالاجر تجوز لما ذكر

بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار 43 (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى وما الذى عليهم أو أى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى أمر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الأخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم

44 (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الأجر ولا يزيد فى العقاب أصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى أنه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان يكن مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ماوعد فى مقابلة العمل (أجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه أجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه

45 (فكيف) أى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم (اذا جئنا من كل

(قوله والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر) المراد من الظرف المعمول اذا والمبتدأ والخبر فكيف حال هؤلاء الكفرة والمعنى يشتد حال هؤلاء الكفرة و يهول اذا جئنا (قوله تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم) أقول ههنا شيئان الاول ما فائدة جعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا على الانبياء مع كمالهم الثانى ان الشهادة على صدق الشهداء لا تعلق له للعلم بعقائدهم ولا لاستجماع شرعه مجامع قواعدهم بل مدارها على أن يعلم ان ما يقولون فى شأنه انه صادق والجواب عن الاول ان فائدته اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وعن الثانى أن المزكى للشاهد يعتبر فى تزكيته الخبرة الباطنة وهى أن يعلم باطن أحوال الشاهد حتى يتبين له ان يزكيه وهذا مما مقرر فى الفقهيات ولا يخفى أن المزكى اذا كان عالما بعقائد الشاهد وأعماله كان تزكيته أقوى وأشد اعتبارا والعلم بعقائدهم اشارة الى الامور القلبية والاستجماع المذكور اشارة الى الاعمال يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم عالم بعقائد الانبياء وأعمالهم فلذا صار مزكيا لهم صلوات الله عليهم (قوله وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة) وحينئذ شهادته صلى الله عليه وسلم بعد شهادة الانبياء لتقوية شهادتهم (قوله

وقيل الى المؤمنين) فان قيل الشهيد الذى ذكر فى قوله تعالى من كل أمة بشهيد المؤمنون أو الانبياء قلت بل الانبياء لوجهين أحدهما أنه يدل على أن شهيد كل أمة منهم والمؤمنون ليسوا كذلك والثانى ان على كل أمة شهيدا خاصا وليس المؤمنون كذلك بل شهادتهم على الناس جميعا (قوله أو الكفرة والعصاة) هذا يقتضى أن تكون الكفرة والعصاة مختلفين بالذات فالذين كفروا جمع والذين عصوا جمع آخر فالتقدير الذين كفروا والذين عصوا فلزم حذف الذين وهو غير جائز وقد صرح المصنف بذلك فى تفسير قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به حيث قال الجائى هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق أبو بكر رضى الله عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز (قوله فتسوى بهم الارض الخ) هذه المذكورات ثلاثة أوجه وعلى الاول الباء للملابسة أى تسوى الارض ملتبسة بهم وعلى الآخرين الباء صلة كما يقال سويته به أى جعلتهما مستويين (قوله لا يقدرون على كتمانه) انما قدر ذلك اذ المفهوم من ظاهر العبارة انهم قادرون على الكتمان ولا يكتمون بارادتهم لكنهم لا يقدرون عليه (قوله الواو للحال) أى حال من الذين كفروا أى ودهم لتسوية الارض فى حال عدم الكتمان والكذب (قوله من نحو نوم أو خمر) قال العلامة النيسابورى خالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم والجواب ان لفظ السكر حقيقة فى سكر الخمر والاصل فى الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا لم يستعمل الا مقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت وأيضا أجمع المفسرون على انها فى شرب الخمر انتهى وظاهر هذا الكلام أن الجمهور على أن المراد بالسكر ههنا سكر الخمر لا النوم وكلام المصنف مخالف له فتأمل (قوله وليس المراد نهى السكران عن قربان الصلاة الخ) فان قيل هذا مخالف لما فسر به أولا وهو قوله لا تقوموا اليها

أمة بشهيد) يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ أى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن عامر تسوى بهم على ان أصله تتسوى فادغمت التاء فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) أى لا تقوموا اليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح

وسكرى

وأنتم سكارى قلنا ماذكره أولا المعنى الحقيقى وهذا هو المعنى الكنائى وانما جعل المراد ماذكر لان عدم الافراط فى الشرب مستلزم لعدم قربان الصلاة حال السكر دون العكس اذ لا يلزم من عدم قربان الصلاة حال السكر عدم الافراط فى الشرب (قوله أى جنبا غير عابرى) هذا مطابق لما ذكروه من أنه لا يحمل على غير اذا كانت تابعة لجمع منكور غير محصور فان الجنب فى حكم الجمع المنكور الغير المحصور (قوله وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث) لانه يعلم من التقدير الذى ذكره بقاء الجنابة مع التيمم بل يفهم من الآية أن الجنب يجوز أن يقرب الصلاة حال الجنابة فى السفر ولا يخفى أنه لا يجوز الا فى حال التيمم فلو كان التيمم رافعا للجنابة لم تكن الصلاة فى حال الجنابة (قوله وفى الآية تنبيه الخ) لانه اذا وجب تطهير البدن عن الحدث والخبث فتطهير القلب الذى هو ملاك الامر ومداره أولى (قوله فاحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين) يمكن أن يكون مراده ان قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط مستعمل فى حقيقته التى هى المجىء من الارض المطمئنة ويكون ههنا مقدر هو فاحدث بحدوث الخارج من أحد السبيلين ويمكن أن تجعل الفاء للترتيب الذكرى وهو ذكر المفسر بعد المجمل كما فى قوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فان القول المذكور هو بعينه السؤال الاكبر فتأمل (قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط) لك أن تقول سابق هذا الكلام وهو قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر ولاحقه أيضا وهو فلم تجدوا ماء فتيمموا الآية يدل على ان المناسب أن يقال ههنا أو جئتم من الغائط فلم قيل أو جاء أحد منكم قلت والله أعلم لعل النكتة فيه الاشعار بان على الجائى من الغائط ان يكون مفردا ليس معه غيره وهذه النكتة غير مرعية فى غيره بقى ههنا ان يكون الجواب ان يقال لعل المراد فتيمموا وليتيمم ذلك الأحد فهم مخاطبون فى الصور الثلاث والواحد فى صورة واحدة فحذف لدلالة القرينة وهى فتيمموا عليه أو يقال أحد بمعنى الجماعة كما قالوا فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله بلفظ أحد للنكتة المذكورة والتغيير (قوله فلم تمكنوا من استعماله) المفهوم منه ان المراد من عدم وجدان الماء عدمه حسا أو حكما وانما قال ذلك لان فى صورة المرضى لا يشترط فى جواز التيمم فقد الماء حسا وههنا نظر وهو ان التقييد المذكور فى الشرط وهو خوف الاستعمال أو المنع من الوصول عبارة عن عدم التمكن من استعماله فلزم التكرار اذ يلزم اعتبار عدم التمكن مقدرا تارة وصريحا أخرى وهو قوله فلم تجدوا فان قيل يمكن ان يجعل قوله تعالى فلم تجدوا قيدا لقوله تعالى أو جاء الخ قلنا لا باعث على هذا الجعل وتخصيص القيد بهذين دون غيرهما مع ان قوله اذ الممنوع عنه كالمفقود مناسب للمرضى (قوله والحال المقتضية له فى غالب الأمر) انما قال فى غالب لانه قد يباح التيمم من غير السببين المذكورين كما اذا تيمم المقيم الصحيح لفقد الماء (قوله ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض) فالاول خروج الخارج من أحد السبيلين والثانى اللمس فان كونه سببا للحدث باعتبار

وسكرى على انه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى أو جماعة سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى أصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الا عابرى سبيل) متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من أعم الأحوال أى لا تقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم أو صفة لقوله جنبا أى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء أو الطريق (حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على أن المصلى ينبغى له أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعه عن الوصول اليه (أو على سفر) لا تجدونه فيه (أو جاء أحد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين وأصل الغائط المكان المطمئن من الارض (أو لامستم النساء) أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث أو جنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن

اللذة الحاصلة منه قال الفقهاء اذا لمس الرجل المرأة التي ليست محرما له انتقض وضوء اللامس للنص و وضوء الملموس لاشتراكهما في اللذة (قوله وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر) يرد عليه انه اذا كان المراد ماذكر لزم الاستغناء عن قوله ولا جنبا الا عابري سبيل اذ يفهم الحكم المذكور من قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر اذ معناه وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر ويمكن ان يقال لم يكتف بما ذكر ثانيا لزيادة الاهتمام بحال الجنابة التي هي محتاجة الى كثرة الماء مع ان المؤمنين كانوا كثيري الاسفار والغزوات وعرض لهم عدم الماء في السفر كما هو مذكور في موضعه (قوله وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء) هذا اذا كانت الرؤية قلبية والمعنى الم تعلم منتهيا علمك اليهم (قوله بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم) فالاول بالنظر الى الاختيار والثاني الى الاستبدال فههنا لف ونشر مرتب (قوله بانكاره) متعلق بالاختيار أو الاستبدال (قوله حظا يسيرا) جعل

تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه وقال أصحابنا لابد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وأيديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم (ألم تر الى الذين أوتوا) من رؤية البصر أي ألم تنظر اليهم أو القلب وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى و يحرفون التوراة (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلي أمركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي (من الذين هادوا يحرفون) بيان للذين أوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لأعدائكم أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا و يحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته يحرفون (الكلم عن مواضعه) أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه وقرئ الكلام بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم أو موت أو اسمع غير مجاب الى

التنكير للتحقير ولك ان تقول لو جعل التنكير للتعظيم لكان أدخل في افادة المقصود ههنا الذي هو تقبيح حال اليهود وتقريعهم فان اشتراء الضلالة بالهدى مع كثرة العلم بما في التوراة أقبح من اشترائها مع قلته ويمكن ان يقال لما عملوا بخلاف ما في التوراة لم يكن حظهم من علمه عظيما بل لو قيل حظهم في حكم العدم لم يبعد (قوله لتوكيد الاتصال الاسنادي) فان كفى متصل بالله اتصالا اسناديا لانه فاعل كفى وأيضا هو أي كفى مضاف الى الله بواسطة حرف الجر فيكون بينهما اتصال أي تعلق اضافي وفيه انه لما كانت الباء زائدة لم يكن موجبا للربط والاتصال وقد صرح صاحب المغني بذلك حيث قال الحرف الزائد نحو الباء في كفى بالله شهيدا لم يدل ما للربط بل لتقرير الكلام وتأكيده والاولى ان يقال ان الباء الزائدة لتأكيد الاسناد كما قال غيره (قوله فانه يحتملهم وغيرهم) هذا بيان لكونه بيانا فان قلت ما موضع هذا الجار والمجرور من الاعراب قلت يفهم من قولهم انه صفة بالتأويل كما قالوا في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات يفهم ان المعنى وعد الله الذين آمنوا الذين هم هؤلاء (قوله أي مدعوا عليك بلا سمعت الخ) أي اسمع قولنا لك في حال كونك مدعوا عليك وقال العلامة التفتازاني أي اسمع ندعو عليك بلا سمعت مجابا قيل هذه الدعوة بحيث يصح انك غير مسمع انتهى ولا يخفى ان هذا الكلام جمع بين النقيضين لان اسمع دال على كونه سامعا حال الخطاب فقوله بحيث يصح انك غير مسمع دال على نفيه

(قوله أو اسمع غير مسمع كلاما الخ) أى كلاما فى حكم غير المسموع لان مالا يرضاه السامع لا يتوجه اليه حتى يسمع بكماله فكأنه غير مسموع (قوله فيكون مفعولا به) يعنى على التقادير الثلاثة المذكورة يكون غير مسمع حالا وعلى هذا التقدير مفعول به (قوله اذا سبه) فيكون المراد من المكروه السب (قوله وانما قالوه نفاقا) قد يقال ان المراد انه على التقدير الاخير نفاق لانه على هذا التقدير دعاء خير له صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا لا يناسب تصريحهم بعصينا أجاب عنه صاحب الكشاف بان الكفرة يواجهون النبى صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء أو يقال لم ينطقوا بذلك ولكن لما لم يؤمنوا جعلوا كانهم نطقوا به ويعلم منه ان المصنف ترك شيأ يجب تلوه عليه ولك ان تقول لما لم يصرحوا بالتقدير المذكور الذى هو لفظ مكروه فكان كلامهم بحسب الظاهر يحتمل الوجوه المتعددة التى ذكرت فلم يتحقق نفاقهم لان نفاقهم انما يتحقق اذا صرحوا بما يوجب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم أو كان ظاهرا فيه واما ههنا فليس كذلك بل الظاهر الدعاء

عليه ويمكن ان يقال هذا القول مطلق اتفاق لانه كلام يحتمل دعاء الخير فاظهروا ان قصدهم بهذا القول اظهار دعاء الخير مع ان بواطنهم مخالفة له (قوله تعالى ليا بألسنتهم) مفعول له وكذا قوله طعنا فى الدين أو حال بتأويل المشتق (قوله لدلالة ان عليه) لان ان مع جملتها فاعل ههنا فيدل على تقدير فعل هو ثبت (قوله ويجوز ان يراد بالقلة العدم) فيكون هذا الكلام من قبيل قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وقد مر توضيح مثله (قوله تعالى لكان خيرا لهم الخ) فان قيل كيف كان هذا القول خيرا لهم والحال انه نفاق والقول الاول اظهار الكفر ولا يخفى ان النفاق أشد قلنا المراد ان هذا القول نظرا الى ذاته خير وان كان شرا من القول الاول من جهة دلالته على النفاق (قوله كقوله قليل التشكى للمهم) المهم ما يوجب الهم والحزن وانما كان القلة ههنا بمعنى العدم لان الصبر فى الاحزان يناسبه عدم الشكوى مطلقا لا قلته (قوله أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون) فان قيل فعلى هذا يلزم اتفاق القراء على غير المختار لان فى مثله اختيار الرفع على البدلية كما فى قوله ما فعلوه الا قليل وأيضا اذا كان القليل مؤمنون فكيف يصح لعنهم جميعا بكفرهم قلنا المراد انه استثناء من قوله تعالى لعنهم الله أى لعنهم الله الا قليلا فلا يؤمنون أى لا يؤمن أكثرهم (قوله على طريقة الالتفات) لان الظاهر أن يقال أو نلعنكم كذا فى الكشاف وفيه انهم صرحوا بان المنادى اذا كان موصولا لحق الضمير العائد اليه أن يكون غائبا نحو قوله يا من يعز علينا أن نفارقهم واذا كان كذلك لحق الضمير العائد الى الموصول ههنا أن يكون ضمير الغائب فايراد نلعنهم على مقتضى الظاهر فلا يكون التفاتا لان الالتفات هو التعبير على خلاف مقتضى الظاهر ولذا صرحوا بان لا التفات فى نحو المثال المذكور قلنا صرحوا بان الضمير الواقع بعد تمام المنادى حقه أن يكون بطريق الخطاب وههنا كذلك لان المنادى قد تم عند قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب

ما تدعوا اليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع كلاما غير مسمع اياك لان أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك (ليا بألسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها أو فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه (لكان خيرا لهم وأقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) أى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كقوله * قليل التشكى للمهم يصيبه * أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الاقفاء أو ننكسها الى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة وأصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار أو نردها الى حيث جاءت منه وهى أذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بان نعمى الأبصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نمسخهم مسخا مثل مسخهم أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات

وأما قول الشاعر فتمام المنادى عند قوله أن تفارقهم (قوله وعطفه على الطمس) أى عطف اللعن بالمعنى الاول الذى هو المسخ فى الدنيا على الطمس يوجب أن لا يكون الطمس مسخ الصورة فى الدنيا لان اللعن هو المسخ فى الدنيا أيضا فلزم التكرار ولك أن تقول اللعن المذكور هو مسخ مخصوص هو جعلهم قردة وخنازير والطمس تخليط الوجوه وجعلها على هيئة أدبارها فلا يلزم على التقدير المذكور أن يكون الطمس عين المسخ (قوله ومن حمل الوعيد الخ) أى يرد على من حمل الوعيد فى الآية على المسخ فى الدنيا بان قال المراد من الطمس محو تخطيط الصورة فى الدنيا واللعن هو المسخ المخصوص فى الدنيا حتى يكون الوعيد منحصرا فى تغيير الصورة فى الدنيا يتجه عليه أنه لم يقع المسخ فأجاب بانه بعد مترقب فيقع فيما يستقبل وبان وقوعه مشروط بعدم ايمان جماعة لكن بعضهم قد آمن فلذا لم يقع ولا يخفى أن اطلاق قوله الوعيد يدل ظاهرا على ان هذا القائل حمل الطمس واللعن على المسخ فيدل على انه مترقب وأما اذا كان مراده حمل اللعن على غير تغيير الصورة فى الدنيا فلا يلزم وقوعه اذ الوعيد أحد الشيئين الطمس أو اللعن فلا يكون المسخ فى الدنيا مترقبا لان المترقب هو ما يعتقد أن يقع ولا يقال فيما شك فى وقوعه أنه مترقب (قوله وان ذنبه لا يمحى عنه أثره الخ) يفهم منه ان فعل الله تعالى موقوف على استعداد المحل وفيه شوب من كلام الفلاسفة والاولى الاقتصار على الوجه الاول ثم ان لقائل أن يقول من أين يعلم أنه لا يمحى عنه أثره فان استدل بعدم الغفران كان دورا والجواب أن يقال ان قوله لان ذنبه لا يمحى عنه أثره دليل على عدم الغفران وليس موجبا للعلم بعدم الغفران

بل عدم الغفران علم من النص فالعلم بعدم الغفران دليل على العلم بعدم انمحاء أثره وعدم انمحاء الاثر علة فى نفس الامر لعدم الغفران فلا دور (قوله اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه) أى اتقييد المعتزلة من يشاء بمن تاب للتحفظ على عموم آيات الوعيد فان آيات الوعيد عامة فى الظاهر غير مقيدة بالمشيئة كقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ليس الجزاء مقيدا بالمشيئة حتى لو لم يشأ الله لم يكن مخلدا فيها فيجب أن يحافظ على هذا العموم ويجعل قوله تعالى يغفر ما دون ذلك لمن يشاء بمعنى لمن تاب حتى تكون آيات الوعيد باقية على عمومها من غير تقييد بالمشيئة فأجاب المصنف بانه ليس حفظ عموم آيات الوعيد أولى من حفظ عموم هذه الآية وترك التقييد بالتائب (قوله نقض لمذهبهم) يعنى لزم من كلامهم ان غفران غير الشرك من التائب متعلق بالمشيئة ولا يخفى أن الامر الكائن بالمشيئة أمر اختيارى لا واجب فغفران غير الشرك من التائب ليس واجبا لكن عندهم أنه واجب واعلم أنه يلزم على المعتزلة شئ آخر وهو ان الشرك وغيره من الكبائر متساويان عندهم فى عدم الغفران من غير التائب وفى الغفران من التائب فلا وجه لتخصيص ذكر عدم غفران شرك من لم يتب وغفران كبائر من تاب بل الوجه على مذهبهم أن يقال لا يغفر كبائر من لم يتب ويغفر لمن تاب (قوله وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب) أقول فيه أنه لا يلزم أبدية عذاب المشرك اذ يمكن أن يكون عظمه بزيادة عذابه والذى يخطر فى فهمى القاصر ان من أثبت لله تعالى شريكا فقد اعتقد نقصا قائما أو أثبت شيئا منافرا له تعالى على الدوام فيستحق فى مقابلته أن يلحق به شئ منافر على الدوام حتى يكون جزاء السيئة بمثلها والشئ المنافر الدائم هو العذاب الخالد فان قلت اثبات النقص الدائم ظاهر اذا اعتقد المشرك وجود الهين خالقين للعالم اما اذا اعتقد الشرك فى المعبودية كعابد الوثن ففى النقص الدائم قلت صلاحيته تعالى للشرك فى المعبودية نقص دائم أثبته المشرك لان هذا المشرك اعتقد أن ذات الله تعالى لا تأبى الشركة

أو الوجوه ان أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة (وكان أمر الله) بايقاع شئ أو وعيده أو ما حكم به وقضاه (مفعولا) نافذا أو كائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به ان لم تؤمنوا [51] (ان الله لا يغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا يمحى عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر ما دون ذلك) أى ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق [52] (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) يعنى أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم

الى

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها (بل الله يزكى من يشاء) تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا أو قولا (ولا يظلمون) بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق (فتيلا) أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة [53] (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم أبناء الله وأزكياء عنده (وكفى به) بزعمهم هذا أو بالافتراء (اثما مبينا) لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم [54] (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام أرضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل فى حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذى لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم وفيهم (هؤلاء) اشارة اليهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أقوم دينا وأرشد طريقا [55] (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها [56] (أم لهم نصيب من الملك) أم منقطعة ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون أحدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم ان بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى انكار انهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيأ واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا الناس على النصب [57] (أم يحسدون الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم [58] (فمنهم) من اليهود (من

فى المعبودية اذ لو كان تقتضى ذاته امتناعها لم تصح الشركة فى زمان أصلا واذا لم يقتض امتناعها كان صالحا لها دائما أى صالحا لان يجعل له شريك فى أى زمان من الازمنة (قوله فى زعمهم انهم أبناء الله وأزكياء عنده) فان قيل الافتراء هو أن يقول عن الشخص مالم يقله وهم لم ينقلوا ماذكروا عن الله تعالى بل يقولون من عند أنفسهم قلنا كونهم أبناء الله وأزكياء عنده لو حصل فانما يكون بتعليم من الله فدعواهم ماذكر مستلزم لان الله أعلمهم بذلك (قوله ويجوز أن يكون المعنى الخ) أى يجوز أن يكون المعنى انكار مجموع الامرين المذكورين وانكار المجموع المذكور بسبب انكار الجزء الاول ودليله عدم اعطائهم الناس نقيرا فان هذا الشح يضاد الملك وهذا مما زاد على الكشاف ولا يظهر وجهه لان الكناية مصححة لارادة المعنى الحقيقى وههنا ليس كذلك لان الاستفهام لا يصح ههنا حمله على المعنى الحقيقى كما لا يخفى والاولى أن يقال ان أم اذا كان بمعنى بل مجردا من غير اعتبار الهمزة كما صرح به صاحب المغنى صح (قوله واذن اذا وقع بعد الفاء أو الواو لا لتشريك مفرد) ذكروا فى كتبهم ان اذن اذا وقعت بعد الواو أو الفاء يجوز الالغاء والاعمال ولم يذكروا القيد الذى ذكره المصنف وهو أن يكون بغير التشريك فى المفرد والظاهر ان مراده أن لا يذكر بعد الواو والفاء مفرد مثل قوله فاما اذن آتيك اذ لا يجوز فى هذه الصورة الاعمال لوجود اعتماد ما بعدها على ما قبلها (قوله وكأن بينهما تلازما وتجاذبا) انما قال كان اذ قد يوجد الحسد بدون البخل كما اذا تمنى مجىء زوال صفة كمال للغير كالعلم وقد يوجد البخل بغير الحسد كما اذا منع بخيل بماله من غير تمنى زوال ما للغير (قوله ارادة المعنى الحقيقى) فيصح أن يكون كناية وأبناء عمه هم أنبياء بنى اسرائيل الذى هو يعقوب بن اسحق أخى اسمعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فمن اليهود) انما قال ذلك لأن الظاهر ان الضمير راجع الى البخلاء الحاسدين وهو غير مناسب فقال ان الضمير راجع الى مطلق اليهود

آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة يعذبون بها أى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) كالبيان والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بان يزال عنه أثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق لهم مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لاجوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى على كرم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمره الله أن يرده اليه فأمر عليا رضى الله عنه أن يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى أولاده أبدا (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم وأحكامكم وما تفعلون فى الامانات (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) يريد بهم أمراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده

ويندرج

(قوله بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى الخ) أى الظاهر ان المراد بالتبديل اما اعادة ذلك الجلد بعينه على صفة أخرى بعد زواله وفنائه أو بزوال أثر الاحراق من نضجه وقلة احساسه أو عدمه من غير فنائه بل مع بقائه وانما رجح كون الجلد بعينه الجلد الاول لان المناسب أن يكون الجلد المحترق النضيج هو بعينه الجلد الذى كان عند صدور المعصية فى الدنيا ولعل هذا هو الحكمة فى تبديل الجلد مع قدرته على عذاب الكافر مع غير التبديل ومن عدم النضيج (قوله والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية) جواب سؤال وهو انه لزم من هذا القول التعذيب من غير معصية فان هذا الجلد الثانى الذى هو بدل الجلد الأول لم يقارف معصية قط مع انه يعذب بالاحراق فأجاب بان المعذب هو النفس العاصية التى اقترفت المعاصى فى الدنيا لأن العذاب ادراك الالم والمدرك هو النفس لا الجلد فلا محذور أى لا يلزم المحذور الذى ذكره (قوله قدم ذكر الكفار ووعيدهم الخ) أى قيل أولا ان الذين كفروا الآية لان الآيات السابقة فى بيان حال الكفار (قوله فينانا لاجوب فيه) قال العلامة التفتازانى الفينان المتصل المنبسط فقيل من الفنن كأنه كثير الافنان وقيل فعلان من الفين وليس بواضح اشتقاقا وانصرافا انتهى فقوله فقيل اشارة الى أن ماقاله صاحب الصحاح من ان فينان من الفين بالفاء والياء التى هى آخر الحروف ضعيف من وجهين أحدهما الاشتقاق اذ لا يظهر وجه اشتقاق الفينان من الفين اذ لا مناسبة بين معنى الفينان والفين لان الفين هو الساعة والثانى انصراف فينان ولو كان فعلان لكان غير منصرف وأما الجوب فهو بضم الجيم وفتح الواو جمع جوبة وهى الفرجة (قوله خطاب عام للمكلفين وان نزلت الخ) هذه العبارة أحسن من عبارة الكشاف حيث قال الخطاب عام لكل واحد وقيل نزلت فى عثمان بن طلحة لأن جعلها نازلة فى عثمان بن طلحة لا يناسب ان يجعل مقابلا لعموم الخطاب اذ يصح ان تنزل الآية فى شخص معين لكن يكون حكمه عاما (قوله أو يرضى بحكمكم) هذا فى صورة التحكيم وهو ان يجعل المتخاصمان ثالثا حاكما للحكم بينهما (قوله أونعم الشئ الذى يعظكم به) فيه نظر لأن ما فى نعم على هذا التقدير اما أن يكون عبارة عن الشئ الموصوف بالذى أو عبارة عن الذى وعلى الاول لزم حذف الموصول الذى هو الذى وهو غير جائز كما مر قريبا واما أن يكون عبارة عن الذى وهو الصفة فلزم حذف الموصوف

الذى هو الفاعل والجواب ان غرضه مما ذكر توضيح المعنى والاختيار ان التقدير نعم الذى أو يقال حذف الشئ وجعل صفته منابه فيصير فاعلا (قوله بعدما أمرهم بالعدل) أى بعد أمرهم بالعدل فى قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل (قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فان المستنبطين الذين علموا الحكم بالاستنباط هم العلماء المجتهدون (قوله الا أن يقال الخطاب لاولى الامر الخ) يمكن أن يكون المراد باولى الامر العلماء وحينئذ يكون الخطاب فى فان تنازعتم للعلماء يعنى ان تنازعتم أيها العلماء المجتهدون فارجعوا فيه الى الله ورسوله فيكون التنازع بينهم ان حكم الله تعالى فى المسئلة ماذا أقول فان قيل فان تنازعتم قبل الاجتهاد لا وجه له اذ على كل منهم ان يجتهد و يعمل بمقتضى اجتهاده فيكون بعد الاجتهاد ولا يخفى ان الاجتهاد لا يكون الا بعد الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة و بذل الوسع فى تحقيق مقاصدها وعلى هذا فالرجوع الى كتاب الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم حصل قبل الاجتهاد فما معنى الرد الى الله و رسوله بعد التنازع المذكور قلنا يمكن أن يقال صورة التنازع أن يقول المجتهد بعد الاجتهاد ان الحكم فى المسئلة ما أدى اليه اجتهادى وهو وجوب حكم معين مثلا والآخرون لم يسلموا حكمه لانهم لم يجتهدوا بعد فحينئذ يجب عليهم الاجتهاد ان أرادوا تحقيق المسئلة (قوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة الخ) يرد عليه ان منها قسما آخر وهو المثبت بالاجماع ولذا قال فى التفسير الكبير هذه الآية مشتملة على أصول الفقه لأن أصول الشريعة الكتاب والسنة وأشير اليهما بقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول والاجماع والقياس فاشير الى الاجماع بقوله وأولى الامر فاما القياس فذلك قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ الخ والجواب انه لا بد للاجماع من مستند هو النص أو القياس فهو راجع الى واحد منهما اذ اجتماعهم على شئ من غير مستند غير معقول كما صرح به (قوله و يؤثر لأجله) أى يختار على غيره لأجل الحكم بالباطل (قوله سمى بذلك لفرط طغيانه) ذكر وجوها ثلاثة فى تسمية كعب بالطاغوت اذا كان المراد بالطاغوت ههنا كعبا وتوضيحه ان تسميته به اما لشدة طغيانه فيكون من باب اطلاق العام وارادة الخاص واما للتشبيه بالشيطان الذى اسمه الطاغوت وعلى هذا فيكون الطاغوت استعارة ووجه الشبه فرط الطغيان واما لعلاقته بالشيطان من حيث ان التحاكم اليه متضمن للتحاكم الى الشيطان فعلى هذا يكون الطاغوت مجازا مرسلا وكذا على الاول ثم ان الاولى أن يقال التحاكم اليه التحاكم الى الشيطان حكما من حيث ان حكمه حكمه (قوله كما قال وقد أمروا ان يكفروا به) الظاهر ان قوله تعالى وقد أمروا والآية دال على ان المراد من الطاغوت كعب اذ لو كان المراد منه الشيطان لكان الظاهر الاضمار فى قوله تعالى و يريد من غير تصريح بذكر الشيطان

و يندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) أنتم وأولو الامر منكم (فى شئ) من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا أن يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله) الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى أوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس و يؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) أى الرد (خير) لكم (وأحسن تأويلا) عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم بلا رد (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل و يؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أو لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ أن يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى أولياؤهم

الطاغوت يخرجونهم [64] (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر أو اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه و بين السد أنه غير محسوس والسد محسوس و يصدون فى موضع الحال [65] (فكيف) يكون حالهم (اذا أصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله تعالى (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض (يحلفون بالله) حال (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا و يوفق بينه و بين خصمه [66] (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فأعرض عنهم) أى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم أو عن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم فى أنفسهم) أى فى معنى أنفسهم أو خاليا بهم فان النصح فى السر أنجع (قولا بليغا) يبلغ منهم و يؤثر فيهم أمره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به [67] (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته وأمره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالنفاق أو التحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله) بالتوبة

(قوله حذف لام الفعل اعتباطا) بلا علة أى تخفيفا انما قال حذف اعتباطا اذ لا يصح أن تقلب الياء لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذف ثم تقلب فتحة اللام الى الضمة لأن الفتحة دليل على ان ههنا كان ألف فلا تغير بخلاف ما اذا حذفت الياء اعتباطا لأن الفتحة على هذا التقدير ليس دليلا على شئ فلذا حذفت وغيرت (قوله هو مصدر أو اسم للمصدر) ظاهر عبارة الصحاح انه مصدر ولم يتعرض الى الاحتمال الآخر قال صد عنه يصد صدودا (قوله و يصدون فى موضع الحال) هذا اذا كان رأيت بمعنى أبصرت وهذا هو الظاهر واما اذا كان بمعنى علمت يكون مفعولا ثانيا (قوله أو خاليا بهم) فالمعنى قل لهم حال كونك فى مجرد أنفسهم لا يختلط معهم غيرهم (قوله لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف) فقوله فى أنفسهم لا يتعلق ببليغا والا لزم تقدم معمول الصفة التى هى بليغا على الموصوف هذا ما ذكر لكن الاصح عند جميع الكوفيين و بعض البصريين انه يجوز تقديم معمول الصفة على الموصوف اذا كان المعمول ظرفا (قوله وكانه احتج بذلك الخ) فان قيل اللازم من عدم طاعة الرسول عدم طاعة الله وهو يستلزم الكفر ولكن ليس كل كافر مستوجب القتل فان الذمى كافر وليس بمستوجب له قلنا المراد انه يستوجبه ان لم يحصل له الامان وهذا التخصيص علم من نصوص أخر (قوله كأن من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته) فان قيل يجوز ان يسلم أحد رسالة الرسول ولكن لم يطعه ولم يرض بحكمه قلنا الايمان هو التسليم والرضا لا مجرد تصديق الرسالة والا لزم ان يكون اليهود العارفون بكونه رسول الله من المؤمنين فمن لم يرض بحكمه كان كارها لرسالته وكان كافرا وقد أوضحنا ذلك فيما علقناه على تفسير أوائل البقرة لكن بقى ههنا شئ وهو ان الآية الآتية وهى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية نزلت فى الزبير وحاطب بن أبى بلتعة حين تخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم للزبير فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فهذا يدل على عدم رضا حاطب بحكمه صلى الله عليه وسلم مع انه من الصحابة فكيف لم يحكم بكفره بل حكموا بان كلامه اساءة أدب ويمكن ان يقال المراد من قوله ولم يرض بحكمه الرضا القلبى ولم يلزم من قول حاطب عدم الرضا القلبى اذ قد يعلم شخص كون حكم حقا ويرضى به باطنا لكن حمله الغضب والجدل على التكلم بغير الحق (قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ) لك ان تقول بلغ ان يستغفروا الله فى قبول توبتهم فما الحاجة الى المجىء الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى استغفاره لهم والجواب ان يقال والله أعلم ان المجىء اليه واستغفاره لهم يدل على متابعته واطاعته أو يقال انهما يوجبان تزكيته وقبول التوبة والرحمة العظيمة (قوله واذ يتعلق به) فالتقدير ولو أنهم جاؤك اذ ظلموا أنفسهم

(قوله وانما عدل عن الخطاب) أى الظاهر ان يقال فاستغفرت لهم كما خوطب بقوله جاؤك (قوله أو حالا من الضمير فيه) ههنا احتمال آخر وهو ان يكون رحيما حال من الله فيكونا حالين متوافقين كما انهما على الاول حالان متداخلتان لكنه رجح التداخل ليستفاد من العبارة حصولهما معا (قوله لانها تزاد أيضا فى الاثبات) يعنى انه قد تزاد لا فى الاثبات فى القسم نحو لا أقسم فتكون ههنا لتأكيد القسم لا غير اذ كونها لتأكيد القسم أمر محقق موجب حملها على تأكيده لها فى صورة النفى لان كونها له أى لتأكيد القسم أمر محقق وكونها لنفى القسم أمر محتمل اذ يحتمل فى هذه الصورة ان تكون لتأكيد القسم وان تكون لنفى القسم فوجب حمل المحتمل على المحقق الذى هو تأكيد القسم اذ الاصل عدم ثبوت المحتمل فلا يثبت من غير سبب (قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت الآية) دال على ان الايمان لا يحصل بدون الرضا القلبى فان قلت ما ذكر يدل على الرضا بما كلف به بل هو أصل التكاليف لكن الرضا القلبى ليس أمرا اختياريا بل أمر طبيعى فلا يتوجه توقف الايمان عليه اذ قد لا يقدر الشخص على تحصيل الرضا القلبى قلنا المراد من الرضا ما يحصل باسبابه الحاصلة بالاختيار وان كانت مكروهة بالطبع كمن شرب دواء كريها يعلم ان شفاءه فيه فهو راض بارادته ان يشرب به وان كان طبيعته كارهة (قوله وان مصدرية أو مفسرة) قدم البحث فى كون مثل ان هذه مفسرة لانه لا يمكن ان يجعل مكانه أى وهو الجواب أيضا (قوله لان كتبنا فى معنى أمرنا) لو كان كذلك لكان التركيب هكذا ولو أنا أمرنا عليهم لكن أمر لا يتعدى بعلى فتأمل ولعل اقتصار صاحب الكشاف على كونها مصدرية لاجل ما ذكرنا والاولى ان يقال ان كتبنا بمعنى أوحينا الذى فى حكم القول (قوله انقيادا بظاهرهم و باطنهم) هذا يناسب ان يكون المراد بالايمان الايمان الكامل لان أصل الايمان المقابل للكفر لا يستلزم الانقياد الظاهرى بل هو أمر باطنى قلبى (قوله خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل) أى أو اخرجوا من دياركم خروجا مثل خروجهم أى مثل خروج بنى اسرائيل (قوله اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل) لك ان تقول لم قال فى قراءة أبى عمرو و يعقوب ان ضم الواو للاتباع وقال ههنا ضم الواو باجرائها مجرى الهمزة ولم يقل للاتباع كما قال فى الاول و يمكن ان يقال الاتباع معلوم بما سبق فأراد ههنا ايراد علة أخرى للضم (قوله لما بين ان ايمانهم لم يتم الخ) لم يتعرض لمرجع الضمائر المذكورة فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخر الآيات و يمكن ان يقال انها راجعة الى مجموع من فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وحينئذ يظهر معانى الآيات فكان معنى ما فعلوه الا القليل منهم ما فعلوه الا المؤمنون حقا لا المؤمنون مطلقا لكن يلزم منه ان يكون المؤمنون حقا قليلا بالنسبة الى المنافقين والمفهوم من الكشاف ان ضمير عليهم راجع الى المؤمنين الذين قالوا انه لو أمرنى محمد ان أقتل نفسى لقتلتها والقائل ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر ولذا قال العلامة التفتازانى ضمير عليهم ليس لهؤلاء القائلين خاصة بل للمؤمنين جميعا وفيه توبيخ عظيم حيث جعلهم أقل انقيادا من بنى اسرائيل

بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه و يشفع له ومن منصبه أن يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا و رحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه (فلا وربك) أى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله (لا يؤمنون) لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فان الشاك فى ضيق من أمره (و يسلموا تسليما) و ينقادوا لك انقيادا بظاهرهم و باطنهم (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) تعرضوا بها للقتل فى الجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية أو مفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا (أو اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو و يعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (ما فعلوه الا قليل منهم) الا أناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لاحد مصدرى الفعلين

(قوله لانه أشد لتحصيل العلم ونفى الشك) يفهم منه انه لولم يفعلوا ما يوعظون به يحصل العلم ونفى الشك لكن حصولهما عند فعله أشد وهذا لان الاعتقاد يقوى بسبب الاعمال ولذا صرح المحققون من العلماء الكبار منهم الامام حجة الاسلام رحمه الله بان الغرض من الأمر بالعبادات البدنية تقوية صفات القلب وتأكيدها (قوله فى شراج من الحرة) الشراج بكسر الشين و بالجيم جمع شرج بسكون الراء وهو مسيل الماء والحرة أرض ذات حجارة سود والجدر بسكون الدال المهملة الجدار الصغيرة والمراد ما يحيط بالزرعة وقوله لان كان ابن عمتك أى هذا الحكم والقضاء لانه كان ابن عمتك فان أم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم أمر الزبير أولا بالمسامحة فلما أغضبه خصم الزبير استوفى للزبير حقه واعلم ان ما قاله المصنف من ان القصة جرت بين الزبير وحاطب هو الذى فى الكشاف لكن قال العلامة التفتازانى ان فى الصحيحين ان القصة جرت بين الزبير و بعض الانصار وحاطب لم يكن من الانصار (قوله لان اذا جواب وجزاء) اذا كان كذلك يجب ان لا يتقدم على الشرط الذى هو لو ثبتوا لأن لكلمة الشرط التصدير ولذا قال فى تفسير قوله تعالى فاذن لا يؤتون لو كان (٩٨) لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون ثم انه يفهم من اذن معنى الشرط

وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على الا فعلا قليلا (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتا) فى دينهم لانه أشد لتحصيل العلم ونفى الشك أو تثبيتا لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن أبى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم أرسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه جناب القدس و يفتح عليهم أبواب الغيب قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين أو حال منه أومن ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هى عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا

اعمارهم

لأن اذن فى جواب قول القائل ماذا يكون لهم بعد التثبيت فلا حاجة الى تقدير لو ثبتوا بعد اذن كما قاله العلامة التفتازانى واعلم ان الرضى قال الذى يلوح لى فى اذن و يغلب فى ظنى ان أصله اذ حذفت الجملة المضافة اليها وعوض منها التنوين ولم يكن قبل اذ ظرف فى صورة المضاف اليه فكسره نادر والوجه فتحه ليكون فى صورة ظرف منصوب لأن معناه الظرف انتهى فيكون اذن ههنا ظرفا وكان الأصل اذ ثبتوا حذفت الجملة وعوض منها التنوين واللام جواب قسم مقدر والتقدير اذن والله لآتيناهم (قوله مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا الخ) وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون (قوله بيان للذين حال منه أومن ضميره) و يكون المعنى النبيين والصديقين ثم ان المفهوم من كلامه انه مع كونه بيانا للذين يجوز أن يكون حالا من ضميره باعتبار ان ضميره عبارة عنه فيلزم منه أيضا بيان الذين فان قلت الحال لا يكون الا عن فاعل أو مفعول به والذين فى هذا التركيب مضاف اليه ليس بفاعل ولا مفعول قلنا جعله حالا بتأويل وهو ان يجعل مع بمعنى المقارن (قوله وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم) أى عن المجموع بان تأخر عن كل الاصناف الاربعة وان وجب تأخر غير الانبياء عنهم ثم ان المراد من المعية المذكورة رؤية المطيعين الانبياء والصديقين وغيرهما فى بعض الاوقات أو فى كلها وان كان مع البعد فى الدرجة كما قال العلامة التفتازانى ليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين فى الآية ان كلهم فى درجة واحدة فان ذلك يقتضى التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال لكن المراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لأن الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا (قوله المتجاوزون حد الكمال) فيه ان أهل التكميل لا يتجاوزون حد الكمال والاولى أن يقال البالغون حد الكمال والتكميل ثم ان قوله وهم

الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل الى آخره شامل للصديقين لكن المناسب ذكر صفة تميز الانبياء عن غيرهم فالوجه أن يقال المراد به الفائزون بالعلم والعمل لا بارشاد واحد من أبناء النوع بخلاف الصدقين وغيرهم فان فوزهم بما ذكر بسبب هداية الأنبياء ولذا قال صاحب الكشاف هم أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبى بكر رضى الله عنه وصدقوا فى أفعالهم وأقوالهم قال العلامة النيسابورى الصديق مبالغة فى الصادق وهو من غلب على أقواله الصدق قال وذكر أكثر المفسرين ان الصديق من صدق بكل الدين لا يخالجه شك كقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون لكن لم يذكر المصنف فى تفسيره الصديق ما يناسب المعنى اللغوى ووجه تسميته به (قوله اما أن يكون عرفانهم بالبراهين الخ) لا يخفى أن الادراك الحاصل بالامارة والاقناع هو الظن ولا يسمى عرفانا الا أن يقال العرفان لم يحصل من امارة واحدة لكنه قد يحصل من الامارات ولذا قال المصنف واما أن يكون بامارات واقناعات بلفظ الجمع أو يراد بالعرفان الاعتقاد أعم من اليقين والظن الصادق ثم ان عبارته لم تشمل الصديق الذى كان مدار أمره على مجرد التصفية من غير النظر والاستدلال (قوله فيه معنى التعجب) أى كانه قيل وما أحسن أولئك رفيقا

أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والأولون اما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أولا فيكونون كمن يرى الشئ بعيدا وهم الصديقون والآخرون اما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى أرضه واما أن يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن أولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لانه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابى من وجع غير انى اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (أو انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات

وان لم يكن المراد معنى التعجب حقيقة بل المراد المبالغة فى المدح (قوله لانه يقال للواحد والجمع كالصديق) هكذا فى الكشاف وقال العلامة التفتازانى يعنى انه ليس وصفا محضا يجب جمعه بجمع الموصوف بل من الاوصاف الجارية مجرى الاسماء المستوى فيها الواحد والجمع فيجوز أن يكون فى المعنى جمعا حالا من أولئك أو تمييزا منه مطابقا له ويجوز أن يكون مفردا قصد به بيان الجنس من غير النظر الى تعداد الأنواع فيكون تمييزا من أولئك باعتبار الجنس ولا تجب المطابقة لكونه ملحقا بالاسماء (قوله أو الفضل خبره ومن الله حال) فيه وجهان آخران أحدهما أن يكون من الله خبر بعد خبر هو الفضل والثانى أن يكون من الله صفة الفضل بتقدير المتعلق معرفا أى الفضل الكائن من الله (قوله واستحقاق أهله) فيه ان مذهب أهل الحق ان العبد ليس بمستحق للثواب بل الثواب مجرد الفضل الا أن يقال الاستحقاق بحسب الوعد (قوله فالحذر والحذر كالاثر والاثر) يعنى الحذر بكسر الحاء وبسكون المعجمة هو بمعنى الحذر بفتح المهملة والمعجمة (قوله وقيل ما يحذر به) فان كان ذلك معناه الحقيقى اللغوى فيكون حقيقة والا فيكون مجازا مرسلا باستعمال الشئ وارادة آلته به (قوله ويجمع على ثبين جبرا الخ) فان أصل ثبة ثبى فحذف منه الياء ثم جمع على ثبين بزيادة الياء والنون جبرا للام الفعل المحذوفة فهما ليسا لمحض الجمعية (قوله لكن يقتضى اطلاق لفظها الخ) فيه ان ظاهر لفظ الاية يقتضى الاختصاص بالحرب لقوله تعالى خذوا حذركم فان الحذر على ما فسره مختص به فليس فى لفظها اطلاق بل تخصيص بالحرب والاولى أن يقال لما ثبتت المبادرة الى الحرب فهمت المبادرة الى الخيرات كلها لان المبادرة الى الحرب بسبب انه خير ومشتمل على المنفعة الدينية وهو أمر مشترك بين جميع الخيرات

كلها كيفما أمكن قبل الفوت 74 (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطؤن منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبى ناسا يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن (فان أصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) أى المبطئ (قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبنى ما أصابهم 75 (ولئن أصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) أكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من (كأن لم يكن بينكم و بينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه وانما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال من الضمير فى ليقولن أو داخل فى المقول أى يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف أى ياقوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا أفوز فى ذلك الوقت أو العطف على كنت 76 (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها و يختارونها على الآخرة وهم المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعده الاجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغى أن يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين 77 (وما لكم) مبتدأ وخبر (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله تعالى أى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف أى وفى خلاص المستضعفين و يجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدى الكفار

(قوله من بطأ) اى منقولا من بطؤ بضم الطاء (قوله تنبيها على فرط تحسرهم) فيه انه دال على صدور القول منهم البتة فان لام التأكيد تفيد تأكيد ما دخلت عليه وأما على فرط تحسرهم فلا يظهر و يمكن أن يقال ان المراد انهم يقولون ذلك البتة فى كل وقت من أوقات اصابة الفضل من الله تعالى وهو يدل على ذلك (قوله فان هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه) فان قلت فعلى هذا لا يناسب لفظ كأن بل المناسب أن يقال ليقولون من لم يكن الخ قلنا المراد من قوله تعالى كان لم يكن انه كأن لم تكن المودة مطلقا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فان المنافقين يوادون المؤمنين فى الظاهر فنبه القرآن على ان كلامهم كلام من لا مودة ظاهرة و باطنة بينكم و بينه (قوله أو حال من الضمير فى ليقولن) عطف على قوله اعتراض أى قوله تعالى كان لم يكن اعتراض أو حال من ضمير ليقولن أى مظنون فى شأنهم عدم المودة (قوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى) أى الجملة الشرطية المتقدمة وهى قوله تعالى فان أصابتكم مصيبة الآية فكانه قيل اذا لم أكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم و بينه مودة والمعنى ظاهر لأن القول المذكور وهو فان أصابتكم الآية قول نشأ من عدم المودة (قوله وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع) أى ذكرها هنا لمجرد التنبيه وهذا موافق لما فى الصحاح وجوزا بو على ادخال حرف النداء على الفعل والحرف من غير اضمار المنادى للتنبيه لا للنداء على سبيل الاتساع فان حرف النداء يتضمن التنبيه فجرد عن معنى النداء وأطلق (قوله تنبيها أعظمها على ان المجاهد الخ) فانه تعالى حصر حاله فى القتل والغلبة (قوله وأن لا يكون قصده بالذات الى القتل الخ) هذا لا يفهم مما ذكر وانما المفهوم منه أن المقصود القتل والغلبة والاولى أن يقال انه يفهم من قوله تعالى فى سبيل الله فان المقاتلة فى سبيل الله هى أن يكون لاعلاء الدين كما نص عليه فى صحيح البخارى من رواية قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله العليا فهو فى سبيل الله (قوله وتخليص ضعفة المسلمين الخ)

فيه ان أعظم أبواب الخير اعلاء الدين والجواب بان التخليص المذكور من اعلاء الدين والاولى أن يقال من أعظمها وأخصها (قوله فاستجاب الله دعاءهم الخ) فيه ان استجابة دعائهم حصول الامرين جميعا وهما الخروج وجعل الناصر والولى لكل منهم لكن ماوقع ليس كذلك بل أحدهما للبعض والآخر للآخر والجواب من وجوه الاول أنه يمكن أن تكون الواو فى واجعل بمعنى أو أثبته بعضهم منهم الزمخشرى والمقصود من الدعاء طلب أحد الامرين لكل منهم وقد حصل الثانى أن يكون المراد من الاخراج من القرية التخلص من أيدى أهلها وقد حصل الامران لكل منهم والله تعالى خلصهم منهم كما جعل لكل منهم وليا ونصيرا الثالث أن يكون المراد من استجابة دعائهم استجابة جعل الولى والنصير لهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة فصار النبى صلى الله عليه وسلم وليا وناصرا لهم وبقى بعضهم فى مكة حتى جاء نصر الله والفتح فسار النبى صلى الله عليه وسلم واستعمل عليهم عتابا

أعظمها وأخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركو فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر و يؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) فيما يصلون به الى الله سبحانه وتعالى (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمادهم على أضعف شئ وأوهنه (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن القتال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما أمرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه (أو أشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان أفعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أى وكخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم الا أن نجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى أو خشية أشد خشية من

(قوله حتى يشاركوا) أى صار دعاؤهم مستجابا فى الصورة المذكورة بسبب دعاء الولدان حتى يكون تنبيها على أنه يجب مشاركة الصبيان فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية فى جميع الصور (قوله تعالى من لدنك وليا) أى وليا كائنا من لدنك أو من محض رحمتك وعنايتك (قوله عتاب بن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين (قوله لا يؤبه به) بصيغة المجهول أى لا يبالى بشأنه ولا يعتمد عليه (قوله من اضافة المصدر الى المفعول به) فالمعنى يخشون الناس كخشيتهم الله (قوله واشتغلوا بما أمرتم) أى ليس المقصود أن تكليفهم منحصر فى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بل كلفوا بغيرهما وتخصيصهما من بين سائر التكاليف لزيادة الاهتمام واعلم أن المصنف ترك شيأ ذكره صاحب الكشاف ينبغى أن يذكر وهو أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال كف فريق منهم لا شكا فى الدين لكن نفروا عن الاخطار بالارواح وانما قلنا انه ينبغى أن يذكر لانه أشد فى التوبيخ والتقريع (قوله وقع موقع المصدر) والمعنى تخشون الناس خشية مثل خشية الله (قوله ان جعلته حالا) فيكون المعنى يخشون الناس حال كونهم أشد خشية من أهل خشية الله (قوله لان أفعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه) فان معنى أشد خشية شخص يكون خشيته أقوى وظاهر أن الشخص المذكور موصوف بالخشية وليس من جنسها (قوله أو كخشية الله) الى قوله خشية منه على الفرض معناه أو كخشية من كانت خشيتهم منه أشد من خشية الله وانما قال على سبيل الفرض لانهم لم يخشوا من الناس خشية كخشية أشد خشية منه أى من الله تعالى اذ ليس أحد يكون خشيتهم منه أشد من خشيتهم من الله (قوله اللهم الى آخره)

يعنى يمكن أن يكون من جذعه بالاعتبار المذكور بان يجعل الخشية متصفة بالخشية (قوله قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله الخ) الغرض ان الفاء مقدر ههنا كما فى الشعر فان المبتدأ فيه مقدر وماذكره المصنف مخالف لما قاله الرضى من أن حذف الفاء مختص بالضرورة (قوله أوعلى انه كلام مبتدأ الخ) أى رفع يدرككم على انه كلام مبتدأ لاجواب للشرطية وعلى هذا فأينما متصل بما لا يظلمون أينما تكونوا ثم استؤنف فقيل يدرككم الموت (قوله وقرئ مشيدة) بصيغة المفعول (قوله لعلموا أن الباسط والقابض هو الله) توضيحه انهم لو تفكروا فى حدوث حادث علموا انتهاءه الى البارى لاستحالة الدور والتسلسل فعلموا أن لكل حادث فاعلا هو الله تعالى ولا يخفى أن القبض والبسط أمران حادثان فيكونان أيضا من الله تعالى وههنا كلام فتأمل (قوله لانها السبب فيها) أى بسبب فعل قبيح صدر منها كما لا يخفى ولك أن تقول ان أراد بالسبب السبب الحقيقى الذى له دخل فى وجود الشئ وهو الموقوف عليه فليس كذلك اذ ليس لفعل من أفعال الشخص دخل فى وجود ما عرض له بالمعنى المذكور سواء كان المسبب حسنة أو سيئة بل الفاعل المستقل هو الله تعالى كما هو مذهب أهل الحق وان أراد بالسبب ما يوجد الشئ عنده بارادته تعالى فالحسنة أيضا كذلك اذ توجد الحسنة عند صدور فعل حسن من العبد والجواب أن المراد ما صدر من النفس من القبيح سبب للسيئة والبلية بمعنى انها لولم توجد لم تحصل السيئة فان عادة الله تعالى جرت على أن البلية لم تنزل الا بعد المعصية لكن لا يصح أن يقال ان والتعميم وجود الحسنة لم تكن الا بعد صدور الفعل الحسن من النفس ولو لم يكن الاول لم يكن الثانى فان كثيرا من الحسنات حاصلة من غير صدور فعل حسن من النفس (قوله لاستجلابها بالمعاصى) فان قيل اذا كان المخاطب بما ذكر وهو الانسان مطلقا كان النبى صلى الله عليه وسلم داخلا فيه لكن العلة المذكورة لاتناسب قلنا الظاهر أن المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم اذ الخطاب لمن لم يعلم الحكم المذكور وهو عالم به وان دخل فى الخطاب نقول المعاصى شاملة لما هو ترك الاولى قليلا وجوزوا له صلى الله عليه وسلم صدور ما هو ترك الاولى قليلا كما وقع فى قصة أسارى بدر (قوله لاحجة فيهما لنا ولالمعتزلة) يعنى لايتوهم من قوله تعالى قل كل من عند الله أنه حجة لنا فى أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى لان المراد من الكل المذكور فى الآية النعمة والبلية وهما ليسا من أفعال العباد فلا يلزم من كونهما

خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل أنهم ماتفوهوا به ولكن قالوه فى أنفسهم فحكى الله تعالى عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضى (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) أى ولا تنقصون أدنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة (أينما تكونوا يدرككم الموت) قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * أو على أنه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون (ولو كنتم فى بروج مشيدة) فى قصور أو حصون مرتفعة والبروج فى الأصل بيوت على أطراف القصور من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية أى وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله سبحانه وتعالى وان تصبهم بلية كقحط أضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل من عند الله) أى يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى أو حديثا ما كبهائم لا افهام لها أو حادثا من صروف الزمان فيفتكرون فيه فيعلمون أن القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى (ما أصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) أى تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما يدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت قال ولا أنا (وما أصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير أن الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا ولالمعتزلة (وأرسلناك للناس رسولا) حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل

مخلوقين لله تعالى كون أفعال العباد مخلوقة له أيضا ولا يتوهم من قوله تعالى وما أصابك من سيئة فمن نفسك ان أفعال العباد مخلوقة لهم الا بتمييز المراد منه كما ذكر بعد (قوله والتعميم ان علق بها) أى بالحال لك أن تقول التعميم مستفاد من أرسلناك للناس اذا كان للناس متعلقا بالفعل فما فائدة تعليقه برسولا مع انه يلزم منه خلاف الوضع الطبع ويتوهم من تقديم الجار والمجرور انه رسول للناس لا غيرهم مع انه رسول الثقلين الا أن يقال الناس أعم من الانس والجن كما قالوا فى تفسير سورة النساء أو يقال انه قصر بالنظر الى من ادعى انه رسول الى بعض الناس لا الى جميعهم ويمكن أن يقال اذا كان الظرف متعلقا برسولا فهم صريحا كونه رسولا للناس جميعا بخلاف ما اذا كان متعلقا بالفعل فانه يفهم ضمنا الخ (قوله ولا خارجا من فى زور كلام) هذا استثناء فان خارجا منصوب على المصدر مع انه مشتق لأن اسم لا هو زور وليس يتصف خارجا بانه خبر لا لانه اذا تقدم خبر لا على اسمها يبطل عملها فى الخبر فوجب تقدير خبر أى لا زور كلام يخرج خارجا من فى أى خروجا فيكون مصدر (قوله فنزلت) أى انه صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يكون مراده ماذكروه بل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ ما أمر بتبليغه فتكون طاعته طاعة الآمر (قوله من

والتعميم ان علق بها أى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام * (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك بنصب المعجزات
82 (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه عليه الصلاة والسلام فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله سبحانه وتعالى روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت (ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف
83 (ويقولون) اذا أمرتهم بأمر (طاعة) أى أمرنا طاعة أو منا طاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات (فاذا برزوا من عندك) خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) أى زورت خلاف ماقلت لها أو ماقالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لأن الامور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائفهم للمجازاة أو فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على أسرارهم (فاعرض عنهم) قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا) يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم
84 (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون مافيه وأصل التدبر النظر فى ادبار الشئ (ولو كان من عند غير الله) أى ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على مادل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية

تناقض المعنى الخ) قال العلامة النيسابورى اختلف المفسرون فى المراد من سلامته من الاختلاف فقال أبو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطؤن على أنواع كثيرة من المكايد والرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم عنها فقيل لهم ان ذلك لولم يكن باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ويظهر أنواع الاختلاف وقال أكثر المتكلمين انجاه معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب وقال أبو مسلم المراد نظمه

وكون كله بل جزء منه بالغا حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان اذا كان فى غاية البلاغة اذا كتب كتابا مشتملا على المعانى الكثيرة فلابد ان يظهر التفاوت فى كلامه بحيث يكون بعضه قويا وبعضه سخيفا انتهى كلامه فقد حمل المصنف الاختلاف على جميع ماذكره المفسرون وكلامه ظاهر الا ماذكره من التناقض واعلم ان صاحب الكشاف قد حمل الاختلاف على بلوغ بعضه حد الاعجاز وقصور بعضه عنه ولا يخفى انه مشكل اذ يلزم منه جواز ظهور المعجزة على يد الكاذب بل ربما يقدح فى اعجاز القرآن ولا محيص عنه الا أن يحمل على الفرض والتقدير بمعنى انه لو كان الكلام غيره مرتبة الاعجاز فى البعض خاصة أو على ان يكون ذلك القدر مأخوذا من كلام الله تعالى كما فى الاقتباس وغيره هكذا ذكره العلامة التفتازانى وفيه نظر اما أولا فلانا لا نسلم انه يلزم منه جواز ظهور المعجزة على يد الكاذب اذ لا نسلم انه يجوز أن يكون ظهور الخارق المذكور على يد غير النبى صلى الله عليه وسلم مشروطا بعدم الدعوى الكاذبة وعند الدعوى لا يقدره الله تعالى على ذلك ليتميز النبى عن غيره واما ثانيا فلا نا لا نسلم انه يلزم منه القدح فى اعجاز القرآن اذ صدور معجزة واحدة من غير النبى لا يلزمه القدح ولما فى عبارة الكشاف من الاشكال غير المصنف عبارته الى ماقال من كون بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه

يصعب معارضته وبعضه يسهل (قوله ولعل ذكره ههنا الخ) ان أراد بما سبق من الاحكام السابقة المتقدمة على هذا الموضع من القرآن فغير ظاهر اذ لم يمض قريبا احكام متناقضة وان أراد ماسبق من الاحكام المتناقضة قبل نزول الآية فلا يظهر وجه ايراد هذه الآية ههنا فلابد من بيان مخصص لايرادها في هذا الموضع والاولى أن يقال ايرادها ههنا لانه لما ذكر ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى أورد هذه الآية دليلا على رسالته حتى تكون طاعته طاعته أي القرآن الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم معجز من عند الله وهذا هو الذي ذكره العلامة النيسابوري (قوله لكانت اذاعتهم مفسدة) لك أن تقول ظاهر أن اشاعة الخوف مفسدة وأما اذاعة الامن فكيف تكون مفسدة والجواب أن يقال يمكن كونه مفسدة لانه اذا أخبر بوعد الظفر على قوم فاذيع ذلك الخبر واشتهر سعى هؤلاء القوم واستعدوا للقتال استعدادا بليغا أو يستمدون من غيرهم فيشتبه الامر على المسلمين وهو مفسدة (قوله ولو ردوا ذلك الخبر الخ) أي لو لم يذيعوا بل فوضوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلم المتفكرون منهم أي من الصحابة مايليق به فمن هذه تكون تبعيضية ان كان المستنبطون بعضهم وبيانية ان كانوا كلهم (قوله على أي وجه يذكر) هو مفعول ثان لعلم أي علم المستنبطون الخبر ينبغي ان يذكر بأي وجه وفي أي زمان ومكان بخلاف ضعفة المسلمين الذين لا رأي لهم فانهم لم يعلموا ان الخبر بأي وجه ينبغي ان يذكر بل ذكروه قبل وقته فعلى هذا فاعل يذكر ضمير الجماعة لكن لا يخفى ما في عبارته من الابهام والاولى أن يقال في تفسير قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه المراد يفعلون به ما ينبغي ويليق بسبب انهم أهل الاستنباط وجودة القرائح (قوله ولو ردوه الى الرسول الخ) أي لو سكتوا عن الخبر حتى يسمعوا من الرسول وأولى الامر وتعرفوا منهم ان الخبر هل هو مما يذاع أو لا لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي الذين يتلقون العلم من الرسول وأولى الامر فعلى هذا المستنبطون هم المذيعون والاستنباط تلقيهم العلم من جهة الرسول وأولى الامر فمن ههنا ابتدائية (قوله بارسال الرسول وانزال الكتاب) انما خصص الفضل والرحمة بما ذكر اذ لو حملا على اطلاقهما كان المعنى لو لم يكن فضل الله ورحمته عليكم لآمن قليل منكم واهتدى فيرد انه اذا لم يكن الفضل مطلقا كيف يهتدي البعض واذا خصصا بما ذكر لم يرد السؤال اذ عدم الفضل والرحمة المخصوصين لا يستلزم عدم الفضل والرحمة مطلقا اذ يجوز أن يكونا بوجه آخر كما ان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل اهتديا الى الصواب ولك أن تقول لو حملا على اطلاقهما لم يرد السؤال اذ لا يلزم من عدم الفضل والرحمة على الجميع عدمهما على البعض لكن معنى الآية لولا فضل الله ورحمته على الجميع لا يهتدي الا القليل فان قيل مفهوم الآية ان عدم الرحمة على الجميع يستلزم اهتداء القليل لكن الظاهر ان الاول لا يستلزم الثاني عقلا اذ يجوز ان يجتمع عدم هداية الجميع وعدم هداية كل بعض قلنا لابد من ترتب جواب لولا على عدم مدخولها بأي وجه كان ولا يجب ان يكون عقليا بل يجب ان يكون بوجه من الوجوه أعم من ان يكون عقلا أو عادة أو غيرهما كان يكون في قضاء الله ان عدم شمول الرحمة لهم مع وجود الرحمة لبعضهم وعلى هذا يستلزم عدم الرحمة على الجميع الرحمة على بعضهم فيستقيم الكلام

لا

ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ماسبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف) مما يوجب الامن أو الخوف (أذاعوا به) أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي اليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) أي ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى أولى الأمر منهم) الى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالامور أو الأمراء (لعلمه) لعلم ما أخبروا به على أي وجه يذكر (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما يحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) أي الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو الا اتباعا قليلا على الندور (فقاتل في سبيل الله) ان تثبطوا وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك

(قوله وقرئ لا تكلف بالجزم) بان يكون لا للنهى كذا فى الكشاف ولا يخفى أن النهى ههنا طلب عدم التكليف بالفعل لكن كونه تعالى طالبا لعدم التكليف ليس مما ينبغى بل المناسب أن يخبر تعالى عن عدم التكليف ويمكن أن يقال ان لا هذه للنهى فى الاصل لكن استعملت ههنا فى غيره فتعمل نظرا الى أصلها وايراد الكلام فى صورة النهى وارادة النفى للمبالغة فى عدم التكليف فكأنه مأمور بعدم التكليف (قوله تعالى فقاتل فى سبيل الله) قال صاحب الكشاف لما ذكر فى الآية السابقة تثبيطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل الآية وظاهر كلام المصنف مرافقته لكن قصة المنافقين قد بعدت فالاولى أن يقال المعنى لما تفضل الله عليك بالنعم التى هى شرف الرسالة والمعجزات وعلى المؤمنين بهدايتهم بارسالك قاتل فى سبيل الله لتقويم دينه الحق واعلاء كلمته شكرا للنعمة المذكورة لا تكلف الا نفسك لا ضرر عليك اذا لم يساعدك أحد وحرض المؤمنين وليس عليك الا تحريضهم (قوله والله أشد بأسا من قريش) لا يخفى أن بأس قريش هو بأس الله اذ لا فاعل الا الله تعالى فالمعنى بأس الله اذا لم يكن بسبب قريش أشد من بأسه الحاصل بسببهم لان البأس الحاصل بسبب قريش انما يكون بالقتل أو الجرح ولكن فى قدرة الله تعالى أشد منه (قوله فان قاله المسلم زاد وبركاته) أى ان قال السلام عليك ورحمة الله يقول وعليك السلام ورحمة الله وبركاته (قوله لما يروى الخ) فان قيل ظاهره انه استدلال على وجوب أحد الامرين لان الكلام فيه لكن الحديث لم يدل على الوجوب فالجواب أنه استدلال على أن المراد من التحية السلام وان وقع الفصل بين المدعى والدليل وانما دل الحديث المذكور بقوله فاين ماقال الله تعالى الآية فى أن يقال الحديث لا يدل على قول الجمهور وهو أن المراد بالتحية السلام بل يجوز أن يكون المراد الدعاء مطلقا والسلام داخل فيه فيجب فى تخصيص الآية بالسلام أنه من دليل آخر فتأمل (قوله السلامة عن المضار الخ) السلامة المفهومة من السلام عليك (قوله فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن الخ) ظاهره يدل على ان الرد فى الصورة المذكورة لا يجوز او يكره وليس كذلك بل يستحب الجواب فى الخطبة واختار الامام النووى وجوب الرد على القارئ (قوله ومنه قيل الخ) أى من أجل ماذكر وهو الحديث المذكور قيل أو للترديد فانه علم منه أن النبى صلى الله عليه وسلم حيا المسلم فى بعض الصور ببعض التحية

لا الجنود روى أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام ومامعه الا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أى لا نكلفك الا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا الا نفسك لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك فى شأنهم الا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل بان ألقى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن يشفع شفاعة سيئة) يريد بها محرما (يكن له كفل منها) نصيب من وزرها مساو لها فى القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من أقات على الشئ اذا قدر قال

وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على مساءته مقيتا

أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) الجمهور على أنه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله لما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ماقال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أو للترديد بين أن يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية وواجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ

وحياه فى بعضها بتمامها و يفهم من اطلاق هذا القول أنه لو قال المسلم السلام عليك ورحمة الله لم يجب على المجيب أن يقول و رحمة الله بل يكفى أن يقول وعليك السلام لانه أتى ببعض التحية وهو ظاهر كلام الفقهاء على ماصرح به الدميرى لكن ظاهر الآية وتفسير المصنف لها يدل على أنه لو قال المسلم السلام عليك و رحمة الله يجب أن يقال فى الجواب مثل ماذكره بان يقال وعليك السلام و رحمة الله وكذا لو زاد المسلم لفظ و بركاته (قوله أو صفة للمصدر) أى جمعا لاريب فيه (قوله فانه لايتطرق الكذب الى خبره الخ) فيه ان عدم تطرق الكذب الى خبر المخبر لايستلزم أن يكون أكثر صدقا من الآخر اذ يجوز أن يخبر أحد عن ثلاثة أخبار مثلا وصدق فيها مع انه لم يخبر عن غيرها وأخبر آخر عن مائة خبرا كثرها صدق فانه يصدق أن المخبر الاول لم يتطرق الكذب الى خبره مع ان الآخر أكثر صدقا و يمكن أن يقال المراد من أظهر صدقا من الله فان الدليل القاطع قام على صدقه تعالى فى جميع أخباره بخلاف غيره من المخلوقين ثم ان الأولى أن فى العبارة المذكورة لاينبغى أن يكون أحد مثله تعالى فى الصدق فالاولى أن يقال المراد من العبارة ان الله تعالى أصدق من كل أحد وانما دل على ذلك لان كون شخصين متساويين فى الصدق لايتأتى بل لابد أن يكون أحدهما أصدق فاذا نفى الاصدقية عن أحدهما ثبتت للآخر فلما نفى فى الاية أصدقية غير الله تعالى ثبتت أصدقيته تعالى ومثله يقع فى العرف كثيرا مثل أن يقال ليس احد أعلم من زيد مثلا و يراد به أعلم زمانه لان غيره ليس باعلم مع أنه يجوز أن يكون مثله (قوله فئتين حال عاملها لكم) أوما لكم فالمعنى على الاول ماحصل لكم حال كونكم فئتين وعلى الثانى ماتصفون (قوله من الضمير) أى من الضمير الذى هو فى لكم والتقدير فماحصل لكم فئتين تفترقون فى أمر المنافقين (قوله وفى المنافقين حال من فئتين) لك أن تقول الحال اما حال عن الفاعل أو عن المفعول وفئتين ليس أحدهما و يمكن أن يقال ان مراده ان فئتين بمعنى فريقين فيكون فيه ضمير مستتر وفى المنافقين حال من ذلك الضمير قال الرضى فى باب المبتدأ والخبر اما الجامد فان كان مؤولا بالمشتق تحمل الضمير نحو هذا القاع غير فج كله أى غليظ وكله ههنا تأكيد للضمير وان لم يكن مؤولا لم يتحمل خلافا للكسائى وكأنه نظر الى ان زيد أخوك معناه زيد متصف بالاخوة وهذا زيد معناه هذا متصف بالزيدية والجامد على هذا كله متحمل للضمير عند الكسائى انتهى كلامه فتأمل واذا جاز فى خبر المبتدأ مثل ماذكر جاز فى الحال أيضا اذ لايظهر مانع (قوله ولو نصب على جواب التمنى لجاز) هذا يدل على أن لو ههنا يجوز أن تكون للتمنى وهو يحتاج الى تكلف فالاولى أن يقال انها مصدرية وقد تقدم هذا البحث (قوله فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة أو عن اظهار الايمان) هذان التفسيران متدافعان لانه لايخلو اما أن يكون اظهار الايمان كافيا فى دفع الاخذ والقتل أولا فان كان الاول فلاحاجة الى الهجرة فيكون ذكر الهجرة فى التفسير الاول مستدركا وان كان الثانى فلا يكون اظهار الايمان مانعا من القتل مع انه مفهوم الكلام بل

حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لااله الا هو) مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة أو مفضين اليه أو فى يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور أو للحساب (لاريب فيه) فى اليوم أو فى الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر (ومن أصدق من الله حديثا) انكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فانه لايتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فما لكم فى المنافقين) فما لكم تفرقتم فى أمر المنافقين (فئتين) أى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم أحد أو فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن أو قوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين أى متفرقين فيهم أو من الضمير أى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله أركسهم بما كسبوا) ردهم الى حكم الكفرة أو نكسهم بان صيرهم للنار وأصل الركس رد الشئ مقلوبا (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أن تجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا أن تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله و رسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ماأمر به سلوكه (فان تولوا) عن الايمان الظاهر

بالهجرة

لابد من الهجرة والمذكور في الكشاف الاحتمال الاول ولم يلتفت الى ماذكره ثانيا فظهر منه أنه لابد من الهجرة الصحيحة في دفع الاخذ والقتل ووافق العلامة النيسابوري صاحب الكشاف حيث قال فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ودفع السؤال أن يقال مراده أو اظهار الايمان بالهجرة فيكون محصل التفسيرين واحدا (قوله والاول أظهر لقوله فان اعتزلوكم) قال العلامة التفتازاني انما كان العطف على الصلة أرجح لان الاستثناء يشعر بان سبب ترك التعرض لهم أمران أحدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال بالقوم الكافين ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة لكن قوله فان اعتزلوكم الخ يشعر بانه الكف لان المعنى ان كفوا عن قتالكم فلا سبيل لكم عليهم فينبغي الاستثناء على وجه يفيد ذلك أي اقتلوهم الا الذين يصلون بالمعاهدين أو الذين كفوا عن قتالكم فيكون هذا تقريرا له أقول يرد عليه انه اذا كان المعنى ماذكر يعني ان الاعتبار على الكف عن القتال فما فائدة جاؤكم وما فائدة التفصيل بل الاولى ان يقال الا الذين يكفون عن قتالكم ويمكن ان يقال لما كان المفهوم من قوله تعالى فان اعتزلوكم ان الكف والانقياد كافيان في الامان من غير اعتبار قيد آخر لكن العطف على الصلة يقتضي اعتبار أمر واحد وهو المجيء الى الرسول والعطف على الصفة يوجب اعتبار شيئين أحدهما مجيء قوم كافين عن

القتال الى النبي صلى الله عليه وسلم والثاني مجيئهم الى هؤلاء القوم فكان العطف على الصلة أقرب الى الاطلاق المفهوم من قوله فان اعتزلوكم الخ فان قلت مافائدة تخصيص المستثنين المذكورين بالذكر ولم يذكر الحكم العام أولا فيقال الا الذين يكفون عن القتال قلت لعل تخصيصهما بالذكر الحث على الكف بهذين الطريقين وان أمكن الكف بغيرهما أو يقال الكف عن القتال يمكن ان يكون بالطريقين المذكورين وان يكون بغيرهما لكن الغالب هما فيستثنى صريحا ماهو الغالب وتجعل الصورة الأخرى في حكم المستثنى بقوله فان اعتزلوكم يعني ان لم يتصلوا بالمعاهدين ولم يجيبوا اليكم لكن كفوا عن القتال وانقادوا لكم دخلوا في الامان (قوله وقرئ بغير العاطف الخ) كذا في الكشاف وفيه مافيه اما أولا فلان كونه بيانا ففيه تكلف بعيد باعتبار ان المقصود من كل منهما الكف عن القتال واما ثانيا فلانه يلزم على كل من التقادير المذكورة ان يكون من استثنى من وجوب الأخذ والقتل هو الجامع بين الصفتين الاتصال بالمعاهدين والمجيء الى الرسول والمؤمنين ويفهم منه انه لايكفي واحد منهما وليس كذلك والاولى ان يقال ان على هذه الوجوه أو محذوفة قال الرضي قد يحذف أو كما تقول كل ممكنا لقيام قرينة دالة على المراد (قوله ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم الخ) أي يدل على كونه حالا القرآتان المذكورتان اذ الوجه كونهما حالا وقراءة حصرات صدورهم على لغة أكلوني البراغيث وانما أيد كونه حالا بماذكر لان المبرد على ان حصرة صدورهم صفة لمقدر هو قوما وانما قدر هكذا لئلا يلزم تقدير قد فتكون حالا موطئة وقال العلامة التفتازاني اعترض بان المقصود من الحال الموطئة هو الصفة فلابد من قد سيما عند حذف الموصوف فيكون ماذكر التزاما لزيادة الاضمار من غير ضرورة أقول فيه نظر (قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم) الظاهر ان قوله تعالى فلم يقاتلوكم الخ مفسر لقوله فان اعتزلوكم

بالهجرة أو عن اظهار الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كسائر الكفرة (ولاتتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أي جانبوهم رأسا ولاتقبلوا منهم ولاية ولا نصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على أن لايعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة (أو جاؤكم) عطف على الصلة أي أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فالحق بالمعاهدين أو أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول أظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم أو بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف أي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أي عن أن أو لان أو كراهة أن يقاتلوكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (وألقوا اليكم السلم)

والا لم يكن فائدة لقوله فان اعتزلوكم (قوله أى لا يقتله فى شئ من الاحوال الخ) كذا فى الكشاف وظاهر هذه العبارة يدل على أن خطأ مفعول فيه لا حال لان المعنى الا فى حال الخطأ أو الا فى زمانه ولو قيل خطأ بمعنى خاطئا والمعنى لا ينبغى لمؤمن ان يقتل مؤمنا متصفا بصفة الا مخطئا أى متصفا بالخطأ لكان أولى (قوله الا الا خطأ) فيكون مثل قعدت عن الحرب جبنا فان الجبن سبب للقعود كما أن الخطأ سبب للقتل (قوله والاستثناء منقطع) انما جعل الاستثناء منقطعا على هذا التقدير لانه لو جعل متصلا لفسد اذ المعنى لا يطلب من المؤمن ترك القتل فى كل حال الا فى حال الخطأ فيلزم ان يكون القتل حال الخطأ مطلوبا وليس كذلك (قوله سمى العفو عنها صدقة حثا عليه) أى على العفو وسبب كونه حثا كثرة النصوص الواردة فى الحث على الصدقات وعظم ثوابها (قوله وهو متعلق بعليه) أى عليه المقدر فى قوله فتحرير رقبة لانه فسر بقوله فعليه تحرير رقبة (قوله على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف) لا يخفى ان تصدقوا حال عن الأهل بحسب الظاهر لانهم المصدقون وانما جعله حالا عن الضمير الراجع الى القاتل فباعتبار أمر مقدر هو عليه والمعنى الا ان يصدقوا عليه والا فعليه تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله (قوله من قوم كفار محاربين) أو فى تضاعيفهم والمعنى ان يكون واحدا من هؤلاء القوم أو لم يكن ويكون بينهم وهذا هو المراد بكونه فى تضاعيفهم به والدليل الذى ذكره صريح فى انه لا بد ان يكون من قوم يكون جميعهم عدوا وانما قال دون الدية لأهله اذ فى صورة الانفراد تجب الدية ويرثه بيت المال لان القرابة لا ترث (قوله اذ لا وراثة بينه و بينهم) أى بين المقتول و بين الكفار الذى هو فيهم فلا يرثون منه (قوله ولانهم محاربون) فلا يستحقون ان يأخذوا من القاتل المسلم الدية (قوله ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا الخ)

الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم) هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) و ينبذوا اليكم العهد (ويكفوا أيديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم و وضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له وليس من شأنه (أن يقتل مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة الا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع أى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطى كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) أى فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله (الا أن يصدقوا) الا أن يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أى تجب الدية عليه أو يسلمها الى أهله الا حال تصدقهم عليه أو زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه و بينهم ولانهم محاربون (وان كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا أو كان له وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل

به اليها (فصيام شهرين متتابعين) فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين (توبة) نصب على المفعول له أى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته أو على المصدر أى وتاب الله عليكم توبة أو الحال بحذف مضاف أى فعليه صيام شهرين ذا توبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما أمر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله أراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا أو المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سافرتم وذهبتم للغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا فى الموضعين هنا وفى الحجرات من التثبت (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف أى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوّذا وقرئ مؤمنا بالفتح أى مبذولا له الامان (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت (فعند الله مغانم) لكم (كثيرة) تغنيكم عن قتل أمثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) أى أوّل ما دخلتم فى الاسلام تفوّهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم (فمنّ الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله

يعنى لا تلزم الدية من قتل شخصا يكون من قوم معاهدين اذ يجوز ان يكون هذا الشخص ليس معاهدا ولا مؤمنا ولا وارث له مسلم فلا تلزم الدية نعم اذا كان معاهدا فتلزم الدية للعهد واذا كان مسلما وله وارث مسلم فلزوم الدية قائم وعلى هذا الاولى ان يقال أو كان مسلما وله وارث (قوله أى فعليه صيام شهرين ذا توبة) أى يجب عليه صيام شهرين فذا توبة حال من ضمير عليه الذى هو المفعول واعلم ان المراد من التوبة ليس غفر الذنب اذ لا ذنب فى قتل الخطأ بل المراد الرحمة والتأسف عليه فايجاب ما ذكر لترتب الثواب عليه مع الزجر عما صدر عنه من ترك الاحتياط (قوله لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس الخ) أى لاجل التهديد العظيم الذى يفهم من الآية قال ابن عباس انه لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا والظاهر انه أراد التشديد والتخويف والزجر العظيم عن قتل المؤمن لا انه أراد بعدم قبول توبته عدمه حقيقة اذ روى عنه ان توبته مقبولة (قوله والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب) أى العذاب المذكور مخصوص بمن لم يتب عن القتل والغرض ان من تاب تقبل توبته ولا يعذب بالعذاب المذكور والظاهر ان المراد من الجمهور جمهور المسلمين فان المعتزلة موافقة للاشاعرة فى انه جزاء من لم يتب ولما كان لسائل ان يقول كيف يكون جزاؤه ما ذكر عند أهل السنة والحال انهم على ان المؤمن العاصى المرتكب للكبيرة لا يخلد فى النار قال فى الجواب ان توجيه الآية عندنا بان يقدر قيد وهو الاستحلال فكأنه قيل ومن يقتل مؤمنا متعمدا مستحلا للقتل فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية واما بان يقال المراد من الخلود المكث الطويل (قوله وعندنا الخ) أى عند أهل السنة (قوله فان الدلائل متظاهرة) أى الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين بأى معصية كانت لا يدوم عذابهم فان الاحاديث دلت على انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فهى دالة على ان المؤمن يخرج آخرا وان صدرت منه أى معصية كانت (قوله فاطلبوا بيان الأمر وثباته) أى الامر المبين الثابت والحاصل انه لا تعجلوا فى الامر بل توقفوا واجتهدوا بقدر الوسع فى طلب القرائن والدليل على حال من القى اليكم السلم (قوله وترتيب الحكم على ما ذكر الخ) أى ترتيب الامر بالتبيين على حالهم المستفاد من قوله تعالى كذلك كنتم من قبل

(قوله وفيه دليل على صحة ايمان المكره) لان اطلاق الآية دل على ان كل من أظهر الاسلام يجب عدم المبادرة الى قتله فدخل فى هذا الاطلاق من آمن للخوف من القتل و يمكن أن يقال ان الحديث المذكور دل على ماذكر فتأمل (قوله فيه ان المجتهد قد يخطئ) لانه علم من الآية ان توبيخهم لا لمجرد الخطأ فى القتل بل لعدم التثبت والاجتهاد ولذا كرر فتبينوا فعلم منه انه لو تثبتوا ولم يعجلوا لم يكن عليهم شئ لو أخطؤا فهذا يدل على خطأ المجتهد وعدم مؤاخذته (قوله أو من الضمير الذى فيه) وهو الذى يرجع الى اللام التى هى الموصول اذ المعنى الذين يقعدون (قوله لانه لم يقصد به قوم باعيانهم) أى القاعدون فى حكم النكرة اذ المقصود جماعة من القاعدين غير معينين فيكون نظير قول الشاعر ولقد أمر على اللئيم يسبنى (قوله ومن قعد عن الجهاد من غير علة) يفهم من اطلاق العلة ان الضرر ههنا مطلق سواء كان بسبب فى البدن ككف وعرج ومرض أو بسبب عدم الاهبة كما صرح به العلامة النيسابورى (قوله والقاعدون على التقييد السابق) أى تقييدهم بغير أولى الضرر اذ لو لم يعتبر التقييد لزم الاختلاف فى الكلام اذ يفهم من التصريح بالتقييد أولا أن أجر القاعد للضرر كأجر المجاهد والا لم تكن فائدة بقيد غير أولى الضرر لكن يفهم من هذه الجملة التفاوت بين الفريقين فى الدرجة واذا قيد بما ذكر ارتفع الخلاف واعلم ان صاحب الكشاف صرح بما يوافق المصنف من التقييد فقال المعنى فضل الله المجاهدين على القاعدين غير أولى الضرر فتكون هذه الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف ثم قال فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى التخلف اه والكلامان متناقضان كما ترى فان الاول دال على ان ليس للمجاهدين على القاعدين الاضراء فضل بل هما متساويان والكلام الثانى الصريح فى فضل المجاهدين على القاعدين الاضراء بدرجة والذى يخطر لى والله أعلم باسرار كلامه ان المفهوم من الكلام الأول وهو قوله تعالى لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم استواء المجاهدين والقاعدين الاضراء الذين يكون لهم شدة الحرص على الجهاد ولا يقدرون أصلا والمراد بالجملة الثانية وهى فضل الله المجاهدين الخ ان الله فضل المجاهدين على الاضراء الذين لا يكونون كذلك والمراد من الجملة الثالثة وهى قوله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين الذين ليس لهم عذر واعلم انه قال العلامة النيسابورى المعنى لايستوى القاعدون والمجاهدون الا أولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة الحديث وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ انتهى وذكر الامام حجة الاسلام فى كتاب الاحياء انه صلى الله عليه وسلم قال الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من تبوك الى المدينة تركنا أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار الا أشركونا فى ذلك قالوا وكيف ذلك يارسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية قال الامام ألا ترى كيف أشركوا بالنية فى محاسن عمله ومساويه ثم قال وفى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس

فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذى فيه (غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم أو بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال أو الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولى الضرر فقال ابن أم مكتوم وكيف وأنا أعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم) أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أى بدرجة أو على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين

97

فأوحى الله الى نبيهم ألا قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك مالو كان طعاما فتصدقت فعلم من الاحاديث التى نقلناها استواء القاعدين الاضراء الذين ذكرناهم مع المجاهدين فان قيل فلم لم يعطف الجملة الثانية على الاولى وعطف الثالثة على الثانية قلنا يمكن ان يقال لما ذكر نفى الاستواء بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر وجب ان يبين كيفية نفى الاستواء فبين بالجملتين الاخيرتين كيفيته فلذا أى لاجل انهما بيان للاولى لم يعطف أو يقال لما نفى الاستواء المذكور كأن سائلا سأل فما حال الفريقين فاجيب بما ذكر والله أعلم (قوله لحسن عقيدتهم الخ) أى اعطاء المثوبة الحسنى التى هى مشتركة بين الفريقين لاجل اشتراكهما فى العقيدة وتفضيل المجاهدين على القاعدين لأجل العمل الذى هو الجهاد (قوله و يجوز ان ينتصب درجات على المصدر) فيكون المعنى وفضلهم الله تفضيلات (قوله باضمار فعليها)' أى غفر الله لهم مغفرة ورحمهم رحمة (قوله كرر تفضيل المجاهدين) يمكن ان يقال

(وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجر أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من أجرا و يجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطا وأجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين و بالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخوذهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى و بالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم) فى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) أى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) فى أى شئ كنتم من أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن اظهار الدين واعلاء كلمة الله (قالوا) أى الملائكة تكذيبا لهم أو تبكيتا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم

ذكر تفضيلهم ثلاث مرات أحدها ضمنا وهو يعلم من نفى الاستواء والثانية والثالثة ذكرتا صريحين واما المبالغة بحسب الاجمال فهو انه أثبت للمجاهدين تفضيلا بدرجة ثم أثبت أجرا عظيما واما بحسب التفضيل فيعلم من التفاوت بالدرجات والمغفرة والرحمة فان قيل يلزم ان لا يكون القاعد مغفورا مرحوما قلنا المغفرة والرحمة المذكورتان هنا العظيمتان وهذا لا ينافى ان يكون القاعد أيضا مغفورا مرحوما نعم يستلزم تفاوت المغفرتين والرحمتين أو يقال ان لهم مغفرة ورحمة بسبب الجهاد وهذا لا ينافى ان يكون للقاعد مغفرة بسبب آخر (قوله وقيل الاول ماخوذهم فى الدنيا) هذا الكلام الخ لدفع سؤال توهم ههنا وهو انه يظهر اختلاف بين قوله فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم الخ و بين فضل الله المجاهدين على القاعدين الخ اذ يفهم من الكلام الاول ان التفاوت بينهما بدرجة واحدة ومن الثانى ان التفاوت بينهما بدرجات ومغفرة ورحمة ولا حاجة فى دفع السؤال الى الاقوال المذكورة ههنا بعد التحقيق الذى قلنا (قوله وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه) هذا التفسير بعيد فى هذا الموضع لان الكلام فى المجاهدين مع الكفار ولذا قيد بغير أولى الضرر وأيضا المتبادر من القاعدون ههنا من لم يقم الى جهاد الكفار (قوله يحتمل الماضى والمضارع) بحذف احدى التاءين وفى هذا الاحتمال نظر اذ لا يطابق مايجىء بعده من الصيغ الماضية الا أن يحمل على غير المضى حقيقة بل يقال انها للمستقبل حقيقة وعبر عنها بالمضى للقطع بتحقيقها (قوله حين كانت الهجرة واجبة) هذا دليل الظلم لان ترك الواجب ظلم (قوله حال من الملائكة باضمار قد) هذا اذا كان صيغة الماضى على حقيقتها وأما اذا كانت بمعنى المستقبل فلا حاجة الى الاضمار (قوله وهو جملة معطوفة

الخ) أى قوله تعالى فاولئك جملة معطوفة على قالوا و يتجه لان قول الملائكة لهم الكلام المذكور الدال على التوبيخ على ترك الواجب دال على سوء عاقبتهم (قوله لايتمكن الرجل من اقامة دينه) أى لم يتيسر له فعل الواجبات وترك المحرمات وههنا مناقشة فى ان المفهوم من الآية توبيخ الملائكة الجماعة المذكورة الواجب عليهم الهجرة من مكة على تركها ومن اقعدهم الكفار فكان وجوب الهجرة سببا للتوبيخ على الاقامة وهذا لايدل على ماذكر المصنف فان قيل يفهم من الآية وجوب الهجرة من مكة والتوبيخ على تركها ولايخفى أن وجوب الهجرة انما كان لعدم تيسر اقامة الدين للمسلمين فبهذا السبب أينما وجد وجبت الهجرة قلنا لعل وجوب الهجرة أول الامر لا لمجرد ماذكر بدله وشئ آخر هو دفع أذى المشركين لان المشركين آذوهم وعذبوهم لان يرجعوا عن الاسلام وكان فى هذا خوف ارتدادهم و يوهن أمر الاسلام و يؤيد ذلك ان بعضهم يساعدون الكفار كما ذكر المصنف (قوله لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة) لان الموصول عبارة عن الظالمين وكذا الضمير والاشارة لكن المستضعفين ليسوا ظالمين (قوله ان أريد المماليك فظاهر وان أريد به الصبيان الخ) يعنى يفهم من العفو ان الهجرة واجبة عليهم لكن يعفى عنهم بضعفهم فاذا أريد بهم المماليك فالامر ظاهر أى ظاهر ان عدم الوجوب عليهم لاجل ضعفهم وأما اذا كان المراد الصبيان فليس عدم الوجوب عليهم لضعفهم بل لانهم غير مكلفين بشئ ولو كانوا أقوياء لم يجب عليهم شئ فايرادهم للمبالغة والاشعار المذكورين وفيه أنه يفهم لولم يستضعف الصبيان لوجبت عليهم الهجرة الا أن يقال نفى الوجوب عليهم يعلم من موضع اول آخر وحينئذ يكون المراد من العفو ليس ترك الاخذ بالذنب بل مجرد عدم الاخذ (قوله الوقوع والوجوب متقاربان) لابد من تبيين معنى الوقوع حتى يظهر ماذكر فنقول ان كان المراد بوقوع شئ على شئ اتصافه به أو اتصاله به فهذا لايقارب الوجوب وان أريد وجوب صدوره منه فهذا عين معنى الوجوب لاتقارب به وان أريد به معنى آخر فلابد أن يبين حتى يتكلم فيه و يمكن أن يقال الوقوع والوجوب بحسب أصل اللغة متقاربان لان الوجوب فى اللغة السقوط والاولى الاقتصار على ماذكره آخرا بان المعنى ثبت (قوله ثبوت الامر الواجب) أى ثبوتا مثل ثبوت الامر الواجب فى تحقق الوقوع

أوجهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان أريد به المماليك فظاهر وان أريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت (لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه أو حال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وماتتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه أن لا يأمن و يترصد الفرصة و يعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه أى يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ثم هو يدركه و بالنصب على اضمار أن كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

(فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الأمر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على مابايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فمات (واذا ضربتم فى الأرض) سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه . ون وجوبه و يؤيده أنه عليه الصلاة والسلام أتم فى السفر وأن عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت ياعائشة وأوجبه أبوحنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله تعالى عنها

(قوله كالتام فى الصحة) أى ليس معنى انها تمام غير مقصورة بل المراد ماذكر (قوله والثانى لاينفى جواز الزيادة) لك أن تقول اذا كانت الصلاة فى الاصل ركعتين وأقرت عليهما فى السفر كيف تجوز الزيادة مع ان الزيادة والنقص فى الفريضة غير جائزين فانه لايجوز أن يصلى الصبح مثلا أربع ركعات ويمكن أن يقال المراد من قولها أقرت فى السفر أى أقرت الصلاة الواجبة فى السفر على ركعتين ومعنى زيدت فى الحضر زيدت الصلاة الواجبة على ركعتين فى الحضر وكون الصلاة الواجبة فى السفر ركعتين لاتنافى جواز الزيادة عليها بان تكون الزيادة غير واجبة كما فى الرواية الثانية عن عائشة رضى الله عنها فانها تدل على ان الصلاة الواجبة فى السفر ركعتان مع جواز الزيادة عليها (قوله فلاحاجة الى تأويل الآية) أى من أوجب القصر للحديثين المذكورين اضطر الى تأويل الآية لان ظاهرها عدم وجوب القصر فاولها بما ذكر أى لاقصر حقيقة بل الركعتان صلاة تامة فى نفسها غير مقصورة من الرباعية وذكر القصر فى الآية لانه لما ذكر التعبير بعدم الجناح الدال بحسب الظاهر على عدم وجوب القصر لتطيب أنفسهم لانهم كانوا يتخيلون ان فى القصر جناحا وحرجا (قوله شريطة باعتبار الغالب) يعنى ذكر ان خفتم الخ ليس لانه شرط القصر حقيقة فلا يقصرونه عند عدم الخوف بل لاجل انه كان الغالب الخوف فى السفر فى وقت نزول الآية لكثرة المشركين وأهل الحرب (قوله تعلق بمفهومه من خص) مراده من المفهوم مفهوم الخطاب أى تخصيص الخطاب بالنبى صلى الله عليه وسلم يشعر بان هذه الصلاة مخصوصة به ومن معه لانه ذكر فى الآية حال الصلاة اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى المؤمنين ولم يذكر حالها حين لم يكن فيهم فيمكن أن يفهم ان الصلاة المذكورة مخصوصة بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله عامة الفقهاء الخ) فيكون المراد أنه اذا كنت فيهم كان الحكم ماذكر واذا لم تكن فيهم فليقم بهم امامهم تلك الصلاة (قوله وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم) أى الطائفة المذكورة فى قوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك تدل على وجود طائفة أخرى (قوله فغلب المخاطب الخ) أى غلب المخاطب الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم على الغائب الذى هم المؤمنون (قوله ظاهره يدل على ان الامام يصلى بكل طائفة مرة) لان قوله فليصلوا معك يدل بظاهره على ان تمام صلاة كل من الطائفتين مع تمام صلاة الامام وذا لايكون الا بان يصلى بكل مرة

أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلاحاجة الى تأويل الآية بانهم ألفوا الاربع فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبى حنيفة وقرئ تقصروا من أقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شريطة باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) أى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا معك) ظاهره يدل على أن الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان أريد به أن يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو

وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتى الأخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه و بين الاسلحة فى وجوب الأخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوّؤا الدار والايمان (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله أمروا باخذ الحذر والسلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد أن الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) أمرهم مع ذلك باخذ الحذر كى لا يهجم عليهم العدو (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب أن يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى [104] (فاذا قضيتم الصلاة) أديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال أو اذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيفما أمكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فاقيموا الصلاة) فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها وأتوا بها تامة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن أوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالايتاء بها كيفما أمكن وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلى المحارب حتى يطمئن [105] (ولا تهنوا) ولا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى أن يكونوا أرغب منهم فى الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما) باعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى [106] (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح و برئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل (بما أراك الله) بما عرفك الله وأوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل (ولا تكن للخائنين) أى لاجلهم والذب عنهم (خصيما) للبرآء (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما) لمن يستغفره [107] (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم يعود

عليها

(قوله ونظيره قوله والذين تبوّؤا الدار (١١٤) والايمان) لان التبوّأ حقيقة للدار فجعل متعلقا بالايمان أيضا أى كما ان الاخذ فى الحقيقة متعلق بالاسلحة فجعل متعلقا بالحذر توسعا (قوله وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب) لان معنى الكلام لا حرج عليكم فى ترك أخذ السلاح بسبب ماذكر فيدل بمفهومه على ان عليهم حرجا ان لم يأخذوا عند عدم الاعذار المذكورة (قوله وخذوا حذركم) الظاهر انه عطف على مقدر وهو خذوا الرخصة فى ترك أخذ السلاح (قوله مسايفين) أى مضاربين السيوف ومرامين أى ترامون السهام ومثخنين بصيغة المفعول أى مجروحين (قوله وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة) أى ذكره هذا الحكم وهو ان للصلاة وقتا محدودا لا يجوز اخراجها عنه فى أى حال يناسب أن يحمل الذكر فى قوله فاذكروا الله على الصلاة (قوله وانها واجبة الخ) أى الصلاة واجبة كيفما أمكن الا أن هذه الجملة متعلقة بقوله تعالى فاذا اطمأننتم الخ اذ كون الصلاة لها وقت محدود ليس له اختصاص بحال الاطمئنان بل متعلق به و بغيره من الأحوال المذكورة وحمل الجملة المذكورة وهى قوله تعالى ان الصلاة الآية على ماذكر لاطلاقها وعدم تقييدها بشئ (قوله مما هممت به) الظاهر ان الهم كان

بالاختيار والالم يؤمر بالاستغفار عنه وقد صرح الامام حجة الاسلام بأن الهم مما يؤاخذ به العبد قال العلامة التفتازانى والنيسابورى قال بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اراد أن يخاصم لاجل ذلك الخائن لما ورد النهى عنه ولما أمر بالاستغفار والجواب ان النهى عن الشئ لا يقتضى حصول المنهى عنه بل ثبت فى الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه صلى الله عليه وسلم ان يدرأ عن طعمة و يلحق السرقة باليهودى توقف وانتظر الوحى ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودى و براءة طعمة ولم يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودى فاطلعه الله على حقيقة الحال ولعل المراد واستغفر لاولئك الذين يدعون براءة طعمة انتهى وعلى هذا ظهر تقصير المصنف فى تبيين معنى الاستغفار والنهى عن الجدال (قوله أوجعل المعصية خيانة لها) كذا فى الكشاف وليس مراده ان المعصية شبهت بالخيانة فاستعيرت الخيانة لها ثم سرى الى الاستعارة التبعية فى الفعل فحينئذ يلزم ان يكون معنى يختانون أنفسهم يعصون أنفسهم ولا وجه له بل المراد ان المعصية

عليها أوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وأمثاله أوله ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا) مبالغا فى الخيانة مصرا عليها (أثيما) منهمكا فيه روى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه وهو أحق بان يستحيا و يخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه و يؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرون و يزورون (مالا يرضى من القول) من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها أنتم هؤلاء) مبتدأ وخبر (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أوصلة عند من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك و بالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه و باله كقوله تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أوما لا عمد فيه (أو اثما) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان أو (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرىء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) أى من بنى ظفر (أن يضلوك) عن القضاء

جعلت خيانة توسعا فصارت كسائر الخيانات فنسبت اليهم الخيانة والاولى ان يقال الخيانة بمعنى المضرة فمعنى يختانون يضرون أنفسهم (قوله جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا) أى يظهر منها وجه كون هؤلاء خبرا أى يفهم منه معنى ها أنتم هؤلاء الجادلون ولو لم يذكر هذه الجملة لم يظهر لها أنتم هؤلاء فائدة (قوله أوصلة عند من يجعله موصولا) وهو مذهب الكوفيين (قوله أم من يكون عليهم وكيلا) قال العلامة التفتازانى أم فى مثل هذا الموضع أعنى اذا وقع بعدها اسم استفهام تكون بمعنى بل لا متصلة ولا منقطعة قال صاحب المغنى معنى أم المنقطعة الاضراب ثم تكون تارة للاضراب مجردا وتارة تتضمن مع ذلك استفهاما انكاريا أو طلبيا فمن الاول نحو قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور (قوله ولذلك سوى بينهما) أى جعل جزاءهما واحدا وهو فقد احتمل أى جعل جزاء كاسب الخطيئة وهى الصغيرة أوما لا عمد فيه مع الرمى وكذا جزاء كاسب الاثم وهو الكبيرة أوما يكون عمدا مع الرمى واحدا مع ان كسب الصغيرة أوما لا عمد فيه ليس ككسب الكبيرة أو ما فيه عمد البهتان وانما جعل كذلك لانه وان لم يقترف الاثم المبين بالاستقلال لكنه اقترفه فى ضمن الرمى لانه متضمن لابراء النفس الخاطئة (قوله وجمعه للتعظيم أوله ولامثله) هكذا وقع فى كثير من النسخ والظاهر ان المراد من جمع الضمير جمعه فى مثل هذا الموضع كما فى قوله ولولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يكون بما ذكر كما قال فى تفسير سورة هود فى قوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله ان جمع الضمير فى قوله لكم اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أوله وللمؤمنين أيضا لانهم كانوا يجادلونهم وكان أمر الرسول يتناولهم من حيث انه يجب عليهم

أتباعه فى كل امر الا ماخصه الدليل والاصح ماوقع فى كثير أيضا ان المعنى ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ماهممت عليه والضمير للرسول (قوله وليس القصد فيه الى نفى الهم الخ) اذ من الظاهر ان الهم المذكور حاصل للطائفة المذكورة فيكون المعنى لهمت طائفة منهم هما مؤثرا (قوله اذ لا فضل أعظم من النبوة) يدل على ان النبوة أعظم من الرسالة والامر كذلك على ماصرح به العلماء ولا يلزم منه تفضيل النبى على الرسول لان كل رسول نبى عند الجمهور وههنا كلام فصلناه فى الحواشى التى كتبناها على شرح المواقف (قوله كل مايستحسنه الشرع ولا ينكره العقل) لاحاجة الى ماذكره آخرا فان كل مايستحسنه الشرع لابد ان لا ينكره العقل (قوله وان من فعل خيرا الخ) اعلم ان ظاهر قوله تعالى ومن يفعل ذلك الآية يدل على ان من فعل خير المحض وجه الله تعالى لا يدخل فيه رياء وسمعة كان له أجر عظيم وهذا لا ينفى ان يكون اذا كان الخير لله مع شوب من الرياء أن لا يكون له أجر مطلقا اذ الآية تنفى الاجر المقيد بالعظم ولا تنفى الاجر مطلقا ثم ان هذه المسئلة وهى ان يكون العمل لله ولغيره للعلماء فيها اختلاف فقال الامام حجة الاسلام اذا غلب جهة الله تعالى على الرياء كان الفاعل مثابا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من كبار العلماء الرياء بأى وجه كان محبط للعمل قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم العمومات الواردة فى فضل الجهاد عند انما هى لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذا الثناء على العلماء والمتقين فى وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك مخلصا (قوله ونخل بينه وبين مااختاره) هذا من كلمات المعتزلة ولذا أورده صاحب الكشاف فى كثير من المواضع لكن المناسب لمذهب أهل السنة ماذكره أولا (قوله كرره الله تعالى للتأكيد الخ) أى ذكر الله تعالى سابقا ان الله لا يغفر ان يشرك به فذكره ههنا تأكيدا أو لقصة طعمة وارتداده والظاهر هذا الوجه لان مجرد التأكيد لا يخصص ذكره بهذا المقام

بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه (وما يضلون الا أنفسهم) لانه ماأزلك عن الحق وعاد وباله عليهم (ومايضرونك من شئ) فان الله سبحانه وتعالى عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الأمر لا ميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر أى شيأ من الضرر (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الأمور أو من أمور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل أعظم من النبوة (لا خير فى كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى أو من تناجيهم فقوله (الا من أمر بصدقة أو معروف) على حذف مضاف أى الا نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسر به (أو اصلاح بين الناس) أو اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله سبحانه وتعالى لان الاعمال بالنيات وأن كل من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من أعراض الدنيا وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد أو عمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين مااختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا) جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها أو لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادئ الاحكام (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا أنى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جرأة وماتوهمت طرفة عين أنى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى

(قوله فان الشرك أعظم أنواع الضلالة الخ) لك ان تقول نفي الصانع تعالى كما هو رأى المعطلة أعظم من الشرك والظاهر أنه لا يحتاج الى ما ذكرنا للدعوى المذكورة اذ من البين ان الشرك ضلال عظيم (قوله وانما ذكر فى الآية الاولى الخ) أى ذكر سابقا ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وذكر فى تلك الآية الافتراء (قوله وذلك اما لتأنيث أسمائها) فيه ان لبعض أسماء الاصنام علامة التأنيث دون البعض الآخر عن ابن عباس قال صارت الاوثان التى

عند الله سبحانه وتعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله سبحانه وتعالى (ان يدعون من دونه الا اناثا) يعنى اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث أسمائها كما قال

وماذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة أو لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله سبحانه وتعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى وهو جمع أنثى كرباب وربى وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف ووثنا بالتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأسد وأثنا وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذى أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه أى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى أولا على أن الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى أفظع الضلال لثلاثة أوجه الاول أنه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث أنه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولأضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الامانى الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يشقونها لتحريم ما أحل الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه وصورته وصفته ويندرج فيه ماقيل من فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة

كانت بعد قوم نوح فى العرب اما ود فكانت بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف ولهذا لم يذكر صاحب الكشاف هذا الوجه الا ان يقال المراد من الداعين الذين يعبدون اللات ومناة والعزى ثم ان تأنيث العزى ومناة ظاهر واما تأنيث اللات فلانها كما قاله المصنف فى تفسير سورة النجم فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها (قوله وماذكر فان يسمن فانثى الخ) هذا لغز والمعنى ماذكر اذا سمن وكبر صار أنثى ويكون شديد اللزام واللصوق بشئ وليس له أضراس (قوله كرباب) وهذا التشبيه ليس بجيد فانه يقتضى أن يكون الرباب بكسر الراء كالاناث لكن فى الصحاح أنه بضم الراء (قوله ووثنا) بالتخفيف وتثقيل الثاء وسكونها كما ان الاسد يجمع على أسد بضم السين وعلى أسد بسكونها (قوله وأثنا بهما الخ) قرئ أثنا بقلب الواو همزة مع تخفيف الثاء المثلثة وسكونها (قوله واشارة الى تحريم كل ما أحل) أى ليس المقصود من بتك آذان الانعام مجرد تحريمها بل تحريمها وتحريم غيرها (قوله ونقص كل ماخلق كاملا بالفعل أو بالقوة) المراد من الكامل بالقوة مايكون مستعدا وقابلا للكمال لكن لم يصل اليه بعد ونقصه عبارة عن ازالة قابليته كالخصاء للعبد فان العبد الصبي صالح لان يصير رجلا كامل القوة من غير نقص يعترض من الخصاء فمن فعل به الخصاء فقد أزال استعداده وكتغيير فطرة الصبي وتحبيب الكفر اليه فانه نقص يعرض لمن يستعد للكمال وهو الاسلام

(قوله والجل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا) يعني يحتمل قوله تعالى أن يكون حكاية عن قول الشيطان بان تكلم بالجل المذكورة ويحتمل أن يكون حكاية عن فعل الشيطان بجعلها تحت القول على المجاز والعلامة ان من يريد يفعل شيأ قرر مع نفسه وخاطبها فالشيطان اذا أراد الافعال قال مع نفسه لاضلنهم ثم فعل الاضلال ولهذا قال المحققون منهم الشريف العلامة تبعا لابن سينا ان المتفكر يناجي نفسه وصرحوا بان المعاني لاتتصور الامع تخيل الالفاظ بازائها مقدمة وانما خص ماذكر

الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بايثاره مايدعو اليه على ما أمر الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار (يعدهم) مالا ينجزه (ويمنيهم) مالا ينالون (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل أيضا فيما قبله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا) أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن أصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) أي ليس ماوعد الله من الثواب ينال بامانيكم أيها المسلمون ولا باماني أهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل روى أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوأ يجز به) عاجلا أو آجلا لما روى انها لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أما تحزن اما تمرض امايصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) بعضها أو شيأ منها فان كل أحد لايتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر أو أنثى) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثى

بالجل الاربع التي هي لاضلنهم الخ ولم يدخل لاتخذن من عبادك في الحكم لان لاتخذن مجمل تفصيله الجل الاربع (قوله عنها) حال والمعنى لايجدون محيصا بالبعد عنها (قوله فان جعل مصدرا فلا يعمل فيما قبله) عدم عمل المصدر فيما قبله هو المشهور بين النحاة لكن الرضي قال وأنا لا أرى منعا من تقدم معموله عليه اذا كان ظرفا أو شبهه قال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة (قوله وحقا على انه حال من المصدر) على تقدير ماذكر يكون المصدر وهو وعد الله مفعولا مطلقا وعامله يدخلهم بمعنى يعدهم الدخول فكيف يكون حالا والحال لايكون الاعن الفاعل والمفعول به ولم يذكره صاحب الكشاف وتوجيه كلامه أن يجعل حالا من الادخال الذي هو المصدر المقدر وهو مفعول به فتأمل (قوله جملة مؤكدة) بسبب انها أثبتت صدقه ونفت أصدقية غيره بل أثبتت أصدقيته تعالى كما حققنا قبل (قوله فمن ينجو مع هذا يارسول الله الخ) حمل الصديق رضي الله عنه قوله تعالى على ان من عمل سوأ يجز به يوم القيامة ويعذب به فلذا قال فمن ينجو من عذاب الله يوم القيامة فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ليس المراد من الجزاء ما زعمت بل الجزاء أعم من المصائب الدنيوية والاخروية فقول النبي صلى الله عليه وسلم في جواب الصديق يدل على ان الجزاء أعم من أن يكون عاجلا أو آجلا في الآخرة (قوله في موضع الحال من المستكن في يعمل الخ) فالمعنى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى

(قوله ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب) أى لاجل أن عدم نقص الثواب دال على عدم زيادة العقاب اقتصر على ذكره عقيب الثواب ولم يلتفت الى عدم زيادة العقاب فى الآية السابقة لان الاول دال على الثانى (قوله تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية) فيه ان العلم بانه لارب سوى الله تعالى وهو التوحيد وعمل الصالحات وترك السيئات واتباع الملة الحنيفية أمر مشترك بين المؤمنين الموقنين وو راءه مراتب أخرى فى معرفة الله بسبب القابلية والارادة الالهية فكيف يقال ان التوحيد منتهى ماتبلغه القوة البشرية نعم لو كان المراد من اسلام الوجه هو الفناء فى التوحيد بان يقطع النظر عن غير الله لكان لما قاله

ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى أن لايزاد عقاب العاصى لان المجازى أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر يدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيآت (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو من الملة أو ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترافقان فى الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب فى اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن اذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك أمرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم (وما يتلى

وجه (قوله تشبه بكرامة الخليل عند خليله) يفهم أن اطلاق خليل الله على ابراهيم ليس حقيقة لغوية بل بالمجاز بالوجه المذكور ولذا صرح صاحب الكشاف بانه مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله ولك أن تقول قوله من الخلة يفيدان من معانى الخليل من يوافق الآخر فى الخصائل والاخلاق وابراهيم عليه السلام تخلق باخلاق الله تعالى بل هذا شأن الاكابر كما ورد تخلقوا باخلاق الله فلم لايجوز أن يكون الخليل المطلق على ابراهيم عليه السلام بهذا المعنى حتى يكون حقيقة قال العلامة النيسابورى قيل الخليل هو الذى يوافقك فى أخلاقك وقال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابراهيم مبلغا لم يبلغه من تقدم فلا جرم استحق اسم الخليل والجواب أن الخليل حقيقته المحبوب وهو من تميل النفس اليه لكمال ادراك فيه ومحال أن يكون الله تعالى محبا لشئ حقيقة بالمعنى المذكور فلابد من التأويل والامور المذكورة بيان مأخذ هذه الكلمة أى الخليل فتأمل (قوله والجملة استئناف جيء بها للترغيب الخ) أى الواو فى واتخذ ليست للعطف اذ ليس مايحسن عطف هذه الجملة عليه اما عطفه على اتبع فلفساد المعنى لان اتبع عطف على أسلم فهو صلة من وأما عطفه على من أحسن دينا فلعدم الجهة الجامعة التى تصحح العطف فتكون جملة مستقلة مستأنفة برأسها كقوله ويعلمكم الله بعد قوله واتقوا الله ونحو ونقر فى الارحام مانشاء بالرفع بعد قوله لنبين لكم (قوله الازمة) القحط

عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله تعالى أوضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى مافى القرآن من قوله تعالى يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره أغنانى زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم مايتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولايجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله أى يتلى عليكم فى شأنهن والافبدل من فيهن أوصلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) أى فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) فى أن تنكحوهن أوعن أن تنكحوهن فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لايورثون النساء (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) أيضا عطف عليه أى ويفتيكم أومايتلى فى أن تقوموا وهذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز أن ينصب وأن تقوموا باضمار فعل أى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم أوللقوام بالنصفة فى شأنهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعد لمن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (أواعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا) أن يتصالحا بان تحط له بعض المهر أوالقسم أوتهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف أوحال منه أو على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما أوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة أومن

الخصومة

(قوله لاختلاله لفظا ومعنى) اما لفظا فلانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض واما معنى فلان الافتاء فى حكم النساء وميراثهن فلو عطف مايتلى على الضمير يكون المعنى فى حكم مايتلى عليكم وهذا فاسد (قوله والافبدل من فيهن) أى بدل البعض لكنه لايناسب ماسبق لان ماسبق فى حكم ميراث النساء لاخصوص اليتامى منهن والجواب أن يقال لما ورث يتامى النساء مع قوة ضعفهن عن الجهاد المانع عن الميراث بزعم الجاهلية فغيرها من النساء أولى بالميراث فتأمل (قوله أوضمير المستكن) فيه انه يصير المعنى حينئذ قل الله يفتيكم مايتلى عليكم فى الكتاب فلزم خلو الجملة الخبرية عن ضمير المبتدأ وهو مستلزم لعدم الربط الاأن يتكلف فيقدر شئ بان يقال مايتلى عليكم فى الكتاب النازل (١٢٠) من عنده ولهذا التكلف لم يذكره صاحب الكشاف بل اقتصر على ان مايتلى عليكم على لفظ الله (قوله كما يقول كلمتك اليوم الخ) هذا يحتمل غير المعنى المقصود اذ يجوز أن يكون المعنى كلمتك اليوم فى حال زيد أى على حال فالاولى أن يمثل بمثل ماأورد فى الحديث ان امرأة عذبت فى هرة أى بسببها (قوله أوعن أن تنكحوهن) يعنى يمكن أن لايقدر عن فيكون المعنى ترغبون فى نكاحهن أو يقدر عن والمعنى النفرة عن نكاحهن وماذكر مشير الى كل من المعنيين (قوله والعرب ما كانوا يورثونهم) لانهم كانوا يورثون من يشهد القتال ويحوز الغنيمة كما مر والمستضعفون من الولدان كذلك (قوله وان جعلته بدلا فالوجه نصبها الخ) أى لايصح عطفها على يتامى النساء على تقدير ان يكون بدلا من فيهن اذ يلزم من العطف ان يكون ان تقوموا لليتامى بدلا أيضا من فيهن ولكن لو كان بدلا لكان بدل غلط ولزم ترك بيان المقصود لان المقصود بيان ميراث النساء والقيام لليتامى بالقسط شئ آخر (قوله من أصلح بين المتنازعين الخ) لايخفى أن معنى اصلح بين المتنازعين أوقع الصلح بينهما فيلزم ان يكون لفظ الصلح بعده تكرارا الا يقال ان أصلح بمعنى أوقع لان قوله من أصلح بين المتنازعين يأباه (قوله أو على المصدر) فيكون الصلح بمعنى الاصلاح (قوله والمفعول بينهما) أى بينهما هو المفعول أوهو محذوف والمعنى ان يصلحا أحدهما (قوله والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة أومن الخصومة) فيه انه لاخير فى الفرقة وسوء العشرة ولا فى الخصومة المذكورة ويمكن ان يقال اطلاق الخير بمعنى التفضل بناء على التقدير أى لو كانت الخصومة أمرا

محمودا لكان أصلح خيرا وأحمد منه قال الرضى اذا قلت أنت أعلم من الجماد فكأنك قلت ان أمكن ان يكون للجماد علم فأنت أعلم منه وههنا كلام وهو انه لما كان الصلح خيرا والتنازع شرا فلم لم يقل أوّلا فليصلحا بينهما صلحا والجواب انه لمزيد الاهتمام فانه أثبت أوّلا ان لاضرر فى الصلح ثم أثبت انه هو الخير لا غيره (قوله ولذلك اغتفر عدم مجانستهما) أى لما كان قوله تعالى والصلح خير وقوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح جملتين محكمتين معترضتين لم يعتبر فيهما التجانس وعلم منه ان احداهما

الخصومة ولايجوز أن يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله (وأحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم مجانسهما والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغى اذا كرهها أو أحب غيرها (وان تحسنوا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقص الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه أقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) لان العدل أن لا يقع ميل ألبتة وهو متعذر فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك (ولو حرصتم) أى على تحرى ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالا يدرك كله لا يترك كله (فتذروها كالمعلقة) التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم (وان يتفرقا) وقرئ وان يتفارقا أى وان يفارق كل منهما صاحبه (يغن الله كلا) منهما عن الآخر ببدل أو سلوة (من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى أفعاله وأحكامه (ولله مافى السموات ومافى الارض) تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو باوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (أن اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز أن تكون أن مفسرة لان التوصية فى معنى القول (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض) على ارادة القول أى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) فى ذاته حمد أولم يحمد (ولله مافى السموات ومافى الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما ومابينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم أيها

غير معطوفة على الأخرى بل الواو فى كل منهما اعتراضية اذ لو كانت الثانية معطوفة على الاولى لوجب التجانس والتناسب (قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا الخ) لك ان تقول الصلح فرع النزاع لكن المذكور فى الآية خوفه لا نفسه فالمراد من الصلح المذكور ههنا رفع مخافة النزاع (قوله وهو متعذر الخ) اذا كان العدل متعذرا أى محالا كما ذكره صاحب الكشاف فكيف عدل الرسول صلى الله عليه وسلم وان أراد انه متعذر من غيره فلا يربط به قوله ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ ويمكن ان يقال المراد من قوله فيعدل انه يعدل فى القسم والبيتوتة لهن (قوله ببدل أو سلوة) بان يحصل للزوج زوجة أخرى وللزوجة زوج آخر وسلوة أى تسل من غير ماذكر وليس المراد

من الغنى سعة الرزق حتى يرد انه يفهم من الكلام المذكور انه لو لم يتفرقا لم يوسع الرزق عليهم (قوله لتأكيد الامر بالاخلاص) فان قيل يفهم انه ذكر سابقا الامر بالاخلاص حتى تكون هذه الآية مؤكدة له قلنا قد سبق بآيات فى قوله ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله فانه يتضمن الامر بالاخلاص (قوله ويجوز ان تكون مفسرة الخ) وقد مر منا البحث فى مثله (قوله تدل بحاجتها على غناه) لانه لما كان كل واحد من المخلوقات محتاجا اليه وجب غناه تعالى اذ لو كان محتاجا أيضا لزم الدور (قوله راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته) ومابينهما مقرر لذلك فان قلت تقرير بعض يعلن مرجوه له تعالى ويلتبس

ماقى السموات ومافى الارض ظاهر واما البعض الآخر فلا يظهر تقريره له وهو قوله تعالى ولقد وصينا الخ فلما يفهم من اختصاص
التقوى به تعالى انه الرزاق لاغيره اذ لو كان شخص آخر رزاقا لوجب رعايته وتقواه فلما كان هو الرزاق لجميع الخلائق لاغيره كان
كافيا فى الاعتماد عليه فى الرزق (قوله فليطلبهما) يفهم من كلامه انه اذا طلب بالعبادة الامر الأخروى والدنيوى معا يفوز بهما
كالمجاهد يجاهد للثواب والغنيمة وفيه اختلاف بين العلماء فقال الامام حجة الاسلام اذا أشرك فى العبادة غير وجه الله تعالى
فالاعتبار الى غلبة الباعث فان كان وجه الله أغلب كان مثابا والافلا وقال ابن عبد السلام انه لاأجر فيما فيه شرك وقصد غير وجه الله
بوجه من الوجوه سواء تساوى القصدان أو اختلفوا والآيات والأحاديث دالة على هذه قال أبو هريرة كان النبى صلى الله عليه وسلم
يقول لمن أشرك فى عمله خذ أجرك ممن عملت له وروى عبادة ان الله عز وجل يقول فى الكلمات القدسية

أنا أغنى الأغنياء عن
الشرك من عمل لى عملا
فاشرك معى غيرى ودعت
نصيبى لشريكى وفى هذا
المعنى أحاديث أخر وبالجملة
المختار هو التقرير الثانى اذ
لااختلاف فيه بين العلماء
(قوله عارفا بالاغراض الخ)
الأولى ان يقال معنى ثواب
الدنيا أعم من ان يكون
أراد به بدعائه أو بفعل
لطلب ذلك الثواب وحينئذ
يقول معنى سميعا سميعا
للدعوات ومعنى بصيرا بصيرا
بأفعال العباد الدالة على
مطالبهم فيجزيهم على
حسب أغراضهم ومطالبهم
وهو علة الجواب وهو فلا
تتبعوا الخ (قوله لااليه والا
لوحد) أى لو كان الضمير
راجعا الى المذكور وهو
أحد الجنسين لوجب توحد
الضمير لان المرجع واحد
وهو أحد الجنسين ولايخفى ان ماذكر وجه صحة تثنية الضمير واماوجه اذ
العدول عن الظاهر الذى هو التوحيد فهو ان فى الافراد وهم أن الحكم متعلق أحدهما دون الآخر (قوله ويشهد عليه) لان ضمير
الجمع لايرجع الى الواحد أصلا وقد يرجع الى المثنى بالتوسع كما ان القلوب وهو صيغة الجمع مستعمل بمعنى التثنية فى قد صغت قلوبكما
(قوله لان تعدلوا عن الحق الخ) صلة تعدلوا فيكون تعدلوا من العدول لامن العدل وهذه على تقدير ان يكون ان تعدلوا علة المنهى
الذى هو الاتباع فى هذه العبارة (قوله تعالى وان تلووا أو تعرضوا) لم يوضح المصنف حق التوضيح ولاصاحب الكشاف ولا
النيسابورى الفرق بين اللى والاعراض والظاهر ان المراد من اللى ههنا أداء الشهادة على غير وجهها الذى تستحق الشهادة ان
تكون عليه ومن الاعراض ان لايتفوه بها أصلا بوجه

الناس) يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين
مكانكم أو خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ
القدرة لايعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب
لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم لما روى أنه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
(من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب
أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة أو ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه كلاشئ أو فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية (وكان
الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه
الله سبحانه وتعالى وهو خبر ثان أو حال (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم بان تقروا
عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره (أو الوالدين والاقربين) ولو على
والديكم وأقاربكم (ان يكن) أى المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له (غنيا أو فقيرا)
فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة أو لاتجوروا فيها ميلا أو ترحما (فالله أولى بهما) بالغنى والفقير وبالنظر
لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير فى
بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه أنه قرئ فالله
أولى بهم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل (وان
تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل قرأه نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وعاصم
والكسائى باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون
خبيرا) فيجازيكم عليه (ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين أو للمنافقين أو لمؤمنى أهل الكتاب

اذروى أن ابن سلام وأصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل) اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه أوآمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أوآمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى أنزل بفتح النون والهمزة والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى عليه الصلاة والسلام (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم أوقوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم سبيلا) اذيستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لأنهم لوأخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما) يدل على أن الآية فى المنافقين وهم قدآمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذرهم تهكما بهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فى محل النصب أوالرفع على الذم بمعنى أريد الذين أوهم الذين (أيبتغون عندهم العزة) أيتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز الامن أعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولايؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله (أن اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة والمعنى أنه اذا سمعتم (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها

(قوله أثبتوا على الايمان الخ) فاثبتوا على تقدير ان يكون الخطاب للمسلمين وقوله أوآمنوا به بقلوبكم على تقدير ان يكون الخطاب للمنافقين وقوله آمنوا ايمانا عاما على تقدير ان يكون الخطاب لمؤمنى أهل الكتاب (قوله ومن يكفر بشئ من ذلك) يعنى لايتوهم من ظاهر هذه العبارة ان الضلال البعيد هو الكفر بمجموع ماذكر بل الضلال البعيد هو الكفر بواحد منها فالظاهر ان يقال الواو ههنا بمعنى أو بدلائل دالة على ان الكفر بكل واحد من الأمور المذكورة موجب للضلال البعيد واما ماقال العلامة التفتازانى من انه يحمل الواو بمعناها الحقيقى والحكم بالامور المتعاطفة قد يرجع الى كل واحد منها وقد يرجع الى المجموع والتعويل على القرائن ففيه انه اذا كان الحكم راجعا الى كل واحد كان خلاف الظاهر جدا من قبيل ان يقول القائل جاءنى زيد وعمرو وبكر ويقصد أن الجائى أحدهم (قوله بحيث لايكاد يعود الى طريقه) هذا لا يصح الا اذا كان الآية فى جمع مخصوص لان بعض المشركين الذين يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قد يسلم بعضهم والظاهر انه لاحاجة الى هذه المبالغة بل المراد من الضلال البعيد مايعسر العود منه الى سواء الطريق (قوله اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر) هذا لايناسب ان يكون تفسيرا لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ولا دليله الذى ذكره وهو قوله فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وعلى هذا فالمناسب ان يستحيل منهم عادة ان يتوبوا عن الكفر ويؤيده ماسيجئ فى قوله من ان قوله تعالى بشر المنافقين الآية يدل على ان الآية فى المنافقين (قوله يدل على ان الآية فى المنافقين) اذلم يعلم صريحا من الآية جزاء من تكرر منه الكفر مع ان المناسب التصريح به للتهديد والتخويف لعظم الجرم فيناسب ان يكون بشر المنافقين الآية تصريحا بجزائهم وهذا يدل على ان الآية فى المنافقين اذلو لم يكن لم يحصل ماذكرنا من المقصود (قوله ولايؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم) دفع سؤال وهو انه قد تكون العزة أى الغلبة لغير المذكورين بل تكون للكفار فقال ان عزة الكفار ليست بمعتد بها بالنسبة الى عزة المؤمنين (قوله بما اذا كان من يجالسه) متعلق بقوله لتقييد النهى (قوله غير مرجو) هذا التقييد غير مفهوم من الآية بل المفهوم منها النهى عن مجالسة الهازئ لكافر بالآية فالظاهر ابقاء الآية على ظاهرها كما أبقى المصنف على اطلاقه قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا الآية ولم يقيد بمن لم يكن مرجو الاسلام ولبس

هذا موجودا فى الكشاف ولا النيسابورى (قوله وقرئ بالفتح على البناء) فيه ان ماقالوه هوان يقل اذا أضيف الى ماصدره ما أولا أوان يجوز بناؤه على الفتح لكن مثلهم ليس كذلك فالاولى أن يقال انه منصوب بانه خبر تكونون المقدر (قوله حينئذ أوفى الدنيا) أى فى الآخرة أوفى الدنيا (قوله واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم) لان مالكية السيد العبد

(انكم اذا مثلهم) فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أوالكفر ان رضيتم بذلك أولان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر أوللاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين والكافرين أوذم مرفوع أومنصوب أومبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها سجال (قالوا ألم نستحوذ عليكم) أى قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بان خذلناهم بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما أصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على أمر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ أوفى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفى أن يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدة (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) سبق الكلام فيه أول سورة البقرة (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يراؤن الناس) ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أوللمقابلة فان المرائى يرى من برائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولايذكرون الله الاقليلا) اذ المرائى لايفعل الابحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يراؤن كقوله ولايذكرون أى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أومنصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهى جعل الشئ مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أودينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصاصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى أخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة (لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء) لامنسوبين الى المؤمنين ولاالى الكافرين أولاصائرين الى أحد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلاتتشبهوا بهم

حجة له عليه (قوله وهو ضعيف الخ) فان قيل عدم البينونة بمجرد الارتداد يثبت الحجة للكافر على المسلم فيماذكر قلنا ممنوع اذ ليس له ان يمنع نكاح المسلم فى حال الارتداد بل المنع انما هو من الشرع وان قيل اذا بقيت الزوجية الى حين يتوقف الوطء و يمنع الى عود الزوج الى الاسلام فلم يحصل التملك و يمنع التصرف الى الاسلام قلنا فى صورة الزوجية أمد معين يمكن انتظاره وهو انقضاء العدة واما فى صورة شراء العبد المسلم فلم يكن أمد يوقف ويمنع التصرف الى حصوله وأيضا الزوجية حاصلة قبل الكفر بخلاف تملك المبيع فانه فى حين الكفر (قوله ليخالوهم مؤمنين) أى فيخيل المنافقون المؤمنين أى يوقعون فى خيال المؤمنين انهم مؤمنون فعلى هذا كان يراؤن بمعنى التفعيل و يحتمل أن يكون للمقابلة بان يرى كل واحد صاحبه شيأ على مافصله المصنف

ولك أن تقول معنى يراؤن الناس فيلزم اراءة الناس أعمالهم للمنافقين لااراءة الناس اياهم اتريدون استحسان أعمالهم الاأن يقال ان الاستحسان أيضا عمل (قوله وهو أقل أحواله) أى كون المرائى لايفعل الابحضرة مرائيه هو أقل الاحوال (قوله فانهم لايذكرون فيها الاالتكبير والتسليم) حتى يراؤن الناس زمان ابتداء صلاتهم (قوله والمعنى مرددين بين الكفر والايمان) لانهم فى الحقيقة والباطن كافرون وفى الظاهر مؤمنون فمن نظر الى ظاهرهم يحكم بايمانهم ثم اذا وجد فيهم أصل الكفر تردد

(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم أخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهى لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (الا الذين تابوا) عن النفاق (وأصلحوا) ما أفسدوا من اسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به أو تمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم الا وجهه سبحانه وتعالى (فأولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيساهمونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضررا أو يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا أزاله بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به (وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير و يعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا) طاعة وبرا (أو تخفوه) أو تفعلوه سرا (أو تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام

فى أمرهم (قوله أوسلطان يسلط عليكم عقابه) كما سلط بختنصر على بنى اسرائيل أى سلطانا جائرا يسلط الله عليكم عقاب ذلك السلطان ومحصول الكلام انه يمكن أن يكون السلطان عبارة عن الحجة وأن يكون عبارة عن الشخص له السلطنة (قوله وانما كان كذلك الخ) لنا فيه كلام علقناه على قصة المنافقين فى أوائل تفسير سورة البقرة (قوله والتحريك أوجه) قال فى الكشاف الوجه التحريك وقال العلامة التفتازانى لان أفعالا يكون جمع فعل بالتحريك كجمل وأجمال لا بالسكون فانه شاذ ففرق ما بين عبارة الكشاف والمصنف (قوله لان الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما الخ) فيه نظر فان الشكر هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما فالشكر لا يكون الا بعد معرفة الشاكر المنعم فما معنى قوله فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به والجواب ان مراده ان الشاكر يعرف أولا المنعم معرفة غير حقيقية فيشكره ثم يعرفه معرفة كاملة فيؤمن به ايمانا كاملا وتوضيحه ان المراد بالايمان الايمان المعتبر الذى هو اعتقاد اتصاف المنعم بصفاته الكمالية و يمكن أن يقال وجه تقديم الشكر ظهوره أولا قبل ظهور الايمان فان الايمان أمر قلبى خفى لا يظهر الا بافعال الجوارح الدالة على تعظيم المنعم المتعالى وهو الشكر (قوله ان رجلا ضاف قوما) يقال ضفت الرجل ضيافة اذا نزلت عليه ضيفا (قوله فنزلت) رخصة فى ان يشكر كذا ذكره العلامة النيسابورى (قوله وقرئ من ظلم على البناء للفاعل الخ) قال صاحب الكشاف يجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء من القول الا الظالم على لغة من يقول ما جاءنى زيد الا عمرو والمعنى ما جاءنى الا عمرو وقال العلامة التفتازانى لغة بنى تميم يجوزون فى غير الجنس البدل اما بضرب من التأويل كالتعاون من الانيس واما على جعل المبدل منه بمنزلة غير المذكور حتى يكون الاستثناء مفرغا والنفى عاما الا انه صرح بنفى بعض أفراد العام لزيادة الاهتمام بالنفى عنه أو لكونه مظنة لتوهم الاثبات فيقولون ما جاءنى زيد الا عمرو بمعنى ما جاءنى الا عمرو وكذا ههنا المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم وذكر الله لزيادة تحقيق نفى هذه القضية عنه فان قيل ما بعد الا حينئذ لا يكون فاعلا وهو ظاهر فيكون بدل غلط قلنا انما يكون بدل غلط لو لم يكن هذا الخاص فى موقع العام ولم يكن المعنى ما جاءنى أحد الا عمرو فان قيل فيكون لفظ الله مجازا عن أحد ولا سبيل الى ذلك قلنا لا بل يكون لا يحب الله مؤولا بلا يحب أحد فيه وواقعا موقعه من غير تجوز فى لفظ الله انتهى كلامه وفيه نظر لانه اذا كان لا يحب الله بمعنى لا يحب أحد فلا يخفى ان لا يحب مشترك بين العبارتين ومستعمل فى معناه الحقيقى فلا مجاز فيه أصلا فيكون المجاز فى

فانتم أولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أواجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أى يقينا محققا (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) أضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى (أولئك سوف نؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى أحبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا الينا بأعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام أكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم أسنده اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وأن ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم (فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا أى أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من قبل السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز

لفظ الله فيلزم المحذور الذى فرعنه والجواب انا لا نسلم ان لا يحب مستعمل فى هذا التركيب فى معنى بل لا يقصد به شئ فكان لا يحب الله مفرد كزيد ولا يحب جزء منه فكما ان جزء زيد لا يقصد به معنى فكذلك لا يحب الا ان الفرق ان جزء زيد ليس له معنى ولا يحب له معنى لكن لا يقصد به معنى عدم الحب وان كان مرادا فى هذا التركيب لكن لا من لفظ لا يحب بل يقصد بالمجموع المجموع من غير التجوز فى واحد من أجزاء اللفظ فيكون هذا من المجاز المركب الذى كل جزء منه لا حقيقة ولا مجاز اذ هما فرع لاستعمال اللفظ ويمكن أن كل جزء لم يستعمل ولم يقصد به معنى فتأمل (قوله فانتم أولى بذلك) أى أنتم أولى بالعفو لضعف قدرتكم بل لعدم قدرتكم على ايصال الشر حقيقة اذ هو انما الله تعالى وأيضا الولم يعف انتقم من الغير يحتمل ان يصير المنتقم منه مصرا على الضرب بل القطع والقتل (قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا الخ) لك ان تقول بين هذين الكلامين تناف فكيف يجمع بينهما بالواو بيان التنافى انه فسر التفريق بين الله ورسله بأن يؤمن بالله ويكفر برسله وهذا دال على الكفر بجميع الرسل وقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض صريح فى الايمان ببعضها والكفر ببعض آخر والجواب ان يقال ان التفريق بين الله ورسله يمكن بالتفريق بين الله وكل أحد من رسله وان يكون بالتفريق بينه وبين بعضهم فانه مستلزم للكفر بمجموعهم وهو التفريق بين الله وبين الرسل وحينئذ يكون قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تفسيرا للجملة المتقدمة عليه وهكذا نقول ان قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بيان لقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله فان التفريق هو الكفر بالله ورسله ولذا قال المصنف الكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل حملها

(قوله هم الكاملون فى الكفر الخ) هذا يستفاد من ضمير الفصل وتعريف المشتق اذ مفهومه انهم كافرون لا غير ولما لم يكن الواقع كذلك علم ان المراد الكمال (قوله وانما دخل بين على أحد) قد سبق تزييف هذا الكلام وتحقيق الحق فيه فليرجع اليه (قوله على تلوين الخطاب) أى على الالتفات من التكلم الى الغيبة (قوله جواب شرط مقدر الخ) لا يخفى ان لا ربط بين الشرط والجزاء المذكورين بل هو مثل قولك ان تكرمنى فقد أكرمتك أمس ولا بد من تقدير شئ آخر والاولى ان يقال التقدير وهذا ليس بعجب منهم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فتكون الفاء للتعليل قال الرضى قد يكون فاء السببية بمعنى لام السببية اذا كان ما بعده سببا لما قبله كقوله أخرج منها فانك رجيم وتقول أكرم زيدا فانه فاضل (قوله لما يستحيل فى تلك الحالة التى كانوا عليها) أى كونهم على ذلك

النحو من التركيب البدني الضعيف الذي لا يطيق الرؤية أو كونهم في الدنيا ورؤيته تعالى لا تكون الا في الآخرة (قوله ويجوز الى قوله فبظلم) لو كان كذلك لكان الظاهر ان يقال وبظلم حتى يكون الكلام فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم وقتلهم الخ وبظلم حرمنا عليهم الخ الا ان يقال فبظلم بدل مما سبق (قوله فيكون من صلة وقولهم الخ) فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع عليها بكفرهم لان طبع الله على هذا التقدير من متعلقات قولهم قلوبنا غلف الذي هو معطوف على المجرور والذي هو نقضهم فلا يعمل في الجار الذي هو الباء في فبما نقضهم والا لزم اعمال ما يتعلق

بالمجرور في الجار وهو غير صحيح (قوله تعالى

حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بان يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مطل عليهم (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) على لسان داود عليه الصلاة والسلام ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين طلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه الصلاة والسلام وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن أو بما جاء في كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام أو ايمانا قليلا اذ لا عبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى عليه الصلاة والسلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من أسباب الطبع أو على قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني نسبتها الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) أي بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وأن يكون استئنافا من الله سبحانه وتعالى بمدحه أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله سبحانه

بل طبع الله الخ) لك ان تقول ما الفرق بين كون القلوب في الاكنة كما هو التفسير الثاني وبين كونها مطبوعا عليها حتى يضرب عن الاول الى الثاني قلنا غرضهم من قولهم قلوبنا في أكنة ان قلوبهم هكذا خلقت فلا جرم منهم ومعنى الاضراب انه ليس الأمر كذلك بل الطبع عليها بسبب فعلهم الذي هو الكفر فتأمل (قوله ويجوز ان يعطف مجموع هذا الخ) فيكون المعنى فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين الكفر بعيسى وبهت مريم وقولهم انا قتلنا المسيح وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم لان الله تعالى جعل أخذ الربا مقيدا بكونه منهيا عنه سببا لتحريم الطيبات فيدل على ان المنهي عنه سبب لما ذكر ولو لم يكن النهي دالا على الحرمة لم يصلح ان يكون سببا لما ذكر (قوله أو وضعا للذكر الحسن الخ) أي ان اليهود وصفوا عيسى بما تنزه شأنه عنه فلم يذكر الله تعالى ما ذكروه مما يوجب الذم وذكره بما يوجب المدح (قوله وهو معطوف على بكفرهم) ظاهر هذه العبارة انه رجح العطف على بكفرهم والكشاف سوى بين العطف عليه وبين العطف على قوله فبما نقضهم لانه قال الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ميثاقهم ويجوز ان يعطف على ما يليه وهو قوله تعالى وبكفرهم فانظر ما بين عبارة الكشاف والمصنف

(قوله لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم) أي لم يذمهم الله تعالى لمجرد قولهم المذكور اذ هو مطابق ظنهم أو ليس قصدهم الكذب حتى يذموا بل ذمهم باعتبار ما يستفاد من كلامهم من التبجح والسرور بقتله ولك ان تقول يمكن ان يكون ذمهم بانهم جزموا بقتل عيسى مع وجود ما يكذب به فتأمل (قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) ههنا شكالان أحدهما ان الظاهر من قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح الخ ان جميع اليهود على اعتقادهم انهم قتلوا عيسى وهذا القول أعني ان الذين اختلفوا فيه الخ على ما فسره يدل على ان بعضهم في التردد والثاني ان الذين اختلفوا فيه بعضهم في التردد وبعضهم غير متردد بل جازم بقتله فكيف يصح اطلاق الحكم بان الذين اختلفوا فيه لفي شك والجواب ان المراد بالشك ههنا ما يقابل العلم وكلهم في الشك في قتله بهذا المعنى اذ ليس لهم علم به واما تردد بعضهم في قتله فمعناه انهم اعتقدوا اعتقادا راجحا في قتله فاختلج في قلوبهم الشبهة المذكورة (قوله فيتصل الاستثناء الخ) لا يخفى ان اتباع الظن الذي هو المستثنى ليس داخلا في العلم باي معنى كان نعم لو كان المعنى مالهم من اتباع علم الا اتباع الظن لكان كما قال ولذا اكتفى صاحب الكشاف بكونه مستثنى منقطعا (قوله هذا كان توعيدا لهم الخ) أي هذا الكلام كالوعيد لاهل الكتاب لانه فهم منه انهم يؤمنون به قبيل موتهم ولا ينفع الايمان فامره حق فلو لم يؤمنوا به قبل ذلك الوقت لكانوا كافرين مستحقين للعذاب او فان قيل ما فائدة قبل موته مع ان من المعلوم ان الايمان لا يكون الا في الحياة قبل الموت قلنا لو لم يكن هذا القيد لتوهم انه يمكن ان يكون الايمان بعد البعث (قوله تعالى وأكلهم أموال الناس بالباطل) اما ان يحمل هذا على غير الربا بقرينة المقابلة أو يحمل من

وتعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله سبحانه وتعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم. وشبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أو في الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على أن ثم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله سبحانه وتعالى يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لفي شك منه) لفي تردد والشك كما يطلق على مالا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فيتصل الاستثناء (وما قتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر

كذاك تخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده (حكيما) فيما دبره لعيسى عليه الصلاة والسلام (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أي وما من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين أن تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك أنه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان أحدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام والمعنى أنه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا روي أنه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) أي فبأي ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون في العلم منهم) كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي منهم

عطف العام على الخاص كما فى قولك ذكره الامام وجميع المحققين (قوله ان جعل يؤمنون خبرا لاولئك) يلزم منه انه لولم يجعل خبرا لاولئك لم يكن المقيمين الصلاة منصوبا على المدح ولم يظهر وجهه لم لا يجوز ان يكون جملة معترضة قال العلامة النيسابورى طعن الكسائى فى القول بالنصب على المدح بانه يكون بعد تمام الكلام وههنا ليس كذلك لان الخبر أولئك والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على أنه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره وعبارة الكشاف هكذا وارتفع الراسخون على الابتداء و يؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح ولا يرد على هذه العبارة ماورد على عبارة المصنف ثم قوله ان جعل الخ يدل على أن لنصبه احتمالا آخر مثل أن يكون حالا عن ضمير المؤمنون (قوله أو الضمير فى يؤمنون) يلزم منه أن يكون المعنى والمؤمنون هم والمقيمون الصلاة ولا يخفى ما فيه ولذا لم يذكره فى الكشاف (قوله لاحد الوجوه

المذكورة) وهو العطف على الراسخين أو على

أو من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) خبر المبتدا (والمقيمين الصلوة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لأولئك أو عطف على ما أنزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون أو على الضمير فى يؤمنون أو على أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم (والمؤتون الزكوة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان أمره فى الوحى كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وعيسى وأيوب و يونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم أول أولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشرف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه أوحينا اليك كارسلنا أو فسره (قد قصصناهم عليك من قبل) أى من قبل هذه السورة أو اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال و يكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فينبهنا و يعلمنا مالم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر و بعد ظرف لها أو صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم

الضمير أو على انه مبتدأ (قوله لانه المقصود بالآية) أى لان الايمان بالانبياء والكتب مقصود الآية لان الآية فى بيان حال الراسخين فى العلم من أهل الكتاب و يناسبه ذكر ايمانهم بالقرآن واقامتهم الصلاة وايتاء الزكاة أى بهذه الصفات يمتازون عن غيرهم من أهل الكتاب و يمكن أن يقال تأخرهما للتصريح بما علم ضمنا للتأكيد (قوله جواب لاهل الكتاب) هذا لا يناسب بعض الوجوه المذكورة هناك (قوله فان ابراهيم أول أولى العزم منهم) أى أول أولى العزم من النبيين من بعد نوح لا أنه أول أولى العزم منهم مطلقا فان نوحا منهم بالاتفاق وسيصرح المصنف به فى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والمراد بقوله وعيسى آخرهم أى آخر أولى العزم المذكورين فى الآية

(قوله أو فسره قد قصصنا) أى رسلا منصوب بعامل يفسره قد قصصنا (قوله وفضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه ما أعطى كل واحد منهم) صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم كلمه الله تكليما كموسى وهذا بناء على ماقاله الامام النووى فى شرح صحيح مسلم انهم اختلفوا فى أن نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه ربه عزوجل ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا هذا القول بعضهم الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس (قوله والآخر حال) أى اذا جعل واحدا منهما خبرا كان الآخر حالا (قوله ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر) أى هى مصدر فلا يتقدم عليه ما يتعلق به وقد نقلنا عن الرضى ان الحق خلاف ماذكر (قوله وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز) مناسب لزمانه فانه لما كان فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ظهور البلاغة خص بالقرآن الذى هو

معجز وهذا الايلائم ماسبق من انه تعالى أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الخ (قوله قالوا مانشهد لك) فيكون قوله تعالى لكن الله يشهد الخ ردا لهذا القول (قوله وعلى الثالث حال من المفعول) لان ضمير بعلمه على هذا التقدير راجع الى القرآن والمعنى أنزل القرآن ملتبسا بعلمه بما يستفاد منه وهو مايحتاج اليه أمر المعاش والمعاد (قوله وفيه تنبيه على انهم الخ) فى كونه تنبيها

ماقبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لايشهدون ولكن الله يشهد أو انهم أنكروه ولكن الله يثبته و يقرره (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى أنه لما نزل انا أوحينا اليك قالوا مانشهد لك فنزلت (أنزله بعلمه) أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة و يستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها (والملائكة يشهدون) أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا (وكفى بالله شهيدا) أى وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أغرق فى الضلال وأبعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا وظلموا) محمدا عليه الصلاة والسلام بانكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا) لجرى حكمه السابق و وعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لايصعب عليه ولا يستعظمه (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرر أمر النبوة و بين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فآمنوا خيرا لكم) أى ايمانا خيرا لكم أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لايحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض) يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله مافى السموات والارض وهو يعم مااشتملتا عليه وماتركبتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما دبر لهم (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه الصلاة والسلام حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه أوفق لقوله (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه لابتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيي الاموات أو القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم و يشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله

على مودتهم لما ذكر نظر وكذا فى أصل مودتهم بل قوم منهم يجحدون فيبعد أن يقال ان أهل الكتاب يودون العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم (قوله يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع الخ) هذا اذا فسر الظلم بالظلم على النفس وأما اذا فسر بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو داخل فى الكفر ثم انه يمكن أن يكون المراد بالظلم على النفس بالاعتقادات الباطلة وان لم يكن كفرا كاعتقادات أهل البدع (قوله وبانه يؤدى الخ) لان التقدير ان تؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم (قوله مااشتملتا عليه الخ) أى ماقام لهما ومافى جوفهما (قوله وماتركبتا منه) هو أجزاؤها (قوله لقوله لاتقولوا على الله الا الحق) لايخفى أن اليهود قالوا على الله غير الحق من كون عزير ابن الله نعم ماسيجىء من قوله ولاتقولوا ثلاثة مناسبة للنصارى بل لا يبعد أن يدعى ان الخطاب مخصوص بهم لما ذكره

والجواب عن عدم اختصاص النصارى واشراك اليهود فى القول الغير الحق ان ظاهر قوله انما المسيح الخ أو أن يكون تفسيرا لقوله تعالى ولاتقولوا على الله الا الحق فيكون مختصا بالنصارى (قوله خالدين حال مقدرة) الظاهر انه حال من مفعول ليهديهم فان أريد بالهداية هدايتهم فى الدنيا الى طريق جهنم أى الى مايؤدى الى الدخول فيها فهم فى هذه الحالة غير خالدين فيها نعم ان

أريد الهداية الى جهنم الهداية اليها في الآخرة لكان لما ذكر وجه ثم انه يمكن تقدير فعل يكون خالدين حالا من فاعله وهو يدخلون (قوله أي واحدا بالذات لا تعدد فيه بوجه من الوجوه) هذا صريح في أن المراد بلا تقولوا ثلاثة هو القول الثاني وهو أن الله ثلاثة لان قوله تعالى انما الله اله واحد رد لمقالتهم وهو يرد أن الله مركب من ثلاثة أقانيم ولا يرد كون الآلهة ثلاثة نعم لو قال واحد

أو الله ثلاثة ان صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه كما سبق (انما الله اله واحد) أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه أن يكون له ولد) أي أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى أثره عليك (أن يكون عبدا لله) من أن يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روى أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ومن يرتفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) عني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه) في ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه (ويهديهم اليه)

لاشريك له ولا تعدد فيه يرد هذه المقالة أيضا (قوله لا يماثله شئ من ذلك يتخذه ولدا) لان الولد لابد أن يكون من جنس الوالد (قوله للرد على عبدة المسيح والملائكة) لا يتوهم منه أن جماعة عبدوا الملائكة والمسيح فقال المراد انه للرد على عبدة المسيح وعلى عبدة الملائكة أيضا (قوله باعتبار التكثير دون التكبير الخ) الاول بالثاء المثلثة والثاني بالباء الموحدة يعني أن المبالغة تحصل في المعطوف باعتبار الكثرة دون الكبر والعظمة يعني لن يستنكف المسيح وهو شخص واحد ولا الاشخاص الكثيرة التي هم الملائكة المقربون (قوله وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه) فيه انه لو لم يستلزم ذلك لزم مذهب ثالث لم يقل به أحد لان مذهب أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة من غير تفصيل ومذهب المعتزلة العكس من غير تفصيل لكن كون الملائكة المقربين أفضل من عيسى دون البعض الآخر من الانبياء تفصل في التفصيل فالاولى الاختصار على ما ذكر سابقا (قوله فانه قد يكون باستحقاق) كما يطلق المتكبر على الله (قوله فكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا) يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم يعني اذا كان ما ذكر تفصيلا لجزاء المتكبرين يجب أن تكون اثابة المؤمنين الصالحين من تفصيل جزاء المستكبرين ووجهه أن اثابة المؤمنين تقدير روحاني للمستكبرين

الى الله سبحانه وتعالى وقيل الى الموعود (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه روى أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل من الاحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) سبق تفسيرها فى أول السورة (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها عصبة وابن الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف (وهو يرثها) أى والمرء يرث أخته ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان أو أنثى ان أريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لاتحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) أصله وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر (يبين الله لكم أن تضلوا) أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وآيها مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

(قوله لانه جعل أخوها عصبة) هذا يفهم من قوله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين لانه يدل على ان الاخ عصبة لان شأن العصبة أن تكون حصته كذلك ويفهم من قوله تعالى وله أخت فلها نصف ماترك ان المراد ماذكر لان الاخت لام لاترث النصف أصلا وكذا قوله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين لأن تفضيل الذكر من الاخوة على الانثى لايكون فى الاخوة من الام بل هما متساويان فى الحصة (قوله والولد على ظاهره الخ) يعنى ان الولد أعم من ان يكون ابنا أو بنتا اذ كون الاخت ترث النصف لابد فيه ان لايكون للميت ابن ولا بنت هذا رد على الكشاف فانه صرح بان المراد من الولد الابن (قوله ان أريد يرثها الخ) ان أريد يرثها جميع المال فلابد ان لايكون للميت ولد مطلقا لا ابن ولا بنت وان كان المراد يرث فى الجملة فالمراد الذكر لان البنت لاتمنع ميراث الاخ مطلقا (قوله والآية كما لاتدل الخ) أى الآية دلت على سقوط الاخوة بالولد لقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فتدل على انه ان كان لها ولد لم يرثوا لكن لاتدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم به أى بغير الولد بل هو مسكوت عنه لكن السنة أى الحديث دل على سقوط الاخوة بغير الولد أى بالاب (قوله ان فسرت بالميت) يعنى لو كان المراد بالكلالة الميت وهى من لم يكن لها ولد ولا والد كان معنى الكلام انه يرث الاخ من الميت التى لم يكن لها أب ولا ولد فعلم انه اذا كان لها أب لم يرث والا كان القيد مستدركا فعلم ان مراده بقوله ان الآية أنها لاتدل مطلقا أى على كل احتمال على ماذكر بل على بعض الاحتمالات لانه اذا فسر الكلالة بمن لم يكن أب ولا ابنا لايدل على ماذكر وهو سقوط الاخوة بغير الولد ثم انه اذا فسر الكلالة بالميت يوجب ان يكون المراد من المرء الهالك وكذا الاخت الهالكة هى الكلالة وهى التى لايكون لها ولد ولا والد فيلزم استدراك قوله وليس له ولد وكذلك قوله ان لم يكن لها ولد اذ هذا القيد يفهم من الكلالة (قوله وتنبيه) محمول على المعنى لان الاخت مفرد اللفظ (قوله ضلالكم الذى من شأنكم الخ) لايخفى ان العمل على خلاف مافى الآية بعد نزولها ضلال وما قبلها فليس كذلك فالاولى ان يفسر الضلال بالتحير فى الامر أو العمل على خلاف ماينبغى ويليق

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (أحلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم تحريمه (غير محلي الصيد) حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل

(قوله شدوا العناج الخ) العناج حبل يشد في أسفل الدلو ثم يشد الى العراقي والعرقوتان الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب والكرب الحبل الذي يشد في وسط العراقي ثم يثني ويثلث ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير فاستعار عقد الحبل على الدلو للعهد ورشح بذكر شد العناج وشد الكرب هكذا قال جمع من المعلقين على الكشاف وفيه ان المذكور في البيت هو العقد بلا تقييد بشيء وهو أعم من عقد الحبل على الدلو الا ان يراد انه استعمل العقد أولا في عقد الحبل على الدلو بطريق استعمال العام في الخاص مجازا ثم استعمل في العهد تجوزا عن هذا المعنى وفيه تكلف لكن الباعث عليه استعمال الالفاظ المخصوصة ههنا بعقد الحبل على الدلو (قوله ولعل المراد بالعقود الخ) هذا مخالف لما قاله صاحب الكشاف لانه قال الظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه فانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل لكن كلام المصنف شامل لما ذكره صاحب الكشاف وغيره وهو أي كلام المصنف أعم فائدة وأيضا ليس ههنا تفصيل الحلال والحرام فقط بل غيره من التعاون على البر والتقوى وكيفية الوضوء وغيرهما (قوله ان حملنا الامر على المشترك الخ) فيكون معنى الامر وهو أوفوا ترجيح الايفاء فيكون شاملا لما يجب ايفاؤه وما يحسن أي يستحب (قوله كل حي لا يميز) يشمل الصبي قبل سن التمييز الا ان يراد حي لا يكون قابلا للتمييز (قوله واضافتها الى الانعام للبيان) كذا في الكشاف وفيه انهم قد شرطوا في الاضافة البيانية ان يكون بين المضاف والمضاف اليه عموم وخصوص من وجه كخاتم فضة فان الخاتم أعم من الفضة من وجه والفضة أعم منه من وجه آخر لكن البهيمة ليست كذلك بالنسبة الى الانعام فان الانعام لا توجد بدون البهيمة قال العلامة التفتازاني اشترطوا فيها كون المضاف اليه جنسا للمضاف كخاتم فضة وههنا الامر بالعكس (قوله في الاجترار) هو اخراج الجرة وهي ما تجره النعم من العلف من الكرش الى الفم فتمضغه ثم تبتلعه (قوله واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه) أي الاضافة بمعنى اللام تجعل الشبه اختصاصا فكان المراد من بهيمة الانعام ما يماثلها (قوله الا محرم ما يتلى عليكم) يعني ما يتلى عليكم مستثنى متصل وليس من جنس بهيمة الانعام التي هي المستثنى منه لان ما يتلى لفظ فقدر محرم ما يتلى ليكون من جنس المستثنى منه وكذا الا ما يتلى عليكم تحريمه فان قيل يلزم على التقدير الثاني حذف الفاعل قلنا قال العلامة الطيبي في توجيهه انه حذف المضاف وهو التحريم وأقيم الضمير المجرور مقامه فصار الضمير المرفوع مجرورا فاستتر في يتلى (قوله حال من الضمير في لكم) على تقدير ان يكون حالا عن ضمير لكم كان المعنى أحلت لكم بهيمة الانعام حال كونكم غير محلي الصيد وأنتم حرم فلزم عدم الاحلال حال احلال الصيد وهم حرم وليس كذلك اذ الاحلال حاصل في الحال المذكور وفي غيره واما ما قاله العلامة التفتازاني من انه يمكن دفع هذا الاشكال بان المراد بالانعام أعم من الانسي والوحشي مجازا أو تغليبا أو كيفما شئت واحلالها على عمومها مختص بحال كونهم غير محلين للصيد في الاحرام اذ معه تحريم البعض وهو الوحشي ففيه انه يلزم منه استدراك اعتبار الاحلال بل يكفي ان يقال أحلت لكم بهيمة الانعام غير محرمين لان في حال الاحرام لم يحل جميع الانعام بل البعض محرم وهو الوحشي كما ذكره والجواب ان المراد من محلي الصيد وأنتم حرم على هذا التقدير الصائدون حال الاحرام فحينئذ صح أن يقال أحلت جميع الأنعام حال كونكم غير صائدين حالة الاحرام فيلزم انهم اذا كانوا صائدين حالة الاحرام لم يحل لهم جميعها بل يحرم البعض وهو ما كان سببا لصيده (قوله وقيل من واو أوفوا) فان قيل لزم أن يكونوا مكلفين بايفاء العقود حال كونهم غير محلين دون حال الاحلال لكنهم مكلفون في كل حال بايفاء العقود فنقول لا يلزم ما ذكره انما يلزم لو لم تكن الحال دائمة أما اذا كانت دائمة فلا والحال ان عدم احلال الصيد حال الاحرام لازم لايفاء العقود اذ هو من جملتها اذ المراد منه على هذا التقدير عدم اعتقاد حل الصيد حالة الاحرام فهو مثل قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط اذ لا يلزم منه عدم الشهادة المذكورة حين عدم القيام بالقسط لأن

استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وأنتم حرم) حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل أو تحريم (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه أو بالنسيء (ولا الهدي) ما أهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج (ولا القلائد) أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين لزيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين (واذا حللتم فاصطادوا) اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الأمر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل (ولا يجرمنكم) لا يحملنكم أو لا يكسبنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف الى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر كعطشان وسكران (أن صدوكم عن المسجد الحرام) لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم (أن تعتدوا) بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفي والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه أشد (حرمت عليكم الميتة) بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية (والدم) أي الدم المسفوح لقوله تعالى أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه

والمنخنقة

القيام بالقسط أمر داخلي لله تعالى كما في زيد أبوك عطوفا فانه لم يلزم منه عدم الأبوة اذا لم يكن عطوفا اذ العطوفة لازمة (قوله وفيه تعسف) اذ يلزم منه استثناء المحلين للصيد في حال الاحرام عن المؤمنين وهو غير ملائم لأن شأن المؤمنين ليس احلال الصيد حال الاحرام بل تحريمه ثم ان حق العبارة على تقدير الاستثناء أن يقال وهم حرم حتى يرجع الضمير الى المستثنى الذي هو المحلون (قوله وهي اسم ما أشعر) لفظ اسم يدل على ان الشعيرة ليست بصفة مع ظهور الاشتقاق ودلالة على معنى زائد على الذات والدليل على عدم وصفيته ان المراد منها شئ مخصوص جعل شعار الحج فلم يبق فيه ابهام الذات (قوله والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل) لضعف مشابهته للفعل لأن الموصوفية تقتضي شبهه بالفعل اذ هي من خصائص الاسم (قوله ورضوانا بزعمهم) لأن المشركين يزعمون أن الحج يقربهم الى الله (قوله وعلى هذا فالآية منسوخة) لأن مفهوم آمين البيت الحرام يبتغون على هذا التفسير ان المشركين اذا كانوا آمين البيت الحرام لا يتعرض لهم ولا يخفى أنه منسوخ بقوله تعالى واقتلوهم حيث وجدتموهم ويرد على المصنف أنه وان لزم نسخ هذا الحكم لكن الآية مشتملة على أحكام كثيرة غير هذا الحكم فلا يلزم نسخ الآية الا أن يراد نسخ بعض ما فيها (قوله ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا) اذ من المعلوم أن ليس المقصود ههنا من الامر ايجاب الصيد ولا استحبابه لأن الأمر ههنا لازالة الحرمة فيدل على الاباحة بخلاف الصور الأخرى اذ يمكن أن يكون في بعضها ما يناسب الايجاب والاستحباب (قوله لأنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم) صريح في أن جزاء الشرط لا يتقدم عليه اذ لو كان جائز التقدم لكان تقدير الجزاء لغوا

(قوله وهو يدل على ان جوارح الصيد الخ) هذا شامل للطيور كالصقر والبازى اذا اصطادت لأنها داخلة فى جوارح الصيد (قوله الا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة) فسروها بان لايصير الحيوان الى حركة المذبوح فيفيد ان كلا مما ذكر اذا صار الى حركة المذبوح يكون حراما (قوله من ذلك) أى مما ذكر من المنخنقة (قوله وقيل الاستثناء مخصوص) يعنى أن الجمهور على ان الاستثناء متعلق بكل من المذكورات فقوله من ذلك اشارة الى جميع ماذكر من قوله والمنخنقة الخ وقال بعضهم ان الاستثناء مخصوص بما أكل السبع (قوله مسمى على الأصنام) أى مذكورا على وجه تعظيم الأصنام بان يقال اذبح هذه الغنم مثلا باسم اللات وقال العلامة النيسابورى بأن ذبح على اعتقاد تعظيم الصنم ويحتمل أن يكون الذبح للاصنام واقعا عليها (قوله والنصب واحد الانصاب) فيكون مفردا ولذا ذكر بعد ذلك وقيل جمع (قوله لأنه دخول فى علم الغيب) فيه أنه يحتمل انهم كانوا يجعلونه موجبا للظن ولا يزعمون العلم الا اذا ثبت انهم كانوا يزعمونه وقال العلامة النيسابورى قال الواحدى انما حرم لأنه طلب معرفة الغيب وانه

(والمنخنقة) أى التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردية) التى تردت من علو أو فى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل (وما أكل السبع) وما أكل منه السبع فمات وهو يدل على أن جوارح الصيد اذا أكلت مما اصطادته لم تحل (الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة فى الشرع لقطع الحلقوم والمرىء بمحدد (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) أى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك أنهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد (ذلكم فسق) اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى ان أريد بربى الله وجهالة وشرك ان أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو الى تناول ماحرم عليهم (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما أراد الزمان الحاضر ومايتصل به من الازمنة الآتية وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) أى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) أن يظهروا عليكم (واخشون) وأخلصوا الخشية لى (اليوم أكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على

مختص بالله تعالى وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهى عنه كالفأل وكما يدعيه أصحاب الفراسات ولذا قال أى النيسابورى كونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر وأما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يعتقدون ان ماخرج من الامر والنهى فهو بارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وهو أيضا موقوف على ثبوت ماذكر والأسلم أن يكون اشارة الى الميسر والى تناول ماحرم عليهم (قوله ان أريد بربى) أى ان أراد المستقسم الله بقوله ربى (قوله أو الميسر المحرم) هذا عطف على قوله دخول فى علم الغيب فكأنه قال وكون الاستقسام فسقا لانه دخول فى علم الغيب الخ أى ان كان المراد به المعنى الأول أو لانه الميسر المحرم ان كان المراد المعنى الثانى وقوله أو الى تناول ماحرم عليهم عطف على قوله الى الاستقسام (قوله وأخلصوا الخشية لى) يدل على النهى من الخشية من غير الله تعالى مطلقا وفيه ان يأس الذين كفروا من الدين القويم لايستلزم عدم خشية المؤمنين مطلقا انما يستلزم عدم خشية المؤمنين من غلبة الكفار على دينهم مع ان الفاء فى فلا تخشوهم تدل على الاستلزام المذكور وان أريد النهى عن الخشية من غيره تعالى اذ ليس لغيره تعالى تأثير أصلا ففيه انه لادخل لذلك فى يأس الذين كفروا من دين المؤمنين والجواب أن المراد واخشونى فى أمر دينكم أى لاتخشوهم فى أن يصيروا سببا لتغيير دينكم لانه تعالى حكم بيأس الكافرين ولكن اخشونى فى أمر الدين فانى قادر على تقليب قلوبكم وجعلكم مرتدين (قوله على قواعد العقائد) هى أصول الاعتقادات والمراد بأصول الشرائع القواعد التى تستنبط منها الاحكام والمراد بقوانين الاجتهاد مايجب أن يراعى فيه وهذا جواب عن دليل نفاة القياس فانهم تمسكوا على ابطاله بان الدين كمل فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان القياس جائزا بعده كان ذلك القياس لابد أن يكون لاظهار حكم لم يكن معلوما فكان القياس

موجبا لكمال الدين فلم يكن كاملا فى ذلك الزمان والجواب عنه ماذكر وهو ان المراد باكمال الدين تحقيق قواعد العقائد وتبيين قواعد الاجتهاد وهذا لاينافى وقوع الاجتهاد وتخريج الاحكام بعده (قوله بالهداية والتوفيق) لك أن تقول الهداية والتوفيق كانا حاصلين قبل ذلك اليوم وكذا ماذكر سابقا من التنصيص على قواعد العقائد والتوفيق المذكور والجواب ان المراد كمال الهداية والتوفيق وكذا المراد كمال التنصيص (قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا) فيه ان ظاهره انه معطوف على قوله تعالى أكملت لكم دينكم فيكون المعنى اليوم رضيت لكم الاسلام دينا ويتوجه حينئذ انه لافائدة لهذا التخصيص اذ هو تعالى راض بكون الاسلام لهم دينا من أول الامر والجواب ان المراد بالرضى حكمه تعالى باختيار الاسلام لكم حكما أبديا لاينسخ وكان هذا فى ذلك اليوم (قوله بان يأكلها تلذذا) يفهم منه انه اذا أكل المضطر الميتة للتلذذ لا لسد الرمق كان حراما عليه الا أن يقال هذا لايتصور فتأمل (قوله أو مجاوزا حد الرخصة) لك أن تقول الاضطرار لايجامع تجاوز حد الرخصة لان المضطر مأذون فى الاكل حتى يزول

الاضطرار الا أن يقال ذلك للتأكيد (قوله كقوله غير باغ ولاعاد) يظهر منه ان المراد من الباغى من يأكلها تلذذا ومن العادى من جاوز حد الرخصة لكنه فسر فى سورة البقرة الباغى بالمستأثر على مضطر آخر (قوله لان يسئلونك بلفظ الغيبة) فالمناسب ان يقول يقال لهم بضمير الغائب ولو كان مكان يسئلون تسئلون بلفظ الخطاب لكان المناسب لكم لا لهم (قوله لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة) لا حاجة الى التضمين المذكور بل السؤال اذا كان عن حكم لايتعلق الا بالجملة (قوله أو مالم يدل نص ولاقياس على حرمته) عطف على قوله مالاتستخبثه الطباع السليمة فان قيل خرج عنه مايدل الاجماع على حرمته قلنا وهو الاجماع لابد له من وجود نص وجده العلماء المجمعون وان كان غير ظاهر علينا كماذكر فى الاصول فهو داخل فى القسم الاول (قوله مشتق من الكلب لان التأديب الخ) يعنى لما كان المراد من المكلب معلم الجوارح ومؤدبها وهو أعم من أن يكون مؤدبا للكلب ولغيره فلم اشتق له اسم من الكلب فأجاب بجوابين أحدهما ان التأديب للكلب أكثر وآثر والثانى ان الكلب شامل لجميع أنواع السباع ومنها جوارح الطيور كما سيأتى فى كلام المصنف (قوله سلط عليه كلبا من كلابك) لابد من ايراد زيادة واردة فى الحديث ذكرها صاحب الكشاف وهى فأكله الاسد اذ بهذه الزيادة يعلم مقصوده وهو ان الكلب شامل لكل سبع (قوله وفائدتها المبالغة) هذه المبالغة اما المبالغة فى صيغة التفعيل وامابذكر التكليب بعد ذكر تعليم الجوارح (قوله أو مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه) أى لما كان العقل الذى هو الكاسب نعمة من الله تعالى لانه موجد العقل فكان ماتعلمون مما علمكم الله أى من الاشياء التى يكون البارى سبب العلم بها وهذا تكلف اذ هذا العلم اما بمحض الالهام أو بسبب العقل الذى هو منحة منه تعالى

أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام دينا) اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) مجاعة (غير متجانف لاثم) غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا أو مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولاعاد (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله (يسئلونك ماذا أحل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى أمثاله والمسؤل ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو مالم يدل نص ولاقياس على حرمته (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ماموصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون أكثر فيه وآثر أو لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه سبحانه وتعالى أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه (فكلوا مما أمسكن عليكم)

(قوله بما جل ودق) أى بالامر الظاهر والامر الخفى أو بالامر العظيم والصغير (قوله اليوم أحل لكم الطيبات) فان قيل الطيبات قبل هذا اليوم كانت حلالا قلنا المراد من اليوم ليس يوما بعينه بل المراد منه الزمان الحاضر ومايدانيه من الازمنة الماضية والآتية ومن هذا يظهر ان تفسير اليوم بالزمان الحاضر ومايتصل به من الازمنة الآتية كما فعله المصنف سابقا ليس كما ينبغى بل يجب ان يجعل شاملا للازمنة الماضية كما فعله صاحب الكشاف ثم ان الاولى أن يقال ان اعادة هذا الحكم لان يعلم صريحا بقاء هذا الحكم عند اكمال هذا الدين للاهتمام بشأنه (قوله وتقييد الحل بايتائها الخ) مفهوم هذا الكلام تقييد أصل الحل بالايتاء لانه الحث على الاولى الا أن يقال يعلم من النصوص الاخر انه ليس الايتاء شرطا فى جواز الوطء فالمفهوم غير معتبر ههنا ومعنى الكلام حينئذ

وهو مالم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه واليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لايشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لايشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه اذا أدركتم ذكاته (واتقوا الله) فى محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان ألحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس لاتحل الحربيات (اذا آتيتموهن أجورهن) مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها (محصنين) أعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذى أخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) أى اذا أردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغى أن يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة أو اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك أول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة

والمحصنات حل لكم اذا آتيتموهن اجورهن وكذا اذا لم تؤتوهن لكن ذكر الاول وترك الثانى للاهتمام بالاول (قوله تعالى محصنين غير مسافحين) فيه تأكيد للاهتمام بالاحصان اذ هو معلوم من قوله تعالى محصنين (قوله اذا أردتم القيام الى الصلاة) تعدية القيام بالى يدل على ان القيام الى الصلاة التوجه اليها وحينئذ يلزم استدراك فى الكلام لان التوجه الى الصلاة هو قصدها وارادتها فيكون معنى أردتم القيام الى الصلاة أردتم القصد والتوجه اليها ولا يخفى انه يكفى أن يقال اذا توجهتم الى الصلاة أو اذا أردتموها يؤيد ذلك ماسيجىء من انه يحتمل أن يكون المعنى اذا قصدتم الصلاة والجواب أن يقال المراد من القيام الى الصلاة الاشتغال بها وفيه مافيه والاولى أن يقال المعنى اذا توجهتم الى الصلاة وهو قريب مما ذكره ثانيا (قوله لان التوجه الى الشئ الخ) فيه انه ان أراد أن التوجه الى الشئ والقيام له قصد حقيقة فليس كذلك لان القيام الى الشئ ليس قصده حقيقة بل مستلزم له وان أراد انهما مستلزمان له ففيه ان التوجه الى الشئ قصده حقيقة لا مستلزما له (قوله وقيل الامر فيه للندب) قال صاحب الكشاف يحتمل أن يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وفى كلامهما نظر اذ لا وجه لكون الامر للندب والالزم خروج المحدث عن هذا الحكم مع ان المقصود بالذات حكمه فالوجه هو الاول (قوله وهو ضعيف الخ) فيه ان المصنف قال فى تفسير قوله تعالى ولا الشهر الحرام ان المراد القتال فيه وهو صريح فى سورة التوبة بان الجمهور على ان حرمة المقاتلة فى الأشهر الحرم منسوخة

(قوله لان مطلق اليد يشتمل عليها) قال المحققون من الفقهاء ان اسم اليد عند الجمهور موضوع للعضو من الاصبع الى المنكب وجعل المحققون الى فى هذا الكلام غاية للترك والمعنى اتركوا منها الى المرفق والغاية لاتدخل فى ذى الغاية على المشهور فلا يدخل المرفق فى المتروك وهذا الوجه أولى من الوجوه التى ذكرها المصنف اما الوجه الاول فقد قدح فيه واما الثانى فلانه خلاف الجمهور واما الثالث فلان اللازم غسل المرافق احتياطا بخلاف الاول فان وجوب غسلها مفهوم الكلام (قوله احتياطا) أى لما احتمل دخول المرافق فى وجوب الغسل حكم بوجوب غسلها لتيقن الخروج عن العهدة (قوله لكن لما لم تميز الغاية عن ذى الغاية الخ) لان المرفق مفصل الذراع والعضد ولم يتميز فى الحس عن الذراع (قوله احتياطا) أى لما لم تتميز اليد عن المرفق حكم بوجوب غسل المرفق لتيقن غسل اليد (قوله بخلاف ما لو قيل امسحوا رؤسكم) فعلى هذا اذا كانت الباء زائدة كما اختاره المصنف كان فى حكم وامسحوا رؤسكم فيقتضى الاستيعاب لان الحرف الزائدة يقتضى تأكيد ما دخل عليه فيفيد تأكيد مسح جميع الرأس فان قيل ان الباء وان كانت زائدة فهى تفيد التبعيض قلنا فلم يبق الفرق بين ما اذا كانت زائدة أو للتبعيض وهو خلاف كلام المصنف

من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أمروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (وأيديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى و يزدكم قوة الى قوتكم أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها فى الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الأيدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية لقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله تعالى عنه مسح كله أخذا بالاحتياط (وأرجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على

انه

فتأمل (قوله أخذا باليقين) لان ما ثبت يقينا وجوب مسح بعض الرأس فلا يثبت وجوب الزائد اذ لا دليل عليه (قوله أخذا بالاحتياط) أى لما احتمل ان يكون الواجب مسح كل الرأس حكم بوجوبه للخروج عن العهدة بيقين (قوله ووجهه الخ) أى وجه كونه للتبعيض ما ذكر من أنه يدل على مطلق الالصاق فيشمل مسح البعض والكل لان الباء موضوعة للبعض (قوله جره الباقون على الجوار) ههنا اشكال وهو ان أرجلكم على هذه القراءة اما معطوف على رؤسكم أو على وجوهكم وعلى الاول يلزم ان يكون الواجب المسح لا الغسل وعلى الثانى يلزم ان يكون هذا الجر لا عامل له مع ان الاعراب لابد ان يكون له عامل وقد يقال ان الجر على الجوار لا اعراب ولا بناء فلا حاجة الى العامل واما قول صاحب الكشاف هو معطوف على الممسوح لا ليمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد ففيه انه اذا عطف على الممسوح يلزم وجوب مسحهما لا غسلهما وقد طولوا الكلام فى هذا المقام والذى ظهر لى والله أعلم ان يقال ان ههنا حذف مضاف والتقدير مبدأ أرجلكم الى الكعبين ويكون هذا التقدير مثل قوله تعالى والله يريد الآخرة بجر الآخرة على تقدير والله يريد عرض الآخرة فيكون مبدأ أرجلكم منصوب معطوفا على وجوهكم ولا حاجة الى القول بالجر على الجوار مع ان هذه المسئلة مما اختلف فيه النحاة فان قيل مثل هذا التقدير حيث الالتباس قلنا لا التباس ههنا لان قراءة النصب دالة على وجوب الغسل فقراءة الجر يجب ان تطابق تلك القراءة وهذا يحصل بان يقدر ما ذكرنا وقال العلامة التفتازانى أقرب ما قيل فى غسل الارجل ان قراءة النصب توجب الغسل لانه لا مجال للعطف على محل الجار والمجرور ومع الالتباس فوجب حمل قراءة الجر عليه بطريق المشاكلة أو الجر على الجوار لانتفاء الالتباس

أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها و يغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه و بين أخويه به ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب اذا أعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لان أن لا تقدر بعد المزيدة (وليتم نعمته عليكم) ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل و بدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح و باعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيح للعدول الى البدل مرض أو سفر وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان (واتقوا الله) في انساء نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب

بضرب الغاية أو تقدير وامسحوا بأرجلكم مرادا به الغسل الشبيه بالمسح تنبيها على وجوب الاقتصار أو بالتزام الجمع بين الحقيقة والمجاز دفعا لاختلاف القراءتين ولا يخفى ما في كل من الاحتمالات من التكلف (قوله وفي الفصل بينه الخ) ايراد المسح بين غسل الوجه واليد وبين غسل الرجل اشعار بوجوب رعاية الترتيب بين الامور المذكورة اذ لو لم يكن الترتيب واجبا لكان الاولى ذكر غسل الاعضاء الثلاثة متصلة وافراد ذكر المسح وانما قال ايماء ولم يقل دلالة اذ لك ان تقول هذا يدل على حسن الترتيب وهو لا يدل على الوجوب (قوله وأرجلكم مغسولة) فان قيل يلزم عطف الاخبار على الانشاء لان هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى فاغسلوا قلنا هذا الاخبار بمعنى الانشاء لان المقصود فاغسلوا أرجلكم لكنه ذكر بصيغة الاخبار للمبالغة فكأنه أمر محقق أخبر عنه (قوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) الباء ههنا زائدة كما قاله المصنف في تفسير قوله وامسحوا برؤسكم وحينئذ لا ينافي وجوب استيعاب الوجه واليدين (قوله ليطهركم بالتراب) لقائل ان يقول اذا كان التراب لا يرفع الحدث ولا يدفع الخبث عند الشافعية فما معنى التطهير بالتراب نعم هذا التفسير مناسب لمن ذهب الى ان التيمم رافع للحدث ولذا ذكر النيسابوري ان التراب يوجب التكدير فكيف يكون التراب منظفا ومطهرا وقال امام الحرمين القول بكون التراب مطهرا قول ركيك ومنعه الامام أبو حامد لكن ما قالاه مناف لما ورد في صحيح البخاري من انه صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا الا ان يراد بالتطهير التطهير عن الذنوب ولعل التيمم كذلك أو يكون المراد رفع مانع الصلاة بشروطه (قوله لان ان لا تقدر بعد المزيدة) هذا خلاف ما صرح به الرضي حيث قال الظاهر ان يقدر ان بعد اللام الزائدة التي بعد فعل الامر والارادة نحو أمرت لاعدل ويريد الله ليذهب عنكم (قوله أوليتم برخصه الخ) الحكم ان ثبت على خلاف الدليل فرخصة والا فعزيمة (قوله سبعة) أحدها الطهارة الثاني الطهارة الاصلية الثالث غير المستوعب الرابع آلة الطهارة الخامس الموجب للطهارة السادس المبيح للعدول السابع الموعود عليها (قوله أصل وبدل) الاصل الطهارة بالماء والبدل التيمم (قوله مستوعب وغير مستوعب الخ) فالمستوعب الغسل لانه يستوعب جميع البدن وغير المستوعب الوضوء وهو غسل ومسح والمحدود تطهير الوجه واليد والرجل وغير المحدود تطهير الرأس وان آلتهما مائع وجامد أي آلة الطهارة فالمائع الماء والجامد التراب (قوله ليذكركم المنعم الخ) فان الاثر يدل على المؤثر (قوله فضلا عن جليات أعمالكم)

للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل و بين أنه بمكان من التقوى بعد مانهاهم عن الجور و بين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء ثائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) روى أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم بأن أنزل عليهم صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروى أنه عليه الصلاة والسلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء أعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزلت (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به و بسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف أيديهم عنكم) منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه و يفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به روى أن بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقر وا بمصر أمرهم الله سبحانه وتعالى بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وأمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة و بأسا شديدا فهابوا و رجعوا وحدثوا قومهم ونكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا و يوشع بن نون من سبط افرائيم ابن يوسف (وقال الله انى معكم) بالنصرة (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى

فى قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم وقوله ان الاولى نزلت فى المشركين معناه ان مافى سورة النساء نزلت فيهم أى فى العدل معهم والثانية نزلت فى بيان العدل مع اليهود والقرينة على ذلك انه لما كان آباء بعض المؤمنين وأقاربهم كانوا مشركين أمر المؤمنين برعاية العدل معهم ولما كان بعد هذه الآية التى فى المائدة حكاية اليهود ناسب ان تكون الآية لبيان حال اليهود (قوله وكانه قال وعدهم) هذا القول الاول أولى لان الوعد بالقول ليس مقصودا بذاته بل المقصود نفس القول وان كان الوعد بالقول من القائل الصادق يقينا فى حكم القول (قوله وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه) هذا لايناسب ذكر القوم فى الآية اذ الهام شخص واحد الا اذا قيل بتقدير مضاف وهو البعض أو يقال ان القوم أرسلوا ذلك الواحد يبسط يده فنسب الفعل الى مجموع القوم توسعا (قوله وآمنتم برسلى) ان قيل لم أخر ذكر الايمان بالرسل عن الصلاة والزكاة قلنا لعله رعاية لما يدرك من أحوال المؤمن فان مايدرك من حال المؤمن أولا الاعمال ثم يستدل به على الايمان وأشرف الاعمال التى تدرك فى العموم الصلاة والزكاة

وعزرتموهم

(قوله وأصله الذب) أى المنع فان من نصر آخر وقوّاه ذب عنه (قوله بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن الخ) عروض الشبهة بعد الميثاق المذكور يمكن أيضا الا أنه أبعد من عروضها قبله وقال النيسابورى ان الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم أبشع فلذا خص بالذكر (قوله استئناف لبيان قسوة قلوبهم) فكان التحريف والنسيان دليلين على قسوة قلوبهم وان كانت القسوة سببا فى الواقع (قوله اذ لا ضمير فيه) أى لا ضمير فى يحرفون الذى

هو الجملة الحالية يرجع الى صاحب الحال الذى هو القلوب (قوله والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم) فيه ان كون الغدر من عادة أسلافهم غير داخل فى الكلام وانما هو معلوم من غير هذا الموضع فلا يلائم قوله والمعنى الخ وانما معناه انك تطلع فى كل وقت على خائنة ممن وجد منهم فى زمانك ويمكن ان يقال غرضه ان المقصود انك تطلع على خائنة منهم فى كل زمان وهو يدل على ان أسلافهم كانوا خائنين فى كل زمان لان الولد سر أبيه أو تعلم من كلامهم ان أسلافهم كانوا كذلك لانهم ينسبون ما فعلوا اليهم (قوله وقيل تقديره ومن الذين الخ) قرينة هذا التقدير قوله تعالى ميثاقهم اذ لو لم يقدر ذلك لكان الظاهر ان يقال ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا الميثاق فان قيل فما وجه هذا الضمير على تقدير عدم التقدير قلنا تأكيد نسبة الميثاق اليهم (قوله من غرى بالشئ اذا لصق به) فتكون العداوة والبغضاء يلصقان بهم لا ينفكان عنهم (قوله وهم نسطورية الخ) النسطورية الذين قالوا بان أقنوم العلم اتحد بجسد المسيح بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور واليعقوبية هم القائلون بان الاقنوم المذكور اتحد بجسد المسيح بان صار لحما ودما والملكانية هم الذين قالوا بنقل اقنوم العلم الى جسد المسيح فامتزج بناسوته امتزاج الخمر بالماء (قوله قد جاءكم من الله الخ) هذا تأكيد لقوله تعالى قد جاءكم رسولنا الخ لان مجىء النور والكتاب يؤكد مجىء الرسول

وعزرتموهم) أى نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول (لأكفرن عنكم سيآتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سواء السبيل) ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية أو بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة أو من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روى أن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) أى وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم أخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) فألزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه أمر دينى أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

للتبيين ولذا لم يقع العطف بينهما (قوله لان المراد بهما واحد) الواحد الاول على تقدير ان يكون النور هو الكتاب المبين والثانى على تقدير ان يكون النور محمدا صلى الله عليه وسلم ومراده انه على هذا التقدير المراد بالضمير النور والكتاب فهو مثنى المعنى موحد اللفظ للاشعار بانهما فى حكم أمر واحد لان من اتبع أحدهما لابد ان يكون متبعا للآخر (قوله وقيل لم يصرح به واحد منهم ولكن لما زعموا الخ) يرد أن القرآن صرح بكفرهم مع انه على هذا التقدير لا يلزم كفرهم فان القول بما يستلزم الكفر غير الكفر كما قالوا ان الالزام غير الالتزام وتوضيحه ان صاحب المواقف بعد ما ذكر انه لا يكفر أحد من أهل القبلة نقل ان المعتزلة كفرت فى أمور وكذا المعتزلة كفروا أهل السنة ثم قال ما حاصله ان جميع ما ذكروه القول بما يستلزم الكفر ولا يلزم الكفر منه لان الالزام غير الالتزام والجواب انه ان سلم أنهم لم يصرحوا بما ذكر لكن حكم قولهم المذكور حكم صريح الالزام اذ من البين الذى فى غاية الظهور ان القول المذكور مستلزم لما ذكر بخلاف الاقوال من أهل القبلة فان استلزامها الكفر ليس بذلك الظهور فلذا لم تكفر وههنا نظر وهو ان زعمهم ان فيه أي فى المسيح لاهوتا يمكن

أن يكون المراد ان اللاهوت ظهر فيه ظهورا تاما وهذا لا يستلزم الكفر وان

يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد أو لانهما كواحد فى الحكم (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب أو سبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من أنواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته أو توفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق الى الله سبحانه وتعالى ومؤد اليه لا محالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته وارادته شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح) عيسى (ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى أمره والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والارض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون أو المقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم

لا اله الا واحد لم يلزم منه أن يكون المسيح هو الله بل يلزم ان يكون الاله موجودا فيه (قوله وتقريره ان المسيح مقدور الخ) المراد بالمقدور ما يكون وجوده بالقدرة وبالمقهور ما يكون تحت حكم البارئ واثبات الحكمين ظاهر أما الاول فبحدوثه وأما الثانى فبالقياس الى جميع أمثاله وأما الثالث فلان ما هو حادث لابد أن يكون قابلا للفناء (قوله ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى أمره) يفهم من تفسيره ان الشبهة التى توجب اعتقاد كون المسيح هو الله كونه مخلوقا من غير أب لان المذكور وهو ذلك لكن بطلانها فى غاية الظهور اذ كونه غير مخلوق من أب لا يصلح أن يتوهم فى منه ما ذكر نعم كونه مصدرا للاحياء مثلا يصلح أن يكون منشأ لغلط الجاهلين (قوله كما قيل لاشياع بن الزبير الخبيبون) الخبيب بضم الخاء المعجمة تصغير الخب اسم لابن عبد الله بن الزبير واذا جاز جمع اسم الابن واطلاقه على أشياع الاب فجمع اسم الاب واطلاقه على أشياع الابن أولى وفيه نظر اذ الابن نفسه داخل فى الاول دون الثانى وقال العلامة التفتازانى وجه التمثيل انه لما جاز جمع خبيب لابيه وأشياع ابيه فاولى أن يجوز جمع ابن الله للابن وأشياعه أقول فيه أيضا نظر لان المراد من أبناء الله على ما فسره صاحب الكشاف وتبعه المصنف أشياع الابن فلا يدخل فيه الابن فقوله فاولى الخ غير مناسب للمقام (قوله وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران) انما قال لنحو ذلك لانه لم يذكر ذلك بعينه فى السورة المذكورة بل ذكر ما هو قريب منه من كونهم محبين لله وغلوهم فى أمر عيسى (قوله فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه) أى من كان حبيب الله تعالى لا يفعل شيأ يوجب أن يكون سببا لان يعذب به الله وفيه ان الاحباء هم المحبوبون فالأنسب أن يقال ان المحب لا يعذب المحبوب بهذه الانواع المذكورة (قوله وقد عذبكم

فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ) وقال العلامة النيسابورى يمكن المعارضة بوقعة أحد و بقتل أحباء الله كالحسن والحسين رضى الله عنهما وأجيب بان المعارضة بوقعة أحد ساقطة لانهم وان ادعوا أنهم الاحباء لكن ما ادعوا انهم الابناء أقول لو عورض بقتل الانبياء لكان أولى والاولى الاكتفاء من هذه الثلاثة بالمسخ فان بديهة العقل حاكمة بان المسخ على صورة حيوان خسيس لا تعرض لأحباء الله بخلاف القتل والاسر فانهما عرضا الاحبائه (قوله بل أنتم بشر ممن خلق) فان قيل هذا لا يناسب ما فسر به قوله نحن أبناء الله وأحباؤه لان كونهم أشياع ابن الله لا ينافى البشرية قلنا المقصود من هذا القول انهم من جنس البشر يعذبهم الله لو يشاء كسائر البشر فقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه يدل على ان غرضهم انهم ليسوا ممن يعاملهم الله كسائر البشر و يحكم فيهم بما يحكم فيهم واليه أشار المصنف بقوله يعاملكم معاملة الناس (قوله أى جاءكم على حين فتور)

فتكون على بمعنى فى كما فى قوله تعالى على ملك سليمان (قوله أى لا تعتذروا فقد جاءكم) فتكون الفاء لسببية ما بعدها لما قبلها فان النهى عن الاعتذار سبب مجىء البشير والنذير ويسمى مثل هذه الفاء فصيحة لانه يفصح عن المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن له ذلك الحسن (قوله وكانوا أحوج ما يكونون اليه) أى كانوا فى وقت هو أحوج أوقات كونهم أى وجودهم اليه أى البعث (قوله اذ جعل فيكم أنبياء) ان حمل التركيب على المعنى الحقيقى فكثرة الانبياء باعتبار موسى وهرون و يوسف وان ارتكب التجوز فجميع أنبياء بنى اسرائيل داخلون بمعنى انه قدر فى جنسكم الانبياء (قوله حين قتلوا يحيى الخ) أى تكاثر الملوك فيهم بعد قتل يحيى كما تكاثر الانبياء بعد فرعون أى لما قتلوا يحيى انقطع كثرة الانبياء عنهم بشؤم فعلهم القبيح وفى أكثر النسخ حتى قتلوا الخ وعلى هذا فيكون المعنى تكاثر الانبياء والملوك فيهم قبل يحيى فلما قتل يحيى انقطع عنهم كثرة ما ذكر (قوله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم) انما قال قيل لانه لا حاجة الى هذا التخصيص لان فلق البحر وتظليل الغمام وأمثالهما لم توجد فى غيرهم (قوله سميت بذلك الخ) فعلى هذا يكون الاصل الارض المقدس ساكنها فحذف المضاف فانقلب الضمير المجرور مرفوعا واستتر (قوله وقيل الطور وما حوله الخ) فتقديسه باعتبار تجليه تعالى لموسى كما قال تعالى انك بالوادى المقدس طوى وتقديس دمشق وغيره ممكن أيضا باعتبار كونها مساكن الانبياء أو لغيره (قوله قسمها لكم) أى أفردها وعينها لكم من جملة الارض (قوله ولكن ان آمنتم الخ) متعلق بالتفسيرين المذكورين

فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أياما معدودات (بل أنتم بشر ممن خلق) ممن خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به و برسله (و يعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) كلها سواء فى كونها خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) أى الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره و يجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة فى موضع الحال أى جاءكم رسولنا مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى أو بيبين حال من الضمير فيه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل و واحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بأن بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج ما يكونون اليه (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) أى وجعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وأمورهم سماهم ملوكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقيل الشأم (التى كتب الله لكم) قسمها لكم أو كتب فى اللوح أنها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم

وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره وهو الذى يجبر الناس على ما يريده (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) اذ لا طاقة لنا بهم (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) أى يخافون الله سبحانه وتعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة أسلما وسارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة أى من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير أو يخوفهم الوعيد (أنعم الله عليهما) بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم أى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم أجسامهم ولانهم أجسام لا قلوب فيها ويجوز أن يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه الصلاة والسلام وقوله كتب الله لكم أو مما علما من عادة الله سبحانه وتعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام فى قهر أعدائه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أى مؤمنين به ومصدقين بوعده (قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ما داموا فيها) بدل من أبدا بدل البعض (فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك (قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله سبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز أن يراد بأخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى أو على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لا أملك أو على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم (قال فانها) فان الارض المقدسة

محرمة

(قوله والنصب على الجواب) أى على جواب لا ترتدوا فان المضارع المدخول للفاء اذا كان بعد واحد من الامور الستة التى منها النهى يكون منصوبا (قوله من الذين يخافون الله) لانهم لم يخافوا الجبابرة ولو كان معنى يخافون يخافون الجبابرة لوجب أن يكونا خائفين أيضا (قوله فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل الخ) اذ لا يجوز رجوعه الى الجبابرة لانهم لم يكونوا خائفين لا من الله تعالى ولا من بنى اسرائيل فيكون التقدير من الذين يخافونهم (قوله ويشهد له) أى لما قال صاحب القيل وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اذا أريد برجلان كالب ويوشع ويخافون من الله وهو المعنى الاول يكون يخافون بالضم من باب الافعال (قوله ويجوز أن يكون علمهما بذلك الخ) ويجوز أن يقال انهما صارا ملهمين بذلك لحسن سيرتهما وصفاء سريرتهما (قوله على التأكيد والتأبيد) التاكيد مستفاد من لن (قوله قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله الخ) لك أن تقول لم لا يجوز أن يكون ما قالوا لشدة خوفهم وضنهم بأرواحهم وأما قوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين لا يدل على ما ذكر اذ يجوز أن يكون فسقهم لعدم اطاعتهم أمر نبيهم وقال صاحب الكشاف والظاهر انهم قصدوا بذلك استهانة بالله ورسوله وعبارة المصنف أقرب الى المناقشة والجواب أن يقال لو كان عدم ذهابهم الى الجبابرة من الخوف لوجب عليهم تعليل عدم الذهاب بالخوف فالعدول عنه الى هذه العبارة الدالة على عظم الجراءة تدل على الاستهانة (قوله وقيل اذهب أنت وربك يعينك) الظاهر ان هذا أيضا استهزاء لان المعلوم من عادة الله تعالى انه لا يغلب واحد بلا أنصار على الجموع الكثيرة القوية (قوله والرجلان المذكوران الخ) هذا جواب سؤال يتوهم على قوله انى لا أملك الا نفسى وأخى وتقريره ان الرجلين المذكورين كانا يوافقان موسى عليه السلام فلم قال لا أملك الا نفسى وأخى فاجاب بما ذكر (قوله أو على اسم ان) ويكون المعنى ان أخى لا يملك الا نفسه (قوله ورفعه عطفا على الضمير فى لا أملك) فيه انه يلزم أن يكون أخى فاعل املك وهو فاسد الا أن يقال فى مثل هذه الصورة أن يكون العامل فى المعطوف قد لا يكون العامل فى المعطوف عليه والمعنى انى لا يملك أخى الا نفسه قوله وجره عند الكوفيين الخ) فانهم جوزوا العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الخافض ويكون التقدير الا نفسى أخى

(قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم الخ) يمكن أن يكون معطوفا على قوله واذقال موسى اذهو فى تقدير واذ كر اذ قال موسى (قوله ولم يردبهما ابنى آدم الخ) زيف هـذا بما سيجىء من قوله تعالى فبعث الله غرابا الآية اذلو كانا غير ابنى آدم من صلبه لما التبس على القاتل مواراة أخيه بالدفن (قوله ظرف النبأ أوحال منه) فعلى الاول يكون التقدير نبأهما فى زمان قربانهما وعلى الثانى نبأهما واقعا فى زمان قربانهما وهذا مما زاد على الكشاف وفيه نظر لانهم صرحوا بان الحال قيد للعامل فيكون الوقوع فى زمان القربان كما فى ضربت زيدا راكبا اذ الركوب فى وقت الضرب فتأمل (قوله أو بدل على حذف مضاف) بدل البعض من الكل (قوله ظرف النبأ) لان نبأهما فى الاصل مصدر لانه حينئذ بمعنى المفعول فلم يبن التلميح الاصل (قوله لفرط الحسد على قبول قربانه) لك أن تقول يحتمل أن يكون التوعد المذكور لفرط العداوة على ما ترتب عليه من تزوج هابيل توأمته أى توأمة قابيل والجواب انه لما كان التزوج المذكور سبب تقبل قربانه نسب التوعد بالقتل اليه (قوله وان الطاعة لاتقبل الامن مؤمن متق) فيه ان المعلوم من قواعد الشرع ان كل نفس متقية كانت أو عاصية اذا وعلت الطاعة وأخلصت النية قبلت منها قال القرطبى قال علماؤنا رحمهم الله المخلصون وهم المؤمنون يعملون الفواحش والكبائر فحسناتهم توضع فى الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل دخل الجنة وان كانت السيئات أثقل دخل النار وهذا صريح فى قبول الطاعات والحسنات من غير المتقين اذ لولم تقبل أصلا لم تدخل فى الميزان ولم يكن لها أثر فيحمل الكلام على ان القربان المذكور لم يتقبل الامن المتقين وأقول يمكن أن يقال المراد من التقوى التقوى من الشرك والكفر والعبادة انما تتقبل من المتقين من الشرك فان من كان مشركا أو كان خاتمته الى الشرك

(محرمة عليهم) لايدخلونها ولايملكونها بسبب عصيانهم (أربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح أريحاء وأقام بها ماشاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر أخبرهم بان يوشع بعده نبى وأن الله سبحانه وتعالى أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون أى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة أحد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة أولادهم روى انهم لبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والا كثر على أن موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا أنه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع (فلا تأس على القوم الفاسقين) خاطب به موسى عليه الصلاة والسلام لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم) قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه وتعالى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل (بالحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة ملتبسة بالحق أوحال من الضمير فى اتل أو من نبأ أى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاوّلين (اذقربا قربانا) ظرف لنبأ أوحال منه أو بدل على حذف مضاف أى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم مايتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة أوغيرها كما أن الحلوان اسم مايحلى به أى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذقرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى أخس ماعنده (قال لأقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك (قال انما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه أى انما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى أن الحاسد ينبغى أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لافى ازالة حظه فان ذلك ممايضره ولاينفعه وأن الطاعة لاتقبل الامن مؤمن متق (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين) قيل

كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله سبحانه وتعالى لان الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما أنا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به و يطلق عليه ولذلك أكد النفى بالباء (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما أستسلم لك ارادة أن تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه المستبان ماقالا فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى و باثمك الذى لم يتقبل من أجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال أى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فأريد أن يكون لك لا لى فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لاخيه ويجوز أن يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه) روى أنه لما قتله تحير فى أمره ولم يدر ما يصنع به اذ كان أول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة والضمير فى ليريه لله سبحانه وتعالى أو للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فانه مما يستقبح أن يرى (قال يا ويلتا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة (أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) لا أهتدى الى مثل ما اهتدى اليه وقوله فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ههنا لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا أوارى أو على تسكين المنصوب تخفيفا (فأصبح من النادمين) على قتله لما كابد فيه من التحير

فى

فلا تتقبل منه الطاعة لكن خاتمة قابيل الى الشرك على ماروى انه لما قتل أخاه هرب عن أرض اليمن الى عدن فأتاه ابليس وقال انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار و يعبدها فبنى بيت نار وهو أول من عبد النار (قوله لان الدفع لم يبح بعد) أى دفع الصائل لم يكن مباحا يومئذ (قوله أو تحريا لما هو الافضل) هذا لا يناسب قوله تعالى انى أخاف الله رب العالمين لانه يفيد ان تحرى الافضل للخوف والخوف انما يكون علة للاحتراز عن غير الجائز لا عن المفضول الجائز ولذا لم يذكره صاحب الكشاف (قوله وانما قال ما أنا بباسط يدى اليك الخ) أى انما قال بالجملة الاسمية ليفيد العموم فى الازمنة (قوله ارادة أن تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى) أى مثل اثمى اذ لا اثم عليه حتى يتحمل عنه عين ذلك الاثم ثم لك أن تقول تحمل مثل الاثم الذى لم يقع لا وجه له اذ يلزم منه أن يكون للقاتل اثمان اثم قتله لصاحبه واثم قتل صاحبه اياه لو وقع واما تمثيله بالمستبان ماقالا فعلى البادى ففيه قياس مع الفارق فان السب وقع من الجانبين فتحمل البادى اثم السب الصادر من الساب الآخر فان قلت المراد من مثل اثمه أى مثل اثم هابيل هو اثم قتل قابيل اياه لان هذا الاثم مثل اثم هابيل لو بسط يده الى قتل قابيل قلنا فيكون المعطوف والمعطوف عليه واحدا لكن الظاهر ان المراد ههنا جمع الاثمين وهذا التفسير لصاحب الكشاف وتبعه المصنف لكن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة قالوا معناه تحمل اثم قتلى واثمك الذى كان قبل قتلى وفسره الزجاج بالتفسير الثانى من التفسيرين اللذين ذكرهما المصنف ويمكن أن يقال انه أراد اجتماع الاثمين عليه لكن لا يلزم من مجرد ارادة شئ وقوعه لكن بقى اما الباعث على هذا التفسير حتى يحوج الى هذا التكلف (قوله فالمراد بالذات ان لا يكون له الخ) لك أن تقول اذا كان المقصود بالذات ماذكر فلم عدل الى المعنى الذى ذكره ويمكن الجواب بان العدول لردعه عن القتل وتخويفه منه بان جزاءه الدخول فى النار (قوله ويجوز أن يكون المراد بالاثم الخ) فيه أن ارادة هابيل عقوبة قابيل باثمه مستلزمة لارادة اثمه اذ هذا القول صدر قبل القتل فكانه قال أريد أن تأثم بقتلى فعوقبت به ولو قيل المراد انى أريد ان عوقبت باثمك السابق على قتلى بقى انه لم يظهر لقوله باثمى معنى (قوله أو على ان قتل أخيه) أى تصور قتل أخيه دعاه (قوله وكيف حال عن الضمير) أى على أى حال يوارى وهى المواراة على تلك الكيفية المخصوصة (قوله كلمة جزع وتحسر) أى أتحسر وأجزع عن العجز عن مواراة سوأة أخى وقوله والمعنى الخ أى أصل معناه ذلك لكن استعمل ههنا فيما ذكر من التحسر (قوله اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت) فان ما بعد الفاء

الناصبة يكون مسببا عما قبلها كما فى قوله أما تأتينا فتحدثنا فان الاتيان سبب للتحديث فيكون حاصل المعنى لو تأتينا تحدثنا وماذكره ردعلى الكشاف فان قيل ما المراد من الاستفهام فى قوله تعالى أعجزت قلنا المراد التعجب اذ تعجب من قصوره عن الغراب وعدم هدايته لما اهتدى اليه فيكون عدم الاهتداء تفسيرا لقوله أعجزت الخ ولذا لم يعطف فالمناسب ما اهتديت الى ما اهتدى (قوله وعدم الظفر بما فعله من أجله) أى عدم الفوز بشئ قتل بسببه قابيل أخاه من أجل ذلك الشئ وهو تزوج توأمته لانه خلاف حكم الله الذى أوحاه الى آدم (قوله والمقصود منه تعظيم الخ) يعنى كل ما ذكر من وجوه الشبه يمكن اجراؤه فى غير ما ذكرنا بان يقال مثلا من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل اثنين أو جماعة لكن تشبيهه بقتل الجميع للتهويل وتعظيم أمر القتل (قوله من أجل أمثال تلك الجناية) أى من أجل الاحتراز عن أمثال تلك الجناية وهى القتل (قوله تعالى ثم انهم بعد ذلك فى الأرض

فى أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ أبويه منه اذ روى أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) بسببه قضينا عليهم وأجل فى الاصل مصدر أجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته أى من أن جررته أى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أى ابتداء الكتب ونشوءه من أجل ذلك (أنه من قتل نفسا بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد فى الارض) أو بغير فساد فيها كالشرك أو قطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء فى استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) أى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا) أى مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (أن يقتلوا) أى قصاصا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) أى يصلبوا مع القتل ان قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء خلاف فى أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى

لمسرفون) فان قيل ما فائدة فى الارض مع انه معلوم ان اسرافهم ليس الا فى الارض لا فى غيره قلنا ليعلم أن اسراف ذلك الكثير ليس أمرا مخصوصا بهم بل انتشر شره فى الارض وسرى الى غيرهم (قوله وبهذا اتصلت الآية بما قبلها) فان مضمون الآية المتقدمة وهى قوله تعالى واتل عليهم الآية عصيان ابن آدم بالقتل بعد نهيه عنه كما دل عليه قوله انى أريد أن تبوء باثمى واثمك اذ صار مضمون هذه الآية بسبب ما وقع فى آخرها وهو قوله تعالى ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون أم بنى اسرائيل بالقتل بعد نهيهم عنه فصار محصلهما واحدا وهو القتل بعد النهى عنه فحصل الاتصال بينهما ويمكن أن يقال ان المراد اتصال هذه الآية بما سبق من الآيات الواردة فى بنى اسرائيل من قوله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الى قوله تعالى واتل عليهم فان تلك الآيات بيان لعصيان بنى اسرائيل وطغيانهم وهذه الآية بسبب هذا الكلام الأخير مشتملة على عصيانهم أيضا فلذا حصل الاتصال وفى بعض النسخ اتصلت القصة بما قبلها أى اتصلت قصة ابنى آدم بما قبلها وعلى هذا فالمشار اليه بهذا قوله بعد ما كتبنا الخ فانه يوجب اتصال قصة ابنى آدم بما قبلها من أحوال بنى اسرائيل اذ تبين منه أن ذكر القصة هكذا لاجل حال بنى اسرائيل من أنه كتب عليهم بسببها ما ذكر من مفهوم قوله تعالى كتبنا الخ ثم انهم تجاوزوا عما كتب الله عليهم (قوله لان سعيهم كان فسادا) أى افسادا ليلائم قوله يفسدون والظاهر أن الغرض ان يسعون بمعنى يفسدون مجازا وقوله لان سعيهم كان فسادا أى مستلزما له فذكر السعى وأريد ما هو لازم له مجازا

(قوله واو على هذا للتفصيل) أى على مافسر بان يكون كل من العقوبات فى صورة أخرى وقيل انه للتخيير ضعفه جمهور الفقهاء بأنه يلزم منه انه اذا أخاف السبيل من غير القتل والاخذ أن يقتله الامام واذا قتل وأخذ المال أن ينفيه (قوله تعالى ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) ان قيل قال الامام النووى فى فتاويه وفى شرح صحيح مسلم اذا قتل الشخص قصاصا سقط عنه عقوبة الآخرة فكيف يكون له الخزى فى الدنيا وفى الآخرة العذاب العظيم قلنا اذا قتل قاطع الطريق قصاصا سقط عنه اثم القتل وبقى عليه اثم اخافة السبيل فانه ضرر بجماعة المسلمين وهذا الاثم عام لكل قاطع طريق فيكون له فى الآخرة عذاب بسبب الاخافة لكن هذا يخالف فى الظاهر للحديث الصحيح الذى رواه النووى أنه قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ فعوقب به كان كفارة له فى الآخرة اذ يعلم منه أنه اذا اقتصر على مجرد الاخافة ونفى من الارض يسقط عنه الاثم فليس له فى الآخرة عذاب لكن الآية دلت على ان عليه العذاب ويمكن أن يقال معنى الحديث أنه يسقط به مايتعلق بالله

تعالى واخافة السبيل فيه حق الله وحق المسلمين وبالنفى يسقط الاول دون الثانى ويمكن أن يقال لهم عذاب فى الآخرة ان لم يجر لهم الخزى فى الدنيا (قوله يسقط بالتوبة حق وجوبه لاجوازه) يفهم منه ان قتله مع كونه قصاصا واجب فى هذه الصورة لايسقط بعفو ولى القصاص بخلاف سائر صور القصاص (قوله بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة) فالظاهرة الكفرة المحاربون والباطنة النفس الحيوانية الامارة والشيطان (قوله أولان الواو فى مثله بمعنى مع) كذا فى الكشاف فيكون الضمير راجعا الى مافى الارض الموصوف بكونه مع مثله قال العلامة التفتازانى لايخفى ان مافى الارض ليس معمولا لذلك الفعل المحذوف ولا متعلقا به من جهة المعنى بل بمعنى الحصول المستفاد من الظرف الواقع خبر ان أعنى حصل لهم ولا يجوز أن يجعل هو العامل فى المفعول معه لانه اذا كان للعامل معنى وجاز العطف تعين العطف مثل مالزيد وعمرو بالجر ولا يجوز عمرا بالنصب اه أى اذا كان مثله معمولا للفعل المستفاد من الظرف يجب أن يكون مرفوعا لانه يجب عطفه على الضمير الذى يكون فاعل حصل (قوله والجملة تمثيل للزوم العذاب) أى مجاز مركب عنه من غير نظر الى مفردات التركيب يعنى ان هذا المجموع مستعمل فى معنى المجموع الذى هو لاسبيل لهم الى الخلاص من العذاب (قوله للمبالغة) يعنى ان المناسب لقوله تعالى يريدون أن يخرجوا أن يقال مايخرجوا فالعدول عنه الى ماذكر لنكتة هى المبالغة فان ماهم بخارجين فيه تكرر نفى نسبة الخروج اليهم وتأكيد النفى بالباء كما قالوا زيد يضرب أبلغ من يضرب زيد لان فيه تقوى النسبة (قوله والفاء للسببية الخ) هذا من تتمة كلام المبرد وتوضيحه ان اللام فى السارق والسارقة لام الموصول فيكون اسما الفاعل فعلين فى صورة الاسم والتقدير ماذكر فيكون المبتدأ متضمنا لمعنى الشرط

ان أخذوا المال ولم يقتلوا (أو ينفوا من الارض) ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر أبو حنيفة النفى بالحبس وأو فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى (فاعلموا أن الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان أسقطت العذاب وأن الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) أى ماتتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله سبحانه وتعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو أن لهم مافى الارض) من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة) واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت أن لهم مافى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيآن اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك أولان الواو فى ومثله بمعنى مع (ماتقبل منهم) جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب أليم) تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من أخرج وانما قال وماهم بخارجين بدل ومايخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية

دخل

فلذا يصح دخول الفاء فى الجزاء وهذه الفاء تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها بالاتفاق فلا يكون الكلام من باب شريطة التفسير (قوله وهو المختار فى أمثاله) فيه نظر اذ يلزم منه أن يكون القرآن على غير المختار وأما ترجيح النصب بما ذكره ففيه ان العلامة التفتازانى ذكر ان الامر يقع فى مثل هذا الموقع خبرا للمبتدا بلا تأويل وذلك لكونه فى الحقيقة جزاء الشرط وتفضيل سيبويه قراءة النصب على قراءة العامة انما هو على تقدير عدم التأويل أى تأويل الكلام بالجملة الشرطية وعدم الصرف من باب شريطة التفسير وعبارة الكشاف أحسن من عبارة المصنف فانه قال وقراءة عيسى بن عمرو بالنصب وفضله سيبويه على قراءة العامة وانما كان أحسن لانه لم يجزم بكون النصب مختارا لما نقله عن سيبويه مع أن العلامة الطيبى نقل عن صاحب الفوائد أن سيبويه مافضل النصب مطلقا بل فضله اذا بنى الاسم المتقدم على فعل الامر أما اذا لم يبن عليه بل بنى على محذوف جاء الفعل طارئا عليه فعنده لا يكون النصب مختارا ولذا قال تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم والتبس الامر على الزمخشرى فظن ان الكل باب واحد (قوله ودل على فعلهما فاقطعوا) بل الجزاء والنكال يدلان على فعلهما وانما لم يعطف نكالا على جزاء للاشعار بان القطع للجزاء علة للنكال (قوله اكتفاء بتثنية المضاف اليه) أى لم يثن المضاف اليه لكونه تكريرا للتثنية (قوله والتفصى عن التبعات) أى عن مظالم العباد التى حصلت بالسرقة (قوله والعزم على عدم العود اليها) أى السرقة هذا باعتبار انه جعل التوبة مجرد الندم على ما فعل فيجب اعتبار العزم المذكور معه (قوله لان ما فيه حق المسروق منه) فيه نظر اذ لو كان عدم السقوط لما ذكر لزم السقوط اذا عفا المسروق منه وليس كذلك بل الفقهاء صرحوا بان حد السرقة محض حق الله تعالى (قوله ايتاء على ترتيب ما سبق) فان العقوبة المستفادة من فاقطعوا أيديهما الآية مقدم فى الذكر على المغفرة التى هى قبول التوبة (قوله لا بآمنا) اذ لو كان متعلقا به لكان مقول قولهم آمنا بافواههم وليس كذلك لوجهين (قوله ليكذبوا عليك فى كلامك) انما قال فى كلامك لان الافتراء المطلق لا حاجة فيه الى سماع كلام المفترى عليه وانما الكذب فى كلامه بان يزيد و ينقص ما يحتاج اليه (قوله والمعنى على الوجهين الخ) تعريف الوجهين مشعر بان هذين الوجهين هما الوجهان المذكوران سابقا لكن الوجه الثانى من هذين غير الثانى

دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى أمثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة أخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى أن المقطع هو المنكب والجمهور على أنه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) أى بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتفصى عن التبعات والعزم على أن لا يعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة وأما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق أو لان استحقاق التعذيب مقدم أو لان المراد به القطع وهو فى الدنيا (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) أى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا أى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر محذوف أى هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين يسارعون و يجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع معنى القبول أى قابلون لما تفتريه الاحبار أو للعلة والمفعول محذوف أى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين أى مصغون لهم قابلون كلامهم أو سماعون منك لاجلهم والانهاء اليهم و يجوز أن تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد أى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين (يحرفون الكلم من بعد

مواضعه) أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله أو تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة أخرى لقوم أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه أو استئناف لا موضع له أو فى موضع الرفع خبر لمحذوف أى هم يحرفون وكذلك (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) أى ان أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل أفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) أى احذروا قبول ما أفتاكم به روى أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته أو فضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من الله شيأ فى دفعها (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (أكالون للسحت) أى الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب فى المواضع الثلاثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان أو أحدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست فى أهل الذمة وعند أبى حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمر الله به (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا أو بك وبه (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف عما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعنى أنبياء

بنى

من الاولين (قوله أى يميلونه عن مواضعه) هذا بيان حاصل المعنى واما تبيين أصل المعنى فبان يقال يميلونه من بعد وضعه فى مواضعه ولك أن تقول ما فائدة لفظة بعد ولم يقل من مواضعه والجواب ان ما ورد صريح فى تحقق مواضعه فيفيد الاهتمام (قوله اما باهماله أو تغيير موضعه) أى اما تركه واما وضعه فى غير موضعه (قوله أو حال من الضمير فيه) يلزم أن يكون التحريف فى حال السماع (قوله وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة) فانهم ذهبوا الى ان الله تعالى أراد اسلام الكافر وتطهيره عن الشرك لكنه لم يقع (قوله لانا التزمنا الذب عنهم الخ) فان قلت اذا كان أحدهما ذميا يمكن أن يكون هو الظالم فلم تجر العلة المذكورة فى هذه الصورة مع انه يجب الحكم قلنا ما لم يكن الظلم ظاهرا عند الترافع جاز أن يكون الذمى مظلوما فيجب الحكم فان قلت اذا كان المدعى عليه ذميا دون المدعى كيف يتصور الذب عنه قلنا يتصور بدفع مطالبة المدعى وايذائه عنه (قوله وعند أبى حنيفة يجب مطلقا) سواء كانا ذميين أو أحدهما ذميا أولا (قوله فان الله يعصمك من الناس) فيه ان المصنف فسر العصمة أى فى قوله تعالى والله يعصمك من الناس بعصمة الروح وهو لا ينافى المضرة مطلقا والجواب ان مراده ههنا من ايراد هذه العبارة عدم الضرر مطلقا فتأمل (قوله لاعراضهم عنه) فان قلت الاعراض عن الشئ لا ينافى الايمان به لانه تصديق قلبى ويمكن وجود التصديق بحقيقة الشئ مع الاعراض عنه قلنا قد حققنا أن الايمان هو التسليم والرضا القلبى والاعراض عن الشئ دال على عدم الرضا به فلا يجتمع مع الرضا الذى هو الايمان

(قوله أوموسى ومن بعده) حتى يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله مدحالهم) اعترض عليه بان النبوة أعظم من الاسلام فكيف يمدح النبي بانه رجل مسلم ولايخفى ان النزول من الاعلى الى الادنى قصور فى البلاغة واما وصف القديم سبحانه بالصفات فانما هو لان المقصود من الله الموصوف بها لذات لا الموصوف بالالوهية واعلم ان عبارة الكشاف هكذا صفة أجريت على سبيل المدح والسؤال المذكور يتجه عليه أيضا لكن أجاب عنه العلامة التفتازانى بان المراد صفة أجريت على طريق المدح وان لم يكن المقصود منه مدحهم بل يقصد التعريض باليهود انتهى كلامه ولايخفى انه لايمكن دفع الاعتراض عن المصنف بالجواب المذكور ويمكن أن يقال الغرض من مدح النبيين بوصف الاسلام مدح الوصف نفسه لان مدح النبيين مع وصفهم بالنبوة بالاسلام غاية مدح الاسلام وترغيب الناس فيه فباعتبار ماذكر داخل فى البلاغة (قوله وتنويها بشأن المسلمين) أى تعظيما لهم فان الاسلام الذى هو صفتهم مدح به الانبياء (قوله وتعريضا باليهود) أى تعريضا بانهم غيرمسلمين اذجعل الاسلام صفة النبيين دون

اليهود يومئ اليه واذا كانوا غيرمسلمين

بنى اسرائيل أوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين مدحالهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم (للذين هادوا) متعلق بانزل أو بيحكم أى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين أنبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لايتركون أن يغير أوشهداء يبينون مايخفى منه كمافعل ابن صوريا (فلاتخشوا الناس واخشون) نهى للحكام أن يخشوا غيرالله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أومراقبة كبير (ولاتشتروا بآياتى) ولاتستبدلوا باحكامى التى أنزلتها (ثمناقليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها أولطائفة كماقيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) فى التوراة (أن النفس بالنفس) أى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائى على أنها جمل معطوفة على أن ومافى حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول أومستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوأة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن أوعلى

كانوا بمعزل عن دين الانبياء (قوله وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم) لان تخصيص الحكم باليهود دال عليه ولايتوهم ان هذا نقيض ماسبق من انه يجوز أن يكون المراد أنبياء بنى اسرائيل ويجوز أن يكون المراد أعم لان المراد من الدلالة ههنا رجحان المعنى الاول بقرينة اللام الدالة على الاختصاص وان احتمل المعنى الآخر وأيضا اذا جعل للذين هادوا متعلقا بانزلنا يجوز تعميم الانبياء (قوله والراجع الى ما محذوف) أى بما استحفظوه فان استحفظ متعد الى مفعولين صرح به صاحب الصحاح (قوله تعالى فلاتخشوا الناس) لماقال تعالى انا أنزلنا التوراة قال بعد ذلك فلاتخشوا الناس أى فاحكموا بمايوافق مقتضاها ولاتخشوا الناس فتجاوزوا عنها (قوله ولذلك الخ) أى ولاجل حكمهم بغيرها وصفهم (قوله ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاثة الخ) يعنى يجوز أن يكون كل واحدة من الصفات باعتبار حال مخصوص لطائفة مخصوصة كماذكر من ان كفرهم لانكاره الخ ويجوز أن تكون موزعة على الطوائف بان تكون واحدة من الصفات لطائفة مخصوصة وأخرى لاخرى (قوله فرضنا على اليهود) ههنا محل نظر وهو ان هذا الكلام يدل على ان القصاص فرض على اليهود وفى شرح المواقف ان القود أى القصاص متعين على اليهود وهذا ينافى ماسيجىء من قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له لانه اذا جاز العفو لم يكن القصاص متعينا فالجواب ان هذا الحكم وهو التصدق بالنظر الينا لايكون شرع اليهود (قوله باعتبار المعنى) لان معنى كتبنا عليهم ان النفس بالنفس كتبنا عليهم النفس بالنفس (قوله أومستأنفة) المقصود منه ان تكون جملة مستقلة لاأن تكون تحت كتبنا بل جواب سؤال يعنى لماقيل ان النفس بالنفس فكانه سأل سائل ماحال العين وغيرها فقيل العين بالعين

أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن و في أذنيه باسكان الذال حيث وقع (والجروح قصاص) أي ذات قصاص وقرأه الكسائي أيضا بالرفع و وافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص أي فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه مالزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما أنزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) أي وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) في موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعلقا به وعطف (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن ان موصولة بالامر كقولك أمرتك بان قم أي وأمرنا بان ليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون) عن حكمه أو عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي القرآن (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له .

(قوله معطوف على المستكن في قوله بالنفس) ويكون المعنى النفس مأخوذة هي بالنفس ومأخوذة العين بالعين وانما قال في الاصل لان أصل التركيب في الحقيقة ان النفس مأخوذة هي بالنفس فكان الضمير مفصولا عن الظرف الذي هو النفس فالمراد بالظرف قوله تعالى بالنفس (قوله والجار والمجرور) هو بالعين ونظائره لان المعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس ومأخوذة العين أي عينه المفقوأة بالعين فيكون الجار والمجرور متعلقا بما هو الحال حقيقة وانما جعل بالعين مبينة للمعنى لان قوله ان النفس مأخوذة العين لا يظهر له معنى الا بقوله تعالى بالعين (قوله على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل) ظاهر العبارة يدل على أن كونه اجمالا بعد التفصيل على قراءة الاربعة المذكورة ولك أن تقول على قراءة النصب أيضا اجمال للحكم بعد التفصيل ويمكن أن يقال انه اذا نصب الجروح عطفا على النفس كان الظاهر أن تكون الجروح لا تشمل ما ذكر اذ الظاهر الغالب عدم دخول أحد المعطوفين في الآخر فلا يكون اجمالا بعد تفصيل لان المراد من الاجمال اجمال الحكم في جميع ما فيه القصاص وأما اذا رفع الجروح فلا يكون معطوفا على ما ذكر فالظاهر كونه اجمالا بعد التفصيل (قوله عطفا على محذوف) مثل بيانا فيكون المعنى وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة بيانا وهدى وموعظة (قوله أو تعلقا به) أي أو تعلقا بمحذوف ويكون التقدير وآتيناه هدى وموعظة فيكون أو تعلقا معطوفا على عطفا والمعنى أنه يجوز نصبهما بكونهما مفعولا لهما وهذا على وجهين أحدهما عطفهما على محذوف هو مفعول له كما ذكرنا والثاني أن يكونا مفعولا لهما لفعل محذوف والتقدير وآتيناه الانجيل هدى وموعظة وعلى هذين التقديرين يكون وليحكم معطوفا على ما ذكر (قوله وعلى الاول الخ) أي على تقدير جعلهما حالين لا يصح عطف ليحكم عليهما بل يكون متعلقا بفعل مقدر هو آتينا وهذا كله على قراءة حمزة وهي أن يكون ليحكم بنصب الميم لتكون اللام لام العلة وأما على قراءة غيره وهو جزم ليحكم معطوف على محذوف مثل ليتبعوه وليتدبروا أو بتقدير وقلنا ليحكم (قوله وأن اليهودية منسوخة الخ) لانه تعالى أوجب العمل بما في الانجيل وفيه نظر اذ الظاهر ان من لم يحكم من أهل الانجيل بما أنزل الله فيه لم يعلم من مجرده نسخ اليهودية الا اذا ثبت أن كل اليهود من أهل الانجيل وهذا لا يفهم من مجرد الآية لم لا يجوز أن يكونوا جمعا مخصوصا نعم يعلم من خارج أن دين عيسى ناسخ لليهودية (قوله يحفظه عن التغيير) هذا مما زاد على الكشاف وهو صريح في أن القرآن حافظ للكتب السماوية عن التغيير لكن القرآن ناطق بأن اليهود قد غيروا التوراة كما قال أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فانهم قد فسروا وابانهم قد غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وآية الرجم الا أن يقال ان تحريفهم كان قبل نزول القرآن و بعده لا يغير شئ من الكتب لكن لا بد لهذا من دليل

(قوله لتضمنه معنى لاتنحرف) فيكون المعنى لاتنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم كذا فى الكشاف وهذا أولى ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف وانما كان أولى لأن المقصود من النهى ههنا النهى عن اتباع أهوائهم وفى قوله لاتنحرف عما جاءك متبعا أهواءهم اشعار بان المقصود النهى عن اتباع أهوائهم كما فى قولك لاتذهب الى فلان راكبا فان المقصود النهى عن الركوب بخلاف الاحتمال الثانى فانه لايدل على ماذكر بل يدل ظاهرا على أن المقصود النهى عن الميل عما جاءاليه (قوله لانه

له بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هوالله سبحانه وتعالى أوالحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أى بما أنزل الله اليك (ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه فمن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف أوحال من فاعله أى لاتتبع أهواءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه. (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم). من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والحكم أوعلى الحق أى أنزلناه بالحق وبان احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم (ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أى أن يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أى احذر فتنتهم أومفعول له أى احذرهم مخافة أن يفتنوك روى ان أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * أو يرتبط بعض النفوس حمامها * (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون فى الكفر معتدون فيه (أفحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى أهذا الذى بعث

طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية) يفهم منه وجه الشبه بين الدين والشرعة فانها طريق الى الماء الذى هو سبب الحياة الدنيوية فهما مشتركان فى سببية مطلق الحياة (قوله واستدل به الخ) اذ لما كان لكل شرعة ومنهاجا خاصين فلا وجه لاتباع شرع من قبلنا وانما قال استدل بصيغة التضعيف اذ على تقدير أن يكون شرع من قبلنا شرعا صح ان لكل منا شرعة ومنهاجا كما صح ان لكل من المسلمين شرعة (قوله وحيازة لفضل السبق والتقدم) لان من سبق فى الخير دال لغيره عليه فله أجر من عمل ممن تبعه (قوله بالجزاء الفاضل الخ) فيكون الانباء بالفعل لابالقول (قوله ويجوز أن يكون جملة) يعنى على التقديرين الاولين يكون احكم بمعنى المصدر لكن يجوز أن يكون جملة فتكون ان مفسرة لان الامر فى معنى القول (قوله وفيه دلالة على

التعظيم كما فى التنكير) فى التعبير ببعض الذنوب وعدم تعيينه اشعار بانه لاينبغى أن يتلفظ به لشدة قبحه (قوله أو يرتبط بعض النفوس) يريد ببعضها نفسه وقصد بذلك تعظيمها اذ فى ابهامه اشعار بأنه يعسر تعيينه ووصفه لعظم شأنها فيعبر عنه بعبارة مبهمة (قوله واستضعف ذلك فى غير الشعر) أى حذف الضمير من خبر المبتدأ كما فى المثال المذكور نص عليه سيبويه كما نقله عنه الرضي

(قوله وقرئ أفحكم الجاهلية) بفتح الكاف (قوله كما فى هيت لك) ومعناه هيت والخطاب لك (قوله لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضارتكم) الاول خاص بموالاة بعض اليهود بعضا وموالاة بعض النصارى بعضا والثانى عام لما ذكر ولموالاة اليهود والنصارى (قوله وهذا للتشديد) أى ليس من والاهم من المؤمنين منهم فى الحقيقة ولكن عده منهم للتشديد والمقصود من قوله تعالى فانه منهم انه قريب منهم أو هو فى الظاهر منهم فان من نظر الى موالاته لهم بحسب أول الامر انه منهم (قوله لاتتراءى ناراهما) قال العلامة التفتازانى ذكر فى الفائق ان قوما من مكة أسلموا وكانوا مقيمين بها قبل الفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا برىء من كل مسلم مع مشرك فقيل لم يارسول الله فقال لاتتراءى ناراهما أى يجب أن يتباعدا بحيث اذا أوقدت ناراهما لم تلح احداهما

الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك أى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور و يتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم أولياء بعض) ايماء الى علة النهى أى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضادتكم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) أى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لاتتراءى ناراهما أولان الموالى لهم كانوا منافقين (ان الله لايهدى القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى ابن أبى واضرابه (يسارعون فيهم) أى فى موالاتهم ومعاونتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) يعتذرون بانهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى أن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال ابن أبى انى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى فنزلت (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء أو الأمر باظهار أسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أى هؤلاء المنافقون (على ماأسروا فى أنفسهم نادمين) على مااستبطنوه من الكفر والشك فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم (و يقول الذين آمنوا) بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على أنه كلام مبتدأ و يؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ و بالنصب قراءة أبى عمرو و يعقوب عطفا على أن يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتى الله بالفتح و يقول الذين آمنوا أو بجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتى بالفتح و بقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم)

الاخرى واسناد الرؤية الى النار مجاز كما يقال دور فلان تتناظر أى تتقابل (قوله فترى الذين الخ) هذه الفاء اما للسببية المحضة أى بسبب ان الله لايهدى القوم الظالمين الذين هم المنافقون الموالون لاعداء الله ترى الذين فى قلوبهم مرض أو للعطف على قوله ان الله لايهدى القوم الظالمين من حيث المعنى فكأنه قيل ترى الظالمين لايهديهم الله فى الموالاة معك فترى الذين فى قلوبهم مرض (قوله تعالى فعسى الله) الفاء علة لمحذوف والتقدير لاتبال بما قالوا ولا تحزن به فعسى الله الآية فان الوعد والترجية من الله الكريم متحقق الوقوع وهذه الفاء كما فى قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم (قوله شأفة اليهود) الشأفة بالشين المعجمة والفاء قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى وتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكى (قوله على أنه كلام مبتدأ) فتكون الجملة معترضة تفيد مقالة المؤمنين فى الحالة المذكورة (قوله عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى) المراد عطفه على يأتى حتى يلزم دخول ان عليه (قوله او بجعله بدلا من اسم الله) أى بجعل ان يأتى بدلا منه (قوله فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به) يعنى انه لايأتى بقولهم بل الآتى بقولهم هم لكن لما كان الله تعالى آتيا بما يوجب قولهم المذكور فهو كالآتى بقولهم ووجه الشبه السببية للقول المذكور وهذا على تقدير ان يكون الاتيان بالقول الاتصاف بكونه قائلا له وفيه انه لاحاجة الى هذا التكلف اذ يمكن ان يكون المراد من الاتيان بالشىء ايجاده والآتى بكل شىء فى الحقيقة هو الله تعالى اذ هو الفاعل المستقل لكل شىء

على ماهومذهب أهل السنة ثم ان مجرد كون الاتيان بما يوجب الشئ شبيها بالاتيان به لايصحح نسبة الاتيان اليه الاان يقال مراده انه قيل أتى الله بقول المؤمنين وأريد أتى الله بما يوجب قول المؤمنين وفيه من التكلف مالايخفى مع ان مايوجبه هو الفتح ولعل مراده مما ذكر بيان مناسبة بين المعطوف عليه وهو الاتيان بالفتح و بين المعطوف وهو قول المؤمنين (قوله وفيه معنى التعجب) لان حبوط أعمالهم دفعة مع اشتغالهم بها مدة مديدة فوجب التعجب واعلم ان عبارة الكشاف هكذا حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أى بطلت أعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى أعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أحبط أعمالهم أومن قول الله عز وجل

يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص أو يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان أغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لانه بمعنى أقسموا (حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين) اما من جملة المقول أومن قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر فى أواخر ربيع الاول و بنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشى قاتل حمزة و بنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى و بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل و بنو يربوع قوم مالك بن نويرة و بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده وفى امرة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف يأت الله بقوم يحبهم و يحبونه) قيل هم أهل اليمن لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار الى أبى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة و بجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع

شهادة لهم بحبوط أعمالهم قال العلامة التفتازانى انما قال فى الاول فيه معنى التعجب اذ ليس للمؤمنين بذلك شهادة ولا فيه فائدة بخلاف ما اذا كان من قول الله تعالى فانه شهادة بذلك وحكم وفيه تعجيب للسامعين انتهى فحكم بحصول معنى التعجب على التقدير الاول و بحصول التعجب على الثانى لكن المصنف حكم بعد ذكر الوجهين بان فيه معنى التعجب وهذا يحتمل وجهين أحدهما على الوجهين فيه معنى التعجب والثانى ان فيه معنى التعجب على الوجه الأخير وعلى كلا التقديرين مخالف لظاهر كلام الكشاف و يمكن توجيه كلام المصنف بان مراده ان معنى التعجب يحصل من الكلام المذكور سواء كان التعجب للقائل أو لغيره (قوله لانه بمعنى أقسموا) أى بمعنى مصدره (قوله وهذا من الكائنات التى أخبر الله عنها قبل وقوعها) كذا فى الكشاف وفيه ان من يرتد منكم الخ لايدل على وقوع الارتداد اذ هو جملة شرطية لاتدل على وقوع الطرفين أو أحدهما كما اذا قيل من يكون شريكا فى الالوهية فهو خالق فانه صادق مع امتناع الطرفين والاولى ان يقال ان وقوعه مستفاد من قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم الخ اذ هو يدل على وقوع اتيانهم مكان المرتدين كما فسروه والجواب انه لو كان الكلام لمجرد الفرض والتقدير لكان الكلام قليل الجدوى والوجه ان يقال ان المقصود منكم من يرتد ومن يرتد عن دينه فسوف يأتى الله الآية (قوله من افناء الناس) قال فى الصحاح يقال هو من أفناء الناس اذا لم يعلم انه ممن هو

(قوله أوللمقابلة) فانه وقع مقابلا لاعزة على الكافرين (قوله مبالغتان) احداهما فى وحدة اللومة والاخرى فى تنكير لائم اذ هو يفيد انهم لايخافون أى لومة من أى لائم كان وههنا كلام وهو انه لوقيل ولا يخافون لوم لائم يكون نفى الخوف من جنس اللوم فيفيد ان لاخوف لامن القليل ولامن الكثير بخلاف اللومة فان معناه نفى الخوف من اللوم الواحد فيوهم جواز الخوف من اللوم الكثير والجواب ان مراده انه فى الاصل للمرة لكن المراد ههنا الجنس مجازا ونكتة التجوز الاشعار بان جنس اللوم من كل لائم عندهم فى حكم اللومة الواحدة ويؤيد ذلك ماقاله النيسابورى معناه لايخافون شيأ قط من لوم أحد من اللوام ويمكن ان يقال الخوف من اللوم الكثير يستلزم الخوف من اللوم الواحد لانه من أسباب اللوم الكثير ومقدماته فاذا حصل خيف منه حصول الكثير عنده فتأمل ثم انه يحتمل ان تكون اللومة بعض اللوم فاذا انتفى الخوف عن بعض اللوم انتفى عن كل بعض فيفيد نفى الخوف عن كل لوم لكونه نكرة فى سياق النفى (قوله للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة الخ) فيكون التقدير انما وليكم الله وكذلك رسوله والذين آمنوا هكذا قرره العلامة الطيبى وفيه انه يلزم التناقض من ظاهر الكلام لانه حصر الولاية أولا لله تعالى ثم شرك فيها رسوله والمؤمنين ويمكن ان يقال المعنى انما وليكم بالاصالة هو الله تعالى وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أى يشتركون فى أصل الولاية وان كانوا تابعين فيها ثم انه يمكن ان يقال لاحاجة فى اثبات الاصالة والاتباع المذكورين الى التقدير الذى ذكر لان اثبات الولاية أولا لله ثم لرسوله يومئ الى ان اثباتها له عليه السلام بالاتباع بخلاف مالو كان مقام المفرد والجمع بان قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا فان المجموع خبر عن الاولياء فلا يفيد اثبات الولاية أولا لله تعالى (قوله فانه جرى مجرى الاسم) يعنى الذين آمنوا وصف لان الموصول وضع لكونه وصلة الى وصف المعارف والوصف لايوصف فاجاب بان الذين يؤمنون فى معنى المؤمنين الثابتى الايمان فهو اسم يستحق ان يوصف واعلم ان العلامة التفتازانى قال ههنا لم يجعل صاحب الكشاف الذين يقيمون وصفا للذين آمنوا لانهما وصفان والوصف لايوصف الا اذا أجرى مجرى الاسم كالمؤمن مثلا بخلاف الذين آمنوا فانه فى معنى الحدوث ألا ترى أنه جعل الذى يوسوس صفة الخناس لانه ليس فى معنى الحدوث انتهى كلامه ولا يخفى مخالفة هذا الكلام لقول المصنف فتأمل (قوله والظاهر ماذكرنا) لانه سبق ان الولاية بمعنى المحبة فى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء اذ الظاهر ان المراد بالولاية ليس المستحق للتصرف والمتولى الامور اذ المؤمنون لايتخذون الجماعة المذكورة حكاما (قوله وان صح انه نزل فيه فلعله الخ) فيه انه يلزم أن يكون من شرط الولى ايتاء الزكاة حال الركوع ان أريد بالذين آمنوا الخ على رضى الله عنه وغيره وان أريد على رضى الله عنه فقط بقى السؤال الوارد على ايراد لفظ الجمع (قوله وعلى هذا يكون دليلا الخ) أى على ان يكون وهم راكعون حالا مخصوصة ليؤتون الزكاة (قوله وان صدقة التطوع تسمى زكاة) فيه انه يحتمل أن يكون

ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على امالتضمنه معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة (أعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير فى أعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفق له (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لمانهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وان صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل القليل فى الصلاة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله

طرح الخاتم لاداء صدقة الفرض بان يكون خاتم فضة يؤدى به زكاة الفضة (قوله تنبيها على البرهان) فان كون الجماعة حزب الله دليل على غلبتهم على عدوهم لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فان قلت لو عبر عنه بالضمير لكان مشتملا على البرهان أيضا لان الضمير راجع الى من يتولى الله ورسوله وكون الشخص متوليا لله ورسوله دليل على الغلبة قلنا الضمير راجع الى نفس الذات المذكورة ولا يدل على اعتبار الصيغة وقدمر فى أوائل تفسير سورة البقرة ان التعبير باسم الاشارة فى قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم يدل على اعتبار الصفات المذكورة سابقا بخلاف مالو عبر عن المذكورين بالضمير بن فقيل هم على هدى من ربهم وقد سلف توضيحه (قوله على ان النهى عن موالاة الخ) أى ان النهى المذكور نهى

عن موالاة الكفار مطلقا سواء

والذين آمنوا) ومن يتخذهم أولياء (فان حزب الله هم الغالبون) أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهى (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) أى اتخذوا الصلاة أو المناداة وفيه دليل على أن الاذان مشروع للصلاة روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها فى البيت فأحرقه وأهله (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) فان السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا أنكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهى لغة (الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان أكثركم فاسقون) عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة أى ماتنكرون منا الا المخالفتكم حيث دخلنا الايمان وأنتم خارجون منه أو كان الاصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ماأى وماتنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا أن آمنا لقلة انصافكم وفسقكم أو نصب باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أى ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على

كان الخ (قوله من ليس على الحق رأسا) أى أصلا (قوله وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة) اذ فيه النداء الى الصلاة وقد ذمهم الله تعالى باتخاذه هزوا فدل على كونه أمرا مشروعا اذ لو كان غير مشروع لم يذم الهازى به (قوله تعالى وان أكثركم فاسقون) فان قيل قوله تعالى ياأهل الكتاب هل تنقمون منا يدل على ان المخاطبين كلهم ناقمون للمؤمنين ولا يخفى ان الناقمين كلهم فاسقون فما معنى قوله تعالى ان أكثركم فاسقون قلنا معناه ان أكثر قومكم فاسقون لان بعض قومهم وهم اليهود أسلم كعبد الله ابن سلام وشيعته واذا كان المعنى ماذكرنا يكون أكثر القوم هم المخاطبين الناقمين ولا يخفى لطف هذا المعنى بهذه العبارة ولعل

حذف المضاف لاجل هذه النكتة والاولى أن يقال وان أكثركم فاسقون أى كاملون فى الفسق فان الاحبار والرؤساء وشيعتهم يضلون غيرهم من أراذلهم فلهم كمال الفسق (قوله واعتقاد ان أكثركم فاسقون) فيكون الاعتقاد معطوفا على ان آمنا لانه بتقدير الايمان بالله أى ماتنقمون منا الا ايماننا بالله واعتقاد نافسقكم وانما قدر هذه التقديرات لان انكارهم وعيبهم المؤمنين بايمانهم متصور فاما انكارهم وعيبهم المؤمنين بان أكثرهم أى أهل الكتاب فاسقون فلا وجه له اذ هذا الوصف عيب أهل الكتاب لا عيب المؤمنين (قوله أى ولا تنقمون ان أكثركم فاسقون) فيكون محصل الآية توبيخ أهل الكتاب بانكم تعيبون منا الايمان ولم تعيبوا فسقكم

الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال أومن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) أى من ذلك المنقوم (مثوبة عند الله) جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على التمييز عن بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على حذف مضاف أى بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أى هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت و بعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين فى أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول و رفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أى فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد على أنه نعت كفطن ويقظ أو عبدة أو عبد الطاغوت على أنه جمع كخدم أو ان أصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه فى معصية الله تعالى (أولئك) أى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (وأضل عن سواء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلالة (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا و بالكفر و به حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضا لما فيها من التوقع أن امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) أى

(قوله أى وفسقكم ثابت) فيكون جملة حالية أى لا تنقمون منا الا فى حال فسقكم (قوله الى قوله ونحن له مسلمون) فكان قوله صلى الله عليه وسلم أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى الآية (قوله فوضعت ههنا موضعها الخ) أى وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريق المبالغة والتهكم يعنى على تقدير أن يكون المنقم شيأ منكرا فانتم يا أهل الكتاب شر منه ولا يخفى انه مستلزم للمبالغة باعتبار انهم شر من المنكر والتهكم باعتبار استعمال المثوبة فى العقوبة كما ان المثال المذكور يفيد المبالغة والتهكم باعتبار جعل التحية بينهم ضربا وجيعا (قوله عطفه على من) فانه على التقديرين الاولين مجرور (قوله جعل مكانهم شرا) فكان خبثهم وقباحتهم بمرتبة من الشدة بحيث يسرى الى مكانهم وأيضا هو من الكناية (قوله وقيل مكانا منصرفا) أى منقلبا وهو جهنم (قوله بين غلو النصارى وقدح اليهود) فان النصارى غلوا فى أمر عيسى وقالوا فى شأنه ما حكى عنهم فى القرآن وسيجىء واليهود قدحوا فيه وقالوا ما هو برىء منه والاولى فى تفسير سواء السبيل الاكتفاء بقصد الطريق والتوسط واما تخصيصه بما ذكر فلا يظهر له وجه ولذا لم يذكره غيره (قوله الزيادة مطلقا) أى لهم الزيادة فى الامرين على بعض الاغيار كالنصارى مثلا ثم انه لو قيل الزيادة بالاضافة الى المؤمنين لم يبعد فيكون الكلام على سبيل الفرض والتقدير كما فى قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فان الحسنية بالنسبة الى أصحاب النار فيكون الكلام على الفرض والتقدير يعنى لو كان لمستقر أصحاب النار ومقيلهم حسن لكان أصحاب الجنة خيرا مستقرا وأحسن مقيلا فصار مطابقا لما ذكر أولا من قل هل أنبئكم بشر من ذلك ثم انه يمكن أن يقال ان الاضل بمعنى الضال فقد قال الرضى ان افعل اذا كان مجردا عن اللام والاضافة أو من كان بمعنى الفاعل والتعبير عنه بافعل للمبالغة فى الضلال (قوله لما فيها من التوقع الخ) فيفيد توقع دخولهم ملتبسا بالكفر وخروجهم أيضا ملتبسا به (قوله تعالى وهم قد خرجوا به) فان قلت لم لم يقل وقد خرجوا به كما قيل وقد دخلوا بالكفر قلت لافادة تأكيد الكفر بسبب التقوى ٧ لانهم كافرون عند الدخول واذا دخلوا وسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكروه زاد كفرهم (قوله ولذلك قال والله أعلم الخ) أى فى قوله والله أعلم دلالة على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عالما أيضا بما كانوا يكتمون لكن الله أعلم و يعلم

عماذكرناإنه كان المناسب ان يقول وكان الرسول يعلمه حتى يناسبه قوله والله أعلم (قوله وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم) فيه انه لا يلزم من قول الاثم الكذب اذ يمكن أن يكون قول الاثم غيره كالقذف مثلا وسائر ما يكون صادقا يتأذى به غيره ولا يجوز الشرع اظهاره بالقول والله أعلم (قوله وغل اليد و بسطها مجاز عن البخل والجود الخ) فلا فرق بين ان يقال يدز يد مغلولة و بين ان يقال هو بخيل فى ان المراد اثبات بخله ولم يقصد فيه الى اثبات يد ولا غل بل هو مجاز مركب لا يلتفت فيه الى المفردات بل الى المجموع من حيث المجموع (قوله ولذلك) أى ولاجل ان غل اليد ليس على حقيقته يستعمل حيث يمتنع اليد والغل كما فى قوله جاد الحمى بسط اليدين الخ والمراد من بسط اليدين السحاب ويمتنع فيه اليد و بسطها (قوله شابت لمة الليل) اللمة بالكسر الشعر الذى تجاوز شحمة الاذن والمراد من التركيب المذكور انه طلع الصبح (قوله وقيل انه فقير) الفرق بين هذا المعنى والمعنى الاول

من اليهود أو من المنافقين (يسارعون فى الاثم) أى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم أو مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض (لبئس ما كانوا يصنعون) أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) أى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد و بسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل و بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصوّر ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه أنه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الايدى حقيقة يغلون أسارى فى الدنيا ومسحوبين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك أى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة و يضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم

ان الاول يفيد انه غنى لكنه بخيل والثانى يفيد سلب الغنى عنه واثبات فقره تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل الخ) أى اذا كان المراد غل الايدى حقيقة لا يطابق هذا ما سبق من قولهم يد الله مغلولة الا من حيث اللفظ فان لفظ الغل مستعمل فى الموضعين ومن حيث الاصل فان أصل الغل والمعنى الحقيقى منه مشترك بين الموضعين وان كان المراد فى الاول المعنى المجازى وفى الآخر المعنى الحقيقى كما فى النظم المذكور فان السب الاول فى المعنى الحقيقى والسب الثانى فى المعنى المجازى وهما مشتركان فى اللفظ وفى أصل المعنى فان السب فى الاصل القطع وهو المراد من السب الثانى (قوله فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه) أى غاية ما يبذله السخى بنفسه لا بواسطة غيره ان يبذل بيديه والا فقد يتصوّر بذل باكثر مما يعطيه بيديه بفرض بان يعطى بيديه و يفوض العطايا الى غيره أيضا (قوله وتنبيها على منح الدنيا والآخرة الخ) أى ثنى اليدين لما ذكر وللاشارة الى منح الدنيا والآخرة فتكون احدى اليدين اشارة الى عطية الدنيا والاخرى الى عطية الآخرة أو العطية للاستدراج والعطية للاكرام (قوله لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يده) أى سعة الرزق وضيقه بارادته لا بحسب سعة ذات اليد التى هى الرزق وضيقها تفاوت الرزق اذا كان بحسب سعة المال وضيقه لم يكونا بالمشيئة (قوله اذ لا ضمير لهما) فيه انه يفهم منه ان الحالية لا يجوز تقدير الرابط فيه بل يجب ان يكون مذكورا لفظا والا لجاز جعله حالا و يقدر الضمير بأن يكون التقدير ينفق كيف يشاء بهما

وأشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى هم طاغون كافرون و يزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة نارا (و يسعون فى الارض فسادا) أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم الا شرا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيآتهم) التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) وجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة مالم يسلم (ولو أنهم أقاموا التورية والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما (وما أنزل اليهم من ربهم) يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم أو القرآن (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والارض أو يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر و يلتقطون ماتساقط على الارض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ماأمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم أمة مقتصدة) عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته (وكثير منهم ساء مايعملون) أى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب أى ماأسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) جميع ماأنزل اليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) فما أديت شيأ منها لان كتمان بعضها يضيع ما أدى منها كترك بعض أركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به أو فكأنك مابلغت شيأ منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا ياأيها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ماأنزل ولعل المراد به تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) أى دين يعتد به و يصح أن يسمى شيأ لانه باطل (حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل

اليكم

(قوله وأشرك فيه الآخرون) أى نسب القول المذكور الى اليهود وان كان القائل واحدا منهم لانهم رضوا به فحكمهم حكمه (قوله وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم) لفظ السيآت جمع فيفيد الكثرة واما العظم فيستفاد من منع دخول الجنة اذ صغائر الذنوب لا تمنع دخول الجنة عند اجتناب الكبائر كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الآية (قوله فيه معنى التعجب) لانهم شاهدوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم أو سمعوا من أحبارهم وعرفوا انه النبى الموعود ثم أفرطوا فى العداوة فهذه الحالة حقيق بان يتعجب منها أولان التعجب مشعر بالمبالغة فى العداوة التى هى المراد ههنا (قوله عدة وضمان من الله بعصمة روحه الخ) فيه ان العدة بعصمة الروح فقط لا توجب ازالة المعاذير مطلقا اذ يجوز بقاء الخوف من الجروح الا ان يقال خوف الجروح ليس بمعذرة واعلم ان العلامة النيسابورى أورد ههنا سؤالا وهو انه فان قيل أين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم أحد ماجرى فالجواب ان الآية نزلت بعد يوم أحد أو المراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يتحمل كل مادون النفس انتهى كلامه وهذا مؤيد لما قلنا

(قوله ناطقة بوجوب الطاعة) هذا يدل على ان كل الخلق يجب عليه طاعة شرع كل نبي مالم ينسخ لان قوله آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة كذلك أي يجب على جميع البرية الايمان بكل نبي صدقه المعجزة وهو مصادم لقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه و بعثت الى الناس عامة و يمكن ان يقال المراد وجوب طاعته على من بعث اليه (قوله والافاعلموا أناوأنتم بغاة) اذ التقدير أنا بغاة وأنتم كذلك وليس أنتم معطوفا على اسم ان والالوجب ان يقال وإياكم لان أنتم ضمير مرفوع لا يعطف على الضمير المنصوب الذي هو اسم ان ولا يجوز عطفه على محل اسم ان اذ لا يجوز العطف على المرفوع المتصل من غير تأكيد أو فصل (قوله وهو كاعتراض دل به الخ) انما قال كاعتراض لان هذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة (قوله أولى

اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة أصولها ومالم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بماتبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله

* فاني وقيار بها لغريب * وقوله

والافاعلموا أناوأنتم * بغاة مابقينا في شقاق

أي فاعلموا انا بغاة وأنتم كذلك وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبران مقدر دل عليه ما بعده كقوله

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع بالابتداء وخبره (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) والجملة خبران أو خبر المبتدا كمامر والراجع محذوف أي من آمن منهم أو النصب على البدل من اسم ان وماعطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بابدال الهمزة ألفا أو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بمالاتهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف

بذلك) انما كان أولى لان في تقديم الصابئين اشعارا بان قبول ايمانهم مع انهم بعيدون من الأديان دليل على قبول ايمان غيرهم اذ الدليل يقدم على مدلوله (قوله ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها) قال العلامة النيسابوري هذه عبارة الأكثرين وكانهم جعلوا الحرف مع الاسم جميعا بمنزلة اسم مفرد هو المبتدأ اذ الاسم وحده منصوب وعبارة البعض ان العطف انما هو على محل الاسم فقط ومعنى كونه مرفوع المحل انه كان قبل دخول العامل مرفوعا (قوله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران فاجتمع عليه عاملان) لانه لما كان الصابئون مرفوعا كان رفعه بالابتداء فيكون خبره وهو خبران مرفوعا بالمبتدا ولما كان خبران كان مرفوعا بها فلزم اجتماع عاملين على معمول واحد واعترض عليه بانه انما يلزم ذلك لو كان المذكور خبراعنهما مثل ان زيدا وعمرا قائمان واما على نية التأخير واعتبار مضي الخبر تقديرا فيكون المذكور معمولان فقط وخبر المعطوف محذوف كما في ان زيدا قائم وعمرو عطفا على محل ان مع اسمها (قوله ولانه يوجب كون الصابئين هودا) وبمثل هذه العلة يمتنع عطفه على ضمير آمنوا (قوله أو خبر المبتدأ) كمامر في قوله ويجوز ان يكون النصارى معطوفا عليه الخ (قوله بابدال الهمزة ألفا) فاذا بني منه اسم الفاعل انقلب ياء كما في رمي جعل اسم الفاعل منه رام فيسقط في الجمع (قوله جواب الشرط والجملة صفة رسلا) هذا صريح خلاف الكشاف حيث قال فان قلت أين جواب الشرط قلت قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد

لايكون فريقين ولانه لايحسن ان تقول ان أكرمت أخى أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون فكانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه هذه عبارته وهى صريحة فى عدم جواز جعل فريقا كذبوا الآية جوابا للمحذورين المذكورين لكن المصنف اختار كونه جوابا وذكر مااختاره صاحب الكشاف بقوله وقيل فلعله نظر الى ماذكره النيسابورى فى دفع ماقاله صاحب الكشاف ان عدم حسن التركيب المذكور فى محل النزاع واما ان الرسول الواحد لايكون فريقين فتغليط لان قوله كلما جاءهم يدل على كثرة الرسل فلهذا اصح جعله فريقين هكذا كلامه وفيه نظر أما أولا فلان عدم حسن التركيب المذكور بسبب ان تقديم المفعول يفيد الاختصاص وتقرير أصل الفعل مع النزاع فى المفعول وتعليقه بالشرط يشعر بالشك فى أصل الفعل هكذا قاله المحققان الطيبى والنيسابورى وأما ثانيا فلان كون كلما يدل على كثرة الرسل لايدفع المحذور المذكور لان المحذور هو ان فى أى زمان جاءهم رسول واحد من الرسل كذبوا فريقا منه ويقتلون فريقا منه وهذا المعنى غير صحيح واعلم أن فيما ذكره المحققان بحثا اذ يمكن أن يقال ان تقديم المفعول فى القرآن ليس للاختصاص بل التقديم فى قوله فريقا تقتلون لرعاية الفاصلة فى قوله تعالى فريقا كذبوا لمطابقة الفريقين فلا تقاس العبارة القرآنية ههنا على المثال الذى أورده صاحب الكشاف (قوله وتنبيها على أن ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا) فيكون الفعل المضارع بمعنى الاستمرار وهذا يطابق ماقاله فى تفسير قوله تعالى أوكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون حيث ذكر من نكات ايراد الفعل المضارع انهم بعد فيه فانهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا عصمة الله (قوله وهى للتحقيق) أى ان التى من الحروف المشبهة للتحقيق والحسبان الظن فدخوله عليه لاجل ماذكر

وانما جىء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى (وحسبوا أن لاتكون فتنة) أى وحسب بنو اسرائيل أن لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب لاتكون بالرفع على أن أن هى المخففة من الثقيلة وأصله انه لاتكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فصار أن لاتكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان أو أن بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه (فعموا) عن الدين أو الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى وقرىء بالضم فيهما على أن الله تعالى عماهم وصمهم أى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم (كثير منهم) بدل من الضمير أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلونى البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم على وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) أى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه من يشرك بالله) أى فى عبادته أو فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين من أنصار) أى وما لهم أحد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا بالاشراك

(قوله لان تقدم الخبر فى مثله ممتنع) لان الخبر وهو عموا وصموا أسند الى ضمير المبتدأ وقد قالوا ان الخبر اذا كان مسندا الى ضمير المبتدأ وجب تقديم المبتدأ لئلا يلتبس بالفاعل كما فى زيد قام فانه لو قيل قام زيد لالتبس المبتدأ بالفاعل فان قيل الالتباس المذكور انما هو فيما اذا كان الضمير مستترا كما فى زيد قام أما عبارة القرآن المذكورة فلا يحصل فيها الالتباس لو قدم الخبر اذ الضمير بارز فى الفعل الذى هو الخبر فانه قد أجاب عنها الرضى بأنه يشتبه المبتدأ بالبدل من الفاعل أو بالفاعل على طريقة يتعاقبون فيكم ملائكة واعلم أن بعضهم جوز أن يكون كثير منهم مبتدأ والفعل المقدم عليه خبرا ولم يبال بالاشتباه المذكور وفيه مافيه (قوله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) لانها تدل على أن كل مشرك لايدخل الجنة وان لم يصل اليه دعوة نبى فتدل على أن التوحيد مما يستقل به العقل كما ان معرفة الله من حيث وجوده وعلمه وقدرته كذلك اذ لا يمكن أن يكون التصديق مستفادا من الشرع لان اثبات الشرع موقوف على اثبات الرسالة واثباتها موقوف على اثبات وجود المرسل العالم القادر المريد فلو توقف اثبات هذه الامور على الشرع لزم الدور وهذا يؤيد ماقاله بعض أكابر العارفين من ان اثبات الرسالة متوقف على التوحيد اذ لو وجد الشريك وقع التنازع فى تعيين الشخص بالرسالة (قوله أى وما لهم أحد ينصرهم) فيه ان ماذكر ليس معنى الكلام

وانمامعناه ان ليس لهم جمع من الانصار والاولى أن يقال انه ردلهم فى دعوى ان لهم أنصارا كثيرة حيث زعموا ان أسلافهم ينصرونهم ويمكن أن يقال ان ايراد الجمع ههنا للاشعار بأن نصرة الواحد أمر غير محتاج الى التعرض الى نفيه لشدة ظهوره وانما ينبغى التعرض لنفى نصرة الجمع (قوله فما ظنك بغيره) أى انهم عظموا عيسى روح الله

وكلمته وعيسى معادبهم بذلك وصار التعظيم المذكور سببا لكونهم ظالمين لا ناصر لهم فما حال من عظم مخلوقا نازل الدرجة (قوله مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ لجميع الموجودات) لولم يخصص بهذا القيد لكان أولى لانه تعالى يستحق العبادة من حيث الذات والاتصاف بالكمالات فتخصيص استحقاقه لها بالحيثية المذكورة تخصيص بلا مخصص (قوله أوليمسن الذين كفروا من النصارى) المعنى الاول يفيد ان المراد من الذين كفروا من كان كافرا ومقرا على الكفر فله العذاب وهذا المعنى يفيد ان من أحدث الكفر من النصارى فله العذاب (قوله وتنبيها على ان العذاب الخ) أى ذكر الشهادة مرة بعد أخرى مشعر بدوام الكفر (قوله وهو أعجب) لان اعطاء الحياة لاجزاء البدن الذى كان حيا قبل أقرب من اعطائها للجماد الذى لم يدرك الحياة قط (قوله ودل على انه لا يوجب الخ) لوقال ودل على ماينافى الالوهية لكان أولى لان الرسالة تنافى الالوهية (قوله نظرا الى ماهو عليه فى ذاته) يعنى أطلق ما الذى هو لغير العقلاء وأريد به عيسى عليه السلام نظرا الى ماهو عليه فى ذاته وهو عدم اتصافه بصفات العقلاء نظرا الى نفسه فان اتصافه بها لا من ذاته بل من خالقه تعالى فجعل فى حكم غير العقلاء نظرا الى هذه الحالة وانما نظر الى حاله فى ذاته للقصد الى نفى القدرة عنه مطلقا (قوله وتنبيها على انه من هذا الجنس) أى من جنس مالا يملك نفعا ولا ضرا

بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالى نبه به على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى صلى الله عليه وسلم وتقربا اليه وهو معادبهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (ومامن اله الااله واحد) ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الااله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر أوليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) أى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم (ماالمسيح ابن مريم الارسول قد خلت من قبله الرسل) أى ماهو الارسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها فان أحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق أو يصدقن الانبياء عليهم الصلاة والسلام (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى ما لهما من الكمال ودل على أنه لا يوجب لهما ألوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ماينافى الربوبية ويقتضى أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع أمثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت مابين العجبين أى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل مايضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وماينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ماهو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه أهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه الصلاة والسلام الى أن تدعوا له الالوهية أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) يعنى

أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله تعالى على لسان داود فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) أى لاينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤا له أو لاينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) أى لبئس شيأ قدموه ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيأ ذلك لانه كسبهم السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم أو متمردون فى نفاقهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه أشار بقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت من كافر (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) عطف على

(قوله أى لاينهى بعضهم بعضا) أراد ان النهى عن المنكر بعد وقوعه لاوجه له فيكون المراد النهى عن المعاودة اليه أو يكون المراد من فعلوه أرادوا فعله أو المراد يتناهون ينهون وينتهون (قوله تعجيب من سوء فعلهم) فان اللوم على الاصرار على الذنب يستحق أن يتعجب منه خصوصا اذا كان مقرونا بالقسم (قوله والخلود فى العذاب) يدل على ان قوله فى العذاب هم خالدون بتأويل مفرد معطوف على المخصوص بالذم وكذا قوله لان كسبهم السخط والخلود لكن بتأويل ان سخط بالسخط لاجل ان المصدرية واما الجملة الثانية فليست تحت ان حتى يصح جعلها بتأويل المصدر فالظاهر جعلها تذييلا لسخط الله تعالى (قوله نبيهم) لانه اذا قيل آمن ذلك القوم بالنبى تبادر منه أن المراد نبيهم (قوله وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا صلى الله عليه وسلم) لان المنافقين آمنوا بنبيهم أى يسلمون نبوته كافرون بنبينا فلا يمكن أن يكون المراد بالنبى نبيهم (قوله ذ الايمان يمنع ذلك) فيه ان أصل الايمان لايمنع حب جماعة من الكفار فانه قد يكون لاجل اغراض دنيوية والجواب أن المراد حب الكفار بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر ولا يخفى أن الحب المذكور كفر (قوله لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم) فيه ان بعض النصارى قائلون بأن الله هو المسيح ابن مريم وبعضهم بأنه ابنه وقال بعضهم انه وابنه اله واليهود لم يقولوا مثل ذلك بل قالوا عزير ابن الله والجواب أنه لاينافى تضاعف كفر اليهود لان أنواع الكفر والضلال كثيرة وما ذكر بعض منه (قوله واليه أشار بقوله ذلك بان منهم الخ) فيه ان كون بعضهم قسيسين ورهبانا لايدل على كون كل النصارى لا على ما ذكر نعم قوله تعالى وانهم لايستكبرون يدل عليه ما فسره فالوجه أن يقال ان المراد بعض النصارى فان بعضهم يظهرون العداوة للمسلمين كذا قاله ابن عباس وقال آخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم فى الدين بأى طريق كان من القتل وغصب المال أو بوجه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء فى دينهم حرام هذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة هكذا قاله النيسابورى وعلى هذا يمكن ارادة العموم وحينئذ نقول ان القسيسين والرهبان متقدموهم والباقون تابعون لهم فى المودة (قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الخ) ظاهر الكلام ان النصارى كلهم كذلك وليس كذلك فان نصارى نجران لم

لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أوجعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها (مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك أو بمحمد (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بانه حق أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم أوجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل أي أي شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله أي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها أو نؤمن (فأثابهم الله بما قالوا) أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراما فقال (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا

يقولوا ربنا آمنا ولم يدخلوا في المؤمنين وان أريد ان بعضهم كذلك فهذا لا يدل على ان كون النصارى مطلقا أقرب مودة والجواب ما هو المنقول عن ابن عباس (قوله فوضع موضع الامتلاء للمبالغة) أي اطلق الفيض وأريد به الامتلاء للاشعار بان الامتلاء وصل الى مرتبة توجب انصباب الدمع (قوله أوجعلت أعينهم الخ) الفرق بين هذا المعنى و بين المعنى الاول انه على المعنى الاول جعل تفيض بمعنى تملئ استعمالا للفظ السبب في معنى المسبب وعلى الثاني جعل التركيب من المجاز العقلي وقد أسلفنا البحث عن هذا المجاز في أوائل تفسير سورة البقرة ولا يخفى ان المبالغة في هذا المعنى آكد (قوله أو للتبعيض) وعلى هذا تكون ما مصدرية والمعنى من عرفانهم بعض الحق (قوله أوجواب سائل الخ) فيه نظر فان علماء العربية صرحوا بان جواب السؤال لابد فيه من الفصل لا يعطف على السؤال اللهم الا ان يقال ان هذه الواو ليست للعطف بل زائدة وقد أثبتها الكوفيون والاخفش وجماعة ومثلوه بقوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها فان احدى هاتين الواوين زائدة والاولى ان يقال انه عطف على مقدر كأنه قيل آمنا لتحقيقه عندنا ومالنا لا نؤمن بالله (قوله وذكره توطئة وتعظيما) فيه انه اذا كان توطئة وتعظيما لا يظهر أصل معنى ومالنا لا نؤمن بالله ولذا لم يذكره صاحب الكشاف ولا غيره (قوله مقيدا بها) اذ لو لم يقيد بها لزم ان يكون المعنى ومالنا نطمع فيكون رد الطمع دخول الجنة ولا وجه له (قوله ومن قولك هذا قول فلان أي معتقده) على هذا يناسب ان يفسر ما قالوا بما اعتقدوا (قوله أحسنوا النظر والعمل) الاول يتعلق بالقلب والثاني يتعلق بالجوارح (قوله فتكون الآية ناهية) فان النهي عن تحريم ما أحل مستفاد من لا تحرموا وكذا النهي عن تحليل ما حرم لانه اذا كان الشروع في الحرام منهيا كان تحليله بطريق الاولى

فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز أن تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول أو العائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله و بلى والله واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه أى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين و رأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) من أقصده فى النوع أو القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من اطعام وأهلون كارضون وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع أهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع أرض وقيل هو جمع اهلاة (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو من أوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة وكأسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا تواسون بينهم و بينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره أو اطعامهم كاسوتهم (أو تحرير رقبة) أو اعتاق انسان وشرط الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه

(قوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) فان قيل كل ما وصل الى الشخص حلالا كان أو حراما فهو رزق فما الفائدة فى رزقكم الله مع انه يشعر بان فى الوجود رازقا غيره قلنا فائدة ذكره ان يعلم ان الحرام أيضا من رزق الله اذ لو قيل كلوا حلالا طيبا لم يعلم ان الحرام أيضا رزق (قوله ويجوز ان تكون مفعوله الخ) أى يجوز ان يكون مما رزقكم الله مفعول كلوا والمعنى كلوا شيأ مما رزقكم الله (قوله واللغو من اليمين ما لا قصد معه الخ) أى لا يقصد معناه سواء كان صدوره من غير قصد بل سبق لسان أو بقصده لكن يكون جاهلا بمعناه (قوله لانه مصدر وحال منه) أى اللغو مصدر فيصح تعلق فى أيمانكم به وقوله أو حال منه عطف على قوله صلة (قوله واستدل بظاهره الخ) أى ذكر الكفارة بعد عقد الايمان وقيل ذكر الحنث دال على ما ذكروا انما قال واستدل الدال على ضعف الاستدلال لان قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان معناه على ما فسره لكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فعلى هذا تكون الكفارة بعد الحنث اذ لو لم يعتبر الحنث لزم المؤاخذة بمجرد الايمان وليس كذلك (قوله وهو مد لكل مسكين) الظاهر ان الضمير راجع الى الاوسط فى القدر وحينئذ يبقى الاوسط فى النوع مبهما لم يعلم قدره الا ان يقال الضمير راجع الى مطلق الاوسط أى الاوسط سواء كان فى النوع أو القدر فهو مد (قوله أو الرفع على البدل من اطعام) والمعنى اطعام من أوسط ما تطعمون فههنا مضاف مقدر (قوله أو من أوسط لمن جعله بدلا) قالوا فى هذا ما نقل من حواشى الكشاف عن مصنفه واعترض عليه بانه يلزم منه اختلال المعنى لانه يصير المعنى فكفارته اطعام عشرة مساكين كسوتهم لان المعطوف على البدل فى حكم البدل وأجيب بان المبدل منه قد يكون فى حكم المنحى فكان لم يكن مذكورا هكذا نقله العلامة التفتازانى وفيه انه لا يخلو اما ان يكون للمبدل منه فائدة تفوت بعدمه أولا فان كانت له فائدة فلا يكون فى حكم المنحى وان لم يكن له فائدة لزم وقوع ما لا فائدة له فى القرآن وهو محال (قوله وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو ازار) كلامه كالصريح فى ان كل واحد منها ثوب جامع لكن كلام الكشاف دال على خلافه فانه قال وعن ابن عمر ازار وقميص أو رداء وعن مجاهد ثوب جامع والمفهوم من عبارته ان الثوب الجامع هو ما يستر البدن على ما هو المتعارف

الايمان

الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين (فمن لم يجد) أى واحدا منها (فصيام ثلاثة أيام) فكفارته صيام ثلاثة أيام وشرط فيه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه التتابع لانه قرئ ثلاثة أيام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم تروسنة (ذلك) أى المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا أو بان تكفروها اذا حنثتم (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم أو نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب) أى الاصنام التي نصبت للعبادة (والازلام) سبق تفسيرها في أول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول وأفرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أو لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطي (لعلكم تفلحون) لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال (فهل أنتم منتهون) ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعذار قد انقطعت (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمر به (واحذروا) مانهيا عنه أو مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول

(قوله ومعنى أو الخ) فيه مسامحة اذ هذا ليس معنى أو والاولى هذا المعنى في كل موضع استعمل فيه ولكن مراده ان لأو دخلا في افادة هذا المعنى في هذا الموضع (قوله اذا حلفتم وحنثتم) لك ان تقول فالمناسب ان يكون موضع اذا حلفتم اذا حنثتم لان الحلف مذكور صريح في ذلك كفارة أيمانكم والحنث يجب اعتباره ولم يذكر صريحا والجواب ان عدم ذكر الحنث للاشارة الى ان حقه نظرا الى ذاته ان لا يقع وانما يناسب وقوعه بسبب انضمام شئ آخر من الخارج اليه وهذا مدلول قوله واحفظوا ايمانكم على بعض تفاسيره (قوله بأن تضنوا بها الخ) أى شأن الحالف ان لا يقع على كل شئ بل يقع على شئ له شأن (قوله أو بان تكفروها اذا حنثتم) فان قيل اذا وقع الحنث فاحفظ الايمان قلت حفظها احفظ حرمتها بان يصرف الكفارة التي هي رادعة عن الحنث فيها (قوله أى الاصنام الخ) سبق في أول السورة تفسير الانصاب بمعنيين أحدهما انه عبارة عن الأحجار التي كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وههنا خص الانصاب بالاصنام ولا يظهر باعث عليه فلو قال سبق تفسيره في أول السورة كما ذكر في الازلام لكان أولى (قوله أو لمضاف محذوف) يفهم منه انه لو لم يحذف المضاف لكان الكلام صحيحا على ما هو التفسير الاول ولا يخفى انه لا يصح الاخبار عن الامور المذكورة بالعمل فوجب لتصحيح الكلام تقدير المضاف وهذا مقتضى كلام الكشاف فانه قال فان قلت الام يرجع هذا الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما شابه ذلك ولذا قيل رجس من عمل الشيطان (قوله وامر بالاجتناب عن عينهما) فكانه نهى عن القرب منهما او التلبس بهما فيصير دليلا على النهي عن تعاطيهما فيفيد المبالغة في النهي عنه (قوله لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) أى هو مثله في ترك الفرائض والعبادات (قوله من حيث انها عماده) فان الدين قائم بالصلاة فمن ترك الصلاة مطلقا قد ينجر الى الكفر نعوذ بالله (قوله والفارق بينه وبين الكفر) فان الصلاة أقوى أركان الاسلام بعد الشهادتين فمن أخل بها وتركها مطلقا كان اخلاله بالباقي أولى وحال من يكون كذلك قريب من الكفر وقد ينجر اليه (قوله ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الخ) أى لما عدل عن صيغة الامر الى صيغة الاستفهام أشعر بانه لا حاجة الى الامر بالانتهاء لانه قدم الحجة وانقطع العذر بل يكفي الاستفهام

صلى الله عليه وسلم بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد أدى وانما ضررتم به أنفسكم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) أى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى (وأحسنوا) وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر و يأكلون الميسر فنزلت و يحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه و بينه و بين الناس و بينه و بين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فانه ينبغى أن يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام و بعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا (ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) نزلت فى عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على أنه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو أشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) بعد ذلك الابتلاء بالصيد (فله عذاب أليم) فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه (ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن

(قوله مما لم يحرم عليهم) هذا التقدير يستلزم الجناح فيما طعموا من الحلال اذا لم يتقوا من الحرام وليس كذلك بل الجناح اذا لم يتقوا فى عدم التقوى من الحرام لا فيما طعموا من الحلال فالوجه ان يقدر الكلام جناح فيما اذا طعموا اذا ما اتقوا فى المطعومات بان تجنبوا المحرمات والعجب ان صاحب الكشاف قرر الكلام على ماقررناه وغير المصنف الى ماترى ويمكن أن يقال مراده مما لم يحرم مالم يحرم عينه والمراد بما اذا اتقوا التقوى فى كسبه بان لم يكسبه بطريق محرم وههنا كلام آخر وهو انه لزم من الكلام الكريم ان المؤمنين لاجناح عليهم فى المطعومات اذا اجتنبوا المحرمات وثبتوا على الايمان والعمل الصالح فيفهم منه انهم اذا لم يعملوا الصالحات لهم جناح فيما طعموا مع انهم اتقوا من الحرام وليس كذلك و يمكن أن يقال المراد بذكر الايمان والعمل الصالح ههنا الترغيب فيه والحث عليه بايهام ان من ليس كذلك فعليه جناح فى المطعوم وان كان حلالا (قوله باعتبار الاوقات الثلاثة) الماضى والحال والاستقبال يعنى اتقوا فى الماضى ثم اتقوا فى الحال ثم اتقوا فى المستقبل فتكون خارجة عن الاستقبال كما فى قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها (قوله استعمال الانسان التقوى بينه و بين نفسه الخ) الحالة الاولى هى ان لا يفعل شيأ يضر نفسه وان لم يكن منغصا للغير والثانية ان لا يفعل ما يصل ضرره الى الناس والثالثة ان لا يفعل شيأ يتعلق بجناب العزة والكبرياء جل جلاله عما لا يليق به (قوله المبدأ والوسط والمنتهى) أى مبدأ السلوك والتوجه الى الله تعالى ووسط السلوك اليه وانتهاؤه الموجب للوصول الى المحبوب الحقيقى و يمكن أن يقال المراد مبدأ العمر وآخره و وسطه (قوله وهو غائب) اى فى العذاب غائب أى لم يحضر منتظر أى مترقب ان يقع بعد (قوله فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم) فيه نظر لان لفظ الله فاعل ليعلم فلا يصح ان يكون معنى العلم ماذكر والا لاختل نظام الكلام كما لا يخفى نعم لو كان المراد من مجموع ليعلم الله من يخافه بالغيب ماذكر لكان وجها والمعنى على الاول ليظهر الخائف أو يقع وعلى الثانى ليتعلق علم الله بتحقق الخوف فى الخارج بعد ان كان بالقوة (قوله فالوعيد لاحق به) قال فى هذه العبارة الكشاف وهو مناسب لمذهبه ان الوعيد لاحق بالفاسد البتة لا يعفى عنه وأما على طريق المصنف فيكون المعنى أى يستحق ان يلحق به الوعيد أو فالوعيد لاحق به ان شاء الله تعالى (قوله للتعميم) أى ذكر القتل للتعميم فانه أعم من الذبح والذكاة (قوله و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الخ) فانه لما جاز قتلها فى الحرم علم انه لم يكن صيدا اذ لو كان

صيد الم يحل قتلها فى الحرم وهى مما لم يؤكل لحمها فيؤيد بذلك ان المراد بالصيد ما يحل أكله وأيضا قوله عليه الصلاة والسلام يقتلن مشعر بان الاشياء المذكورة ليست بصيد والا لقيل خمس تصاد فى الحل والحرم (قوله بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه) لان العمد منشأ للانتقام لا الخطأ والعمد بالمعنى الذى ذكره لا يتصور قبل نزول الآية بل بالعود الى الصيد بعد نزولها (قوله ولان الآية نزلت الخ) مؤيد ثان لان يكون متعمدا ليس بقيد لوجوب الجزاء يعنى ذكر متعمدا ليس لتقييد الحكم المذكور بل لانه نزلت الآية فى شأن المتعمدين وفيه ان قوله اذ روى الخ يدل على ان قتلهم كان عن قصد ولا يدل على ان قتلهم كان عن علمهم بان قتله حرام عليهم لان قوله فنزلت الخ دال على ان حرمة صيد المحرم بعد نزول الآية فلا يدل على ان قتلهم كان عن تعمد لان التعمد على ما فسره عبارة عن أن يكون القتل عن قصد ومع العلم بانه حرام (قوله وعليه الخ) أى على رفع الجزاء والمثل لا يتعلق الجار وهو من بجزاء الذى هو المصدر لانه لو كان الجار صلة لوجب تقديمه على صفة المصدر الذى هو مثل لما ذكر فيكون من النعم صفة المصدر فيكون المعنى جزاء يماثل ما قتل كائن من النعم (قوله ما قيمته قيمته) أى هديا قيمته قيمة الصيد (قوله أو الخام مثل الخ) فيكون كناية عن جزاء ما قتل كما ان

فى الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف فى أن هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى أولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت (فجزاء مثل ما قتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أى فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء أو فعليه أن يجزى جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما والقيمة عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين أن يهدى ما قيمته قيمته وبين أن يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول أوفق (يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالا من ضميره فى خبره أو منه اذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر ان وكما أن التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس أو الامام (هديا) حال من الهاء فى به أو من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة أو بدل من مثل

مثلى لا يقول كذا كناية عن انا لا أقول كذا فلفظ المثل فى الموضعين زائد يعنى انه لو حذف لم يختل المعنى (قوله وفجزاؤه مثل ما قتل) أى قرئ هكذا باضافة الجزاء الى الضمير (قوله واللفظ الاول أوفق) أى لفظ القرآن أوفق بمذهب الشافعى رضى الله عنه لان المتبادر من قوله من النعم ان يكون بعض النعم فتكون المماثلة باعتبار الخلقة وأيضا المتبادر من المثل هو غير المماثلة باعتبار القيمة (قوله حال من ضمير خبره) أى اذا جعل خبر مبتدأ بتقدير فعليه جزاء كان يحكم به ذوا عدل حالا عن الضمير الذى فى خبره (قوله

أو منه اذا أضفته الخ) أى أو يكون يحكم به ذوا عدل حالا من الجزاء اذا أضفته الى مثل أو جعلته موصوفا به ورفعته أى رفعت الجزاء على كل من التقديرين المذكورين بخبر مقدر ان فى قوله ومن قتل فيكون التقدير ومن قتل منكم متعمدا فيجب عليه جزاء مثل ما قتل من النعم فيكون جزاء فاعلا لذلك المقدر (قوله وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد الخ) جواب سؤال هو انه اذا كان لا بد من عدلين مجتهدين فى الامر يلزم ان يكون المراد من المثل فى قوله فجزاء مثل ما قتل المثل باعتبار القيمة فلزم خلاف مذهب المصنف الذى هو مذهب الشافعى فاجاب بانه كما ان المماثلة باعتبار القيمة تحتاج الى الاجتهاد كذلك المماثلة باعتبار الهيئة والخلقة (قوله وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس) يعنى لا يكون المراد الواحد بل من يحكم بالعدل فيكون المراد اثنين (قوله وان نون) أى وان نون جزاء فيكون منكرا لانه نكرة مختصة بالوصف فيصلح كونه ذا حال فان قيل اذا كان صاحب الحال نكرة وجب تقديم الحال عليه فالجواب ان تقديمها اذا كان ذو الحال نكرة محضة أما اذا كان

نكرة مختصة بوصف أو اضافة فلا يجب تقديم الحال عليه كما جاء في الحديث سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل فجاء فرس له سابقا (قوله باعتبار محله) هذا اذا أضيف اليه الجزاء فيكون مفعولا في الحقيقة (قوله وان نصبته) أي ان نصبت الجزاء كان كفارة خبر المحذوف مثل أو الواجب كفارة (قوله أو الثقل الشديد الخ) الظاهر ان هذا ناظر الى ضمير وبال أمره الى الله تعالى فلا بد من تقديره وهو أن يكون المعنى ليذوق وبال مخالفة أمره (قوله تعالى عفا الله عما سلف) ان قيل العفو فرع المعصية وهي تحصل باشتغال المحرم بالصيد بعد نزول آية التحريم فما معنى العفو عمن قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم

باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة) وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء (أو كفارة) عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام مساكين) عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف أي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي أو أن يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا (أو عدل ذلك صياما) أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال أمره) متعلق بمحذوف أي فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله تعالى وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة (ومن عاد) الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذو انتقام) ممن أصر على عصيانه (أحل لكم صيد البحر) ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر (وطعامه) ما قذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله (متاعا لكم) تمييز لكم نصب على الغرض (وللسيارة) أي ولسيارتكم يتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) أي ما صيد فيه أو الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم أيضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم (ما دمتم حرما) أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح أو المفعول الثاني (قياما للناس) انتعاشا لهم أي سبب انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على أنه مصدر على فعل كالشبع أعل عينه كما أعل في فعله ونصبه على المصدر أو الحال (والشهر الحرام والهدي والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس (ذلك) اشارة الى الجعل أو الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) فان شرع

قلنا العفو ههنا مجرد عدم المؤاخذة (قوله فهو ينتقم الله) انما قدر المبتدأ وهو هو لان المضارع اذا كان جزاء لا تدخل الفاء عليه (قوله وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد) اذ يجوز أن يكون المعنى ينتقم الله منه اذا لم يكفر (قوله عطف بيان على جهة المدح) انما قال على جهة المدح لانه ليس للايضاح اذ الكعبة في غاية الشهرة والوضوح بحيث لا تحتاج الى ما يوضحها فان قيل ما الفرق بين الصفة على جهة المدح وبين عطف البيان على جهته قلنا من شرط الاشتقاق في الوصف وهم أكثر النحاة فالفرق ظاهر عندهم ومن لم يشترط كابن الحاجب فالفرق ان القصد بالذات في النعت الى المعنى والقصد بالذات في عطف البيان الى الذات (قوله أعل عينه) اذ هو في الاصل مصدر قوم فقلبت واوه ياء (قوله ونصبه على المصدر أو الحال) فيه ان ما ذكر أولا من أن المعنى انتعاشا لهم أي بسبب انتعاشهم يدل على انه مفعول ثان لجعل ان جعل البيت الحرام عطف بيان فقوله ونصبه على المصدر أو الحال مخالف له ثم ان نصبه على المصدر بان يقال المعنى ينتعش الناس انتعاشا فلما قدر الفعل والفاعل وذكر الفاعل بعده بعد دخول حرف الجر عليه فوجب حذف فعله قال الرضي المصدر اذا جر فاعله أو مفعوله بالاضافة أو بحرف الجر يجب حذف فعله قياسا (قوله تعالى ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في الخ) ما رأينا فيما ورد علينا من التفسير ما يبين أن العلم بما ذكر دليل على العلم بأن الله تعالى يعلم كل شيء أما قول المصنف فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل

الاحكام

فظاهر أنه وقوعها الخ لاينافى بالمقصود المذكور والذى يسنح لى والله أعلم أنه تعالى لما كان مجردا بالذات و بالفعل عن المادة وعن التعلق بها كان نسبته الى جميع الجزئيات على السوية فاذا علم أنه تعالى تحقق عنده أحوال بعض الجزئيات وهو الكعبة وما يتعلق بها علم أنه عالم بكل الجزئيات اذ نسبته الى جميعها على السوية فكونه تعالى عالما بالبعض دون الآخر ترجيح بلا مرجح (قوله فاشياء اسم جمع الخ) قال فى الصحاح تصغيره على شيىء وشيىء بكسر الشين ولا يقال شوىء والجمع أشياء غير مصروف وظاهر كلامه يخالف

الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه (وأن الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها أو لمن أصر عليه ولمن أقلع عنه (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به أى الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفى المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الردىء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى مصالح العمل وحلال المال (ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يا أولى الالباب) أى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين أن تبلغوا الفلاح روى أنها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على أن أصله شيىء كهين أو شيىء كصديق فخفف وقيل أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى أنه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت أو استئناف أى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا لمثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسئل عن شئ الا أجبت فقال رجل أين أبى فقال فى النار وقال آخر من أبى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسئلة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها (ثم أصبحوا بها كافرين) أى بسببها حيث لم يأتمروا بها سألوا جحودا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها

لكلام المصنف (قوله أو استئناف) فكأنه لما قال لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم سأل سائل ما حال ما سلف من المسئلة أجيب عنه بما ذكر (قوله وهو انه مما يغمهم الخ) يعنى أنه علم من الكلام الاول ان العاقل لا ينبغى أن يشتغل بما يغمه ومن الكلام الثانى أن السؤال مما يغمهم فحصل من هاتين المقدمتين ان السؤال لا ينبغى للعاقل أن يشتغل به ويرد عليه أن المقدمة الاولى كافية فى المطلوب المذكور ولا يحتاج الى الثانية والجواب ان الحاصل من المقدمة الاولى المنع من السؤال عن أشياء ان ظهرت كان ظهورها موجبا للغم لكن لا يعلم من مجردها ان السؤال الموجب للظهور فلا يعلم أن السؤال عنها موجب للغم وانما يعلم بانضمام المقدمة الثانية وهى أن السؤال يترتب عليه الظهور الموجب للغم وانما قدمت المقدمة الثانية فى القرآن للاهتمام به (قوله ولأشياء بحذف الجار) فيكون التقدير قد سأل عنها (قوله وليس صفة قوم الخ) فيه ان الصورة المذكورة ليس فيها الظرف خبرا بل الجار والمجرور وغاية الامر ان المجرور ظرف وممنوعه هو أن يكون نفس الظرف خبرا فان قيل انهم استدلوا على الدعوى المذكورة بان جعل ظرف الزمان خبرا عن الجثة مما لا يفيد كقولك زيد يوم السبت اذ لا فائدة فيه وهذا الدليل جار فيما اذا أخبر عن الجثة بالجار ومجرور هو ظرف الزمان قلنا لا نسلم عدم الفائدة لان وصف القوم بكونهم من قبل يفيد فائدة هى انهم ليسوا معهم فان قلت هذا يستفاد من سألها قلنا فحينئذ المانع من وصف القوم بما ذكر ليس كونه جثة بل لان تقدمهم حصل

من قوله سألطافه تأمل (قوله ولذلك الخ) ولان جعل بمعنى وضع لامن جعل الشيء شيأ لم يتعد الى مفعولين (قوله الواو للحال) فلا فى هذا صاحب الكشاف وفيه ان لو لادخل له بحسب الظاهر فى معنى الحالية بل الحال مادخلت عليه لو فيلزم استدراكها ويمكن أن يقال فى توجيهه أى توجيه كلامه تعالى ان المعنى أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤهم الآية (قوله فلا يكفى التقليد) أى لما لم يصح الاقتداء الا بمن علم أنه عالم مهتد فمن اقتدى بشخص لا يصح اقتداؤه الا بعلمه بانه مقلده لا يقول الا عن علم واهتداء فثبت عند المقتدى ما قاله المقتدى بالدليل اجمالا وهو انه يعلم أن لقوله

دليلا وحجة والا لم يقل به فارتفع التقليد المحض اذ هو اتباع الغير بلا دليل أصلا وههنا سؤال لان اللازم من ظاهر ماقاله أن مقلد الشافعى يجب أن يعلم أن امامه على علم واهتداء فى القول المخصوص بوجوب النية فى الوضوء مع انه ليس كذلك اذ لا يجب أن يكون لمقلده علم بما ذكر وانما غايته الظن الا أن يراد بالعلم الاعتقاد الراجح بدليل أعم من القطع والظن وان أريد أن الاقتداء انما يصح عن علم انه عالم مهتد فى الجملة وفى بعض الامور يرد عليه انه لا يكفى فى اتباعه فى الامر المخصوص والجواب انه اذا اعتقد المقتدى يقينا ان المقتدى من العلماء يعتقد ان حكمه لابد أن يكون عن الدليل وهذا يكفى فى اتباعه فى الحكم المخصوص (قوله وقرئ بالرفع على الابتداء) وحينئذ يمكن خبره عليكم بمعنى الزموا مقدما عليه وأن يكون التقدير حفظ أنفسكم عليكم أى واجب عليكم فحذف المضاف الذى هو الحفظ واعرب المضاف اليه وهو أنفسكم باعرابه (قوله ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته) جواب سؤال وهو انه قد يؤاخذ الشخص بفعل غيره كما اذا اشتغل أحد بشرب الخمر ولم يمنعه غيره مع قدرته عليه فأجاب بان المؤاخذة ليس على شرب غيره الخمر بل على حيثية منعه عن المعصية حسب القدرة (قوله تنبيه على ان أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره) لان قوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون دال على تخصيص الشخص بانباء عمله دون عمل غيره (قوله وفى ابداله تنبيه) لانه يصير المعنى لتقم شهادة بينكم حين الوصية فيكون الامر بالاشهاد حين الوصية فيحصل ضمنا المراد بها

ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى (وأكثرهم لا يعقلون) أى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الآمر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقولهم وانهماكهم فى التقليد وان لاسند لهم سواه (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال أى أحسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء انما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب أو النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر أحدكم الموت) اذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفى ابداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغى أن لا يتهاون فيه أو ظرف

حضر

حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) أي من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان (أو آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا (ان أنتم ضربتم في الارض) أي سافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) أي قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلاة) صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلاة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم) ان ارتاب الوارث منكم (لا نشترى به ثمنا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا لطمع (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشترى (ولا نكتم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله باقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه و روى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن (انا اذا لمن الآثمين) أي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (فان عثر) فان اطلع (على أنهما استحقا اثما) أي فعلا ما أوجب اثما كتحريف (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الاوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة و يعقوب وأبو بكر عن عاصم الاولين على أنه صفة للذين أو بدل منه أي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أصدق منها وأولى بان تقبل (وما اعتدينا) وما تجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين أنفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر اذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت

(قوله اثنان فاعل شهادة) فيه نظر لانه صرح بان الشهادة الاشهاد وهي فعل الموصي المحتضر فلا يصح أن يكون اثنان فاعلا لها بل لابد ان يكون منصوبا حتى يكون مفعولا ولم يجعل صاحب الكشاف الشهادة بمعنى الاشهاد فلم يرد عليه ما ورد على المصنف بل جعل الشهادة بالمعنى الحقيقي واثنان فاعلا يعني فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان (قوله أو آخران من غيركم) الظاهر انه عطف على قوله ذوا عدل منكم أو من غيركم ليشمل الكفار اذا لم يجد المسلمين في السفر كما هو مذهب بعضهم وهذا يؤيد قول من قال ان المراد من قوله تعالى منكم من المسلمين (قوله وهو الاوليان) الضمير راجع الى قوله للفاعل والمعنى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهر لهما كذب الكاذبين كذا في الكشاف فالاوليان فاعل استحق وان يجردوهما مفعوله وتوضيح الكلام على ما ظهر لي والله أعلم ان يقال استحق بمعنى أوجب لانهما اذا استحقا الشهادة فكانهما أوجباها والمعنى من الذين أوجب عليهم الاوليان بالشهادة ان تجردهما الورثة للشهادة فيكون نسبة الايجاب الى الشاهدين اسنادا مجازيا من قبيل اسناد الفعل الى سببه (قوله تعالى من الذين استحق عليهم) أي من الذين استحق عليهم الاثم ليكون هذا كناية عمن جني عليهم لان قوله تعالى استحق انما يؤدي معنى جنيا على الورثة بسبب تحريفهم الشهادة فيكون الورثة مجنيا عليهم والمعنى الحقيقي من الذين استحق الاثم بالجناية عليهم فيكون عليهم متعلقا بمقدر مفهوم من الكلام ولاجل خفاء معنى الآية احتيج الى التقديرات ولذا قال الامام اتفق المفسرون على ان هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما (قوله أو بدل منهما) تبع في تثنية الضمير صاحب الكشاف والمفهوم من كلام العلامة التفتازاني ان الضمير الراجع الى لفظ المثنى حقه ان يكون مفردا لان لفظ المثنى كآخرين مثلا لفظ واحد (قوله أو من الضمير) أي بدل من ضمير يقومان وهذا يدل على ان المبدل منه ليس في حكم المطروح اذ لا وجه لان يقال فآخران يقوم الاوليان

(قوله ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة) أي تخصيص الوصي بكونه اثنين لخصوص الواقعة فان الوصي فيها اثنان على أحد الاحتمالين والا فيجوز ان يوصي الى واحد (قوله على المدعين بعد ايمانهم) أي على الورثة بعد ايمان الاوصياء والشهود (قوله فتفتضحوا الخ) يدل على ان الفضيحة تحصل بسبب رد اليمين والحلف الكاذب وفيه ان رد اليمين حصل بعد

ان كانا وصيين و رد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته أو لتغيير الدعوى اذ روي أن تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في أيديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة (ذلك) أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد (أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد أيمانهم) أن ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله واسمعوا) ما توصون به سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهديهم الى حجة أو الى طريق الجنة فقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب باضمار اذكر (فيقول) أي للرسل (ماذا أجبتم) أي اجابة أجبتم على ان ما في موضع المصدر أو بأي شئ أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لا علم لنا) أي لا علم لنا بما لست تعلمه (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الأمر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله انك أنت أي انك أنت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء وقرأ أبو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة أو نصب باضمار اذكر (اذ أيدتك) قويتك وهو ظرف لنعمتي أو حال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه الصلاة والسلام أو بالكلام الذي يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة

العثور على خيانتهم وحلفهم الكاذب لقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما الا ان يراد زيادة الفضيحة وظهورها (قوله لانه حكم يعم الشهود) الاولى أن يقال لانه حكم يعم الشهود والاوصياء فان حكم الشاهد المفهوم من الآية منسوخ كما ذكر (قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي بعضهم فيجب ان يحترزوا عن الفسق حذرا ان يكونوا من ذلك البعض وانما قلنا ذلك لان من الفساق بل من الكفرة من هدى الله الى الحق والى طريق الجنة (قوله فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف) أي اذا كان المراد الاهتداء الى الجنة والى طريق الجنة كان يوم يجمع الله الرسل ظرفا ليهدي (قوله ولذلك قالوا الخ) لما كان المقصود التوبيخ الى ان يقولوا كيفية جوابهم قالوا لا علم لنا اذ لو كان المقصود بيان حالهم لوجب ان يذكروا ما أجابوا (قوله وفيه التشكي منهم) اذ السكوت عن شرح حالهم مفيد لانهم علموا ما لا ينبغي ان يذكر (قوله وقيل لا علم لنا الى جنب علمك) ظاهر هذا المعنى لا يناسب جواب السؤال المذكور وان كان المراد لا علم لنا الى جنب علمك فيما قال القوم فهو راجع الى ما ذكره المصنف (قوله و يؤيده قوله ويكلم الناس) أي يؤيد احياء النفس حياة أبدية

على

(قوله على ألسنة رسلي) يمكن أن يكون المراد الرسل الموجودين في زمان عيسى ويمكن أن يورد على ألسنة الرسل المتقدمة فان وصول الخبر المتواتر عن الرسل المتقدمة اليهم في حكم أمر الرسول مشافهة (قوله فيكون تنبيها) الظاهر ان جعله ظرفا لقالوا تنبيه على ماذكر أي ربط أحد هذين الكلامين بالآخر دال على ذلك (قوله على ماتقتضيه

الحكمة والارادة الخ) يعني انهم عالمون بانه تعالى قادر على ماذكر لكن سؤالهم عن استطاعته بحسب الارادة والحكمة فكانهم قالوا هل ارادته تعالى تتعلق بانزال المائدة المذكورة فيستطيع ماذكر أو تتعلق بعدم انزالها حتى لايستطيع لان ارادته تعالى اذا تعلقت بشئ لايمكن وقوع نقيضه لكن قوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لايلائم هذا التفسير لان السؤال عن الاستطاعة بحسب الحكمة والارادة ليس فيه قصور وسوء أدب اذ هو من علوم الغيب ولا يعلم أحد ارادته تعالى بشئ مستقبل الا بان أعلمه الله تعالى (قوله تمهيد عذر) لايخفى ان ماذكر لايصلح ان يكون عذرا في السؤال المذكور على مافسره اذ مافسره هو انه لم يكن الاخلاص عن تحقيق واستحكام معرفة بل المناسب على هذا التقدير ان يسألوا نريد ان ينزل ربك علينا مائدة من السماء (قوله قالوا نريد فلم تنزل) لك أن تقول هذا خلاف صريح قوله تعالى اني منزلها عليكم ويمكن أن يقال ان المراد من الكلام اني منزلها عليكم ان أردت المصلحة والحكمة في انزالها لكن لم تنزل لعدم الشرطين المذكورين (قوله على السعة) أي على حذف حرف الجر وإيصال الفعل اليه والتقدير أعذبه بعذاب (قوله الضمير للمصدر أو العذاب) ظاهره يدل على ان المراد من المصدر هو التعذيب الذي في ضمن لاأعذبه لايقال يلزم حينئذ جعل الجملة الوصفية التي هي لاأعذبه حالية

على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يكتهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني) سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذ كففت بني اسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) أي ماهذا الذي جئت به الا سحر مبين وقرأ حمزة والكسائي الاساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام (واذ أوحيت الى الحواريين) أي أمرتهم على ألسنة رسلي (أن آمنوا بي وبرسولي) يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) مخلصون (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم) منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ماتقتضيه الحكمة والارادة لا على ماتقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك أو من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة (قال اتقوا الله) من أمثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعائكم الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو أن يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى (ونعلم أن قد صدقتنا) في ادعاء النبوة أو أن الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى أن لهم غرضا صحيحا في ذلك أو أنهم لايقلعون عنه فأراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي أنها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الامة أو الطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي (وارزقنا) المائدة أو الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلاعوض (قال الله اني منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا) أي تعذيبا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة (لاأعذبه) الضمير للمصدر أو للعذاب ان أريد مايعذب به على حذف حرف الجر

(أحدا من العالمين) أى من عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال ياسمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعدالله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريدها فلم تنزل وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى أن انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين أو صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فانهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا أن عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل اتخذونى وأمى الهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى (قال سبحانك) أى أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك (ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق) ما ينبغى لى أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) تعلم ما أخفيه فى نفسى كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ماقلت لهم الا ما أمرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه (أن اعبدوا الله

تعالى فعلى التقدير الاول يكون معنى قوله تعالى الهين من دون الله الهين كائنين من جملة غير الله وعلى هذا التقدير يكون المعنى الهين كائنين من جنس ما هو أدنى بالنسبة الى الله تعالى (قوله فيكون فيه تنبيه الخ) لانه توبيخ على اتخاذهم اياهما معبودين من دون الله ففيه ايماء الى أن لا يجتمع عبادة الله مع عبادة غيره فمن عبد غيره فكأنه لم يعبده (قوله وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد الذات) لا يخفى انه على تقدير المشاكلة لا يمكن حمل النفس بمعناها الحقيقى بل بحسب معنى آخر والمناسب هو الذات (قوله تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه) اما الاول فلان اثبات علم جميع الغيوب له تعالى متضمن لعلمه ما فى النفس وأما الثانى فلان حصر علم الغيوب فيه تعالى على ما هو مستفاد من ضمير الفصل يفهم أن عيسى لا يعلم ما يعلمه الله فان قيل شرط ضمير الفصل أن يكون الخبر معرفا باللام أو أفعل من قلنا جوز بعضهم أن يكون الخبر مضافا الى المفرد (قوله تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه) والمعنى ماقلت لهم شيأ من الامر بالعبادة الا ما أمرتنى ولا يخفى أن المستفهم عنه داخل فى المنفى

ربى

(قوله عطف بيان للضمير) قال صاحب المغنى عطف البيان فى الجوامد نظير النعت فى المشتقات فكما ان الضمير لا ينعت فكذلك لا يعطف عليه عطف بيان و وهم الزمخشرى فاجاز ذلك ذهولا عن هذه النكتة وممن نص عليه من المتأخرين ابن السيد وابن مالك والقياس معهما اهـ كلامه (قوله وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه الخ) جواب سؤال هو انه اذا كان بدلا للزم منه ماذكر من المحذور وفى قوله وليس من شرط البدل اشعار بانه قد يكون المبدل منه فى حكم المطروح والا لكان الاولى أن يقال والمبدل منه ليس فى حكم المطروح أصلا ثم ان اعبدوا الله بمعنى عبادة الله فلذا صح جعله بدلا وعطف بيان (قوله أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو اعنى) فيه ان هذا الضمير راجع الى ما أمرتنى وهو ليس أن اعبدوا الله بل العبادة ولا يصح جعل ان مصدرية حتى تؤول الجملة بالمصدر لانه يصير هكذا الا ما أمرتنى به وهو عبادة الله ربى وربكم وهو غير صحيح كما لا يخفى فان قيل مراده ما أمرتنى بان

ربى وربكم) عطف بيان للضمير فى به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو اعنى ولا يجوز ابداله من ما أمرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله سبحانه وتعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكأنه قيل ما أمرتهم الا بما أمرتنى به أن اعبدوا الله (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) أى رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك و يعتقدوه أو مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك والتوفى أخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (كنت أنت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات (وأنت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له (ان تعذبهم فانهم عبادك) أى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح باضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان للنفع (لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير أولى العقل اعلاما بأنهم فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم

أقوله هو أن اعبدوا الله قلنا ما أمر بان يقول عيسى هو اعبدوا الله من غير ان لا معها وقس عليه كونه مفعولا (قوله فان المصدر لا يكون مفعول القول) يعنى لو كان بدلا مما أمرتنى كان مفعولا كما ان ما أمرتنى أيضا كذلك لكن اذا كان ان مصدرية كان أن اعبدوا الله فى معنى عبادة الله فيكون المعنى ماقلت لهم الا العبادة وهذا غير صحيح (قوله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم) يمكن أن يقال ان المعنى ماقلت لهم الا ما أمرتنى بان أقول لهم وحينئذ لا يلزم المحذور لان ما أمر الله عيسى بان يقوله هو اعبدوا الله ربى وربكم (قوله الا أن يؤول القول بالامر) فيلزم هنا ماذكره أولا من المحال فيحتاج الى التأويل الذى قلنا وحينئذ لا يحتاج الى تفسير القول

بالامر (قوله ولا اعتراض على المالك المطلق) فان العباد قد يعترض عليهم ببعض ما يفعلون فى ملكهم مما لم يجوزه الشرع فان العبد ليس بمالك مطلقا بل ليس بمالك فى الحقيقة (قوله فلا عجز ولا استقباح) فان كونه تعالى عزيزا غالبا ينفى العجز وحكيما ينفى استقباح فعله (قوله فلا امتناع فيه لذاته الخ) فيه ان التعليق بان قد يكون فى الممتنع بالذات كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانه يلزم التعليق كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولاجل ما قلنا لم يتعرض له صاحب الكشاف (قوله وخبر هذا محذوف) والتقدير هذا جزاء الصدق أو نحوه (قوله لان المضاف اليه معرب) قال الرضى هذا مما اختلف فيه النحاة فبعض البصريين على أنه لا يجوز فى مثله الا الاعراب فى الظرف المضاف لضعف علة البناء وعند الكوفيين و بعض البصريين يجوز بناؤه اعتبارا بالعلة الضعيفة

(قوله وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية) لان ماموضوع للجنس فيدل على ان ماهو فيهن أجناس فكل مافيهما من الاشخاص له مجانس وكل ماله مجانس لايصلح للالوهية لان الالوهية تقتضى التوحيد والانفراد عن المجانس والظاهر من كلامهم فى هذا الموضوع وغيره ان استعمال مافيما لاجنس له ولامجانس كقوله تعالى والسماء ومابناها والأرض وماطحاها لابطريق الحقيقة (قوله ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها) أى يطلق على العالم وعلى غيره بخلاف من فانه مخصوص بذى العلم ولايطلق على غير العالم الاتغليبا فان قيل قد ورد فى التنزيل اطلاقه على غير ذى العلم وهو قوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على أربع قلنا قال الرضى لما غلب العلماء فى ضمير منهم نشأ عن هذا التغليب اطلاق من على غير ذى العلم ﴿سورة الانعام﴾ (قوله أخبر أنه تعالى حقيق بالحمد) انما قال ذلك ولم يقل كل حمد حاصل له لان استحقاقه تعالى للحمد اتم (قوله ونبه على أنه المستحق له) فيه اشعار بان غيره تعالى لايستحق الحمد فان الخبر المحلى باللام يفيد الحصر وانما اختص به لان الحمد لايتعلق الا بالفاعل المختار ولا فاعل غيره تعالى لانه خالق السموات والأرض وقد أوضحنا هذا البحث حق الايضاح فى أوائل الحواشى التى كتبناها على تفسير فاتحة الكتاب من البيضاوى (قوله حمدا ولم يحمد) لأن استحقاقه للحمد بواسطة خلق السموات والأرض مثلا وهذه الصفة ثابتة له حمد أولم يحمد (قوله وهى مثلهن) مأخوذ من قوله تعالى ومن الارض مثلهن (قوله لأن طبقاتها مختلفة بالذات الخ) هذا موافق لكلام الفلاسفة فانهم يقولون لكل فلك هيولى خاصة وصورة نوعية خاصة وأما الشرع فالظاهر انه لم يصح فيه شيء دل على كونها مختلفة

وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها فهو أولى بارادة العموم
*عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

﴿ سورة الانعام مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله
قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض) أخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) أنشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة

بالذات والحقائق بل المحققون من المتكلمين على ان الاجسام كلها متساوية فى تمام الماهية وهذا هو المفهوم من كلام العلامة النيسابورى ولعل استفادة اختلافها بالذات من حركاتها المتفاوتة والآثار لأن الطبيعة الواحدة لايصدر عنها الأفاعيل المتنافية وهذا أيضا بناء على مذهبهم واما الشرع فانه يثبت ان الفاعل للكل هو الله تعالى بحسب ارادته فيمكن ان تكون السموات متحدة بالنوع مختلفة الحركات بارادة القادر المختار اختلافه وههنا نظر حكمى أيضا وهو ان يقال لم لايجوز ان تكون السموات متحدة مع اختلاف الحركات بواسطة التشخصات لايقال لعل مراده من الاختلاف بالذات اختلافها بحسب الاشخاص لانا نقول طبقات الارض أيضا كذلك مختلفة الاشخاص (قوله وقدمها لشرفها) هذه مسئلة اختلف فيها العلماء قال العلامة النيسابورى قال بعضهم السماء أفضل لانها معبد الملائكة وماوقع فيها معصية ولذا لما عصى الله آدم أهبط من الجنة وقال الله تعالى لايسكن فى جوارى من عصانى وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ووقع فى الأكثر ذكر السماء مقدما على الأرض والسماء مؤثر والأرضيات متأثرة والمؤثر أشرف من المتأثر وقال الآخرون بل الأرض أفضل لانه تعالى وصف بقاعا من الأرض بالبركة فقال ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وقال فى البقعة المباركة وقال فى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله و وصف جملة الأرض بالبركة فقال تعالى و بارك فيها وقدر فيها أقواتها وخلق الانبياء من الأرض الى غير ذلك من الدلائل التى ذكرها أقول لايخفى ان قوله لانه تعالى وصف بقاعا من الارض الخ يدل على شرفها لا اشرفيتها (قوله وتقدم وجودها) مراده ان السموات على هذه الهيئة التى وقعت مقدمة على الارض الكائنة على هذه الهيئة الموجودة لانه تعالى قال فى سورة النازعات أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها فانه صريح فى ان بسط الارض مؤخر عن تسوية السماء (قوله وفى الجعل معنى التضمين) قال العلامة التفتازانى معنى التضمين جعل شيء فى ضمن شيء بان يحصل منه أو يصير اياه أو ينقل منه أو اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين

والظلمة بالجعل تنبيها على أنهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والاجرام الحاملة لها أولان المراد بالظلمة الضلال و بالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتعديها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لايتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته و يكون بربهم تنبيها على أنه خلق هذه الاشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر أو على قوله خلق على معنى أنه سبحانه وتعالى خلق مالا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الاوثان أى يسوونها به سبحانه وتعالى (هو الذى خلقكم من طين) أى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو أصل البشر خلق منه أوخلق آباءكم فحذف المضاف (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها او قيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى أى مثبت معين لايقبل التغير وأخبر عنه بانه عند الله لامدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه

وارتباط بينهما وفى الخلق معنى الايجاد بقدر وتسوية انتهى كلامه ولايخفى ان التضمين بالمعنى المذكور لايناسب الصور الثلاث الاولى الا بتكلف بعيد لاحاجة اليه والاولى ان يقال ان جعل أعم من خلق لانه يقال فيما ليس بمخلوق والخلق لايقال فيما ليس بموجود (قوله تنبيها على انهما لايقومان بأنفسهما) وفيه نظر لانه ان أراد من عدم القيام بنفسه كون الشئ عرضا فالتضمين بالمعنى المذكور لايدل عليه كما لايخفى وان أراد من عدم القيام بنفسه احتياجهما الى الخالق فى الوجود والبقاء فلايصح كونهما معبودين كما زعمت الثنوية فهذا لايحتاج الى تعليق الجعل بهما بل لو علق الخلق بهما وقيل وخلق الظلمات والنور حصل المقصود لكن ظاهر عبارة المصنف وهو انه عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل الخ يدل على خلاف ذلك والاولى ان يقال جعل الظلمات والنور ولم يدخلهما تحت الخلق لافادة ان الظلمة ليست من الموجودات (قوله على مازعمت الثنوية) أى القائلون بوجود الهين خير وشر فالاول هو النور والثانى هو الظلمة وفيه ان النور والظلمة اللذين ذكر وهما بمعنى غير المعنى المشهور وهما بهذا المعنى قائمان بذاتهما الابالمحل فانهم قالوا النور هو الذات المظهر للغير الفاعل للخير والظلمة ضده والمعنى المشهور للنور هو كيفية تكون مظهرا للاشياء عند الحس البصرى والظلمة عدمها ولايخفى ان النور بالمعنى المذكور موجود وقائم بذاته كسائر الجواهر فكيف يدل القرآن على بطلانه (قوله لكثرة أسبابها الخ) أى لكثرة أسبابها بالنظر الى أسباب النور والافأسباب النور والاجرام الحاملة له أيضا كثيرة (قوله والهدى واحد) أى دين الله واحد أى أصول الدين فى كل ملة من ملل الانبياء واحد وانما الاختلاف فى الفروع ولذا قال شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى (قوله حتى لايتعلق به الجعل) لان الجعل الانشاء هو أعم من ايجاده بنفسه أو ايراده فى محل بان جعل المحل متصفا به ولايخفى ان الموجود قد يتصف بالمعدومات (قوله أو عطف على خلق الخ) كذا فى الكشاف ومحصول ماذكر العلامة التفتازانى وغيره انه ليس القصد ههنا عطف الموصول وصلته على مثلهما اذ لامعنى لقول القائل الحمد لله الذى الذين كفروا بربهم يعدلون بل هو داخل تحت الصلة فكانه قيل الحمد لله الذى كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفران أقول فيه نظر اما أولا فلان مثل هذا التكلف البعيد وتغيير النظم لاينبغى الا لضرورة ولاضرورة ههنا واما ثانيا فلان قوله من الكفرة الكفران لايناسب لان يذكر بعد الحمد لله اذ لاعلاقة له مع الحمد (قوله لايقدر على شئ منه) تبع فى هذه العبارة صاحب الكشاف ومعلقوه والاولى ان يقال مالايقدر على شئ (قوله بعد هذا البيان) الوجه ان يقال بعد ظهور هذه الآيات التى هى خلق السموات والارض كما قال صاحب الكشاف (قوله ليقع الانكار على نفس الفعل) أى ليقع الانكار على نفس العدول أى على مطلق العدول عن الحق وفيه اشعار بان عدولهم مطلقا منكر لانه عدول عن الحق (قوله والاستئناف به لتعظيمه) يعنى لم يعطف أجل مسمى على مفعول قضى وهو أجلا وجعل كل منهما مامستقلا لما ذكر ولذلك نكر ووصف به لتعظيمه (قوله مثبت معين لايقبل التغيير) بخلاف الاجل الاول فانه قد يتغير بالاسباب كالصدقات وسائر الأعمال فتأمل (قوله لامدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة)

بخلاف الاجل السابق فانه قد يعلم لبعض أصحاب الوحى والالهام وقد يكون لقدرة الغير مدخل فيه بحسب الظاهر كالقتل وغيره (قوله ولانه المقصود بيانه) لان الاجل الاول الذى هو الموت معلوم القضاء أو لانه أعظم من الاول (قوله تعالى ثم قضى أجلا) الظاهر ان ثم ههنا بالمعنى الحقيقى وهو التراخى فان الحكم بقضاء الأجل الذى هو الموت مؤخر عن الخلق بزمان (قوله ولذلك استغنى عن تقديم الخبر) اعلم ان المشهور فى استعمال الفصحاء تأخير المبتدا مع الوصف عن الظرف كما صرح به صاحب الكشاف ومعلقوه فوجب ذكر المرجح بخلاف المشهور ولم يذكره المصنف وذكره صاحب الكشاف وهو الى قصد التعظيم (قوله استخراج

المقصود بيانه (ثم أنتم تمترون) استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك وأصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع (وهو الله) الضمير لله سبحانه وتعالى والله خبره (فى السموات وفى الارض) متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله سبحانه وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أو بقوله (يعلم سركم وجهركم) والجملة خبر ثان أو هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى أنه سبحانه وتعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صفته لا تتقدم عليه (ويعلم ما تكسبون) من خير أو شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله أريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من أحوال الانفس وبالمكتسب أعمال الجوارح (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة أو معجزة من المعجزات أو آية من آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم أو كالدليل عليه على معنى أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة أو عند ظهور الاسلام وارتفاع أمره (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى من أهل زمان والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبى أو فائق فى العلم قلت المدة أو كثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها (ما لم نمكن لكم) ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب (وأرسلنا السماء عليهم) أى المطر أو السحاب أو المظلة فان مبدأ المطر منها (مدرارا) أى مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار (فأهلكناهم بذنوبهم) أى لم يغن ذلك عنهم شيأ (وأنشأنا) وأحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى أنه سبحانه وتعالى كما قدر على أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر

اللبن من الضرع) ولعل سبب النقل من هذا المعنى الى الشك ان الشك منشأ استخراج العلم الذى هو كاللبن (قوله متعلق باسم الله) ليس المراد ما هو الظاهر انه يتعلق بنفس اسم الله بل المراد انه متعلق بما تضمنه الاسم الاقدس فانه متضمن للعبودية كقول القائل هو حاتم فى طيء أى جواد فيه لان الاسم لا يتعلق به الجار والمجرور الا باعتبار معنى ظاهر (قوله أو ظرف مستقر وقع خبرا) فيكون المعنى وهو الله كائن فى السموات وفى الارض ويكون كونه تعالى فيهما مجازا عن علمه بما فيهما استعمل كون العالم فى الشئ بمعنى علمه بما فيه بطريق المجاز المرسل (قوله وليس متعلق المصدر) أى ليس فى السموات والارض متعلقا بالسر والجهر لان صلة المصدر لا تتقدم وقد ذكرنا مرارا ان المحققين على انه يجوز اذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا (قوله ما يخفى وما يظهر من أحوال النفس)

لا يقال لا يظهر من أحوال النفس شئ بل هى كلها سر والظاهر هو أعمال الجوارح لانا نقول أعمال الجوارح دالة على أحوال النفس فيظهر أحوالها باعمال الجوارح و يمكن أن يقال المراد من الاولين ما ظهر وما خفى من الاحوال التى لا تكون بالكسب و بالثالث ما يكون بالكسب (قوله كانه قيل) الى قوله أو كالدليل الخ هذا بناء على ان الفاء السببية قد تكون لسببية ما قبلها لما بعدها أو بالعكس فعلى الوجه الاول يكون الوجه الاول من السببية وعلى الوجه الثانى يكون الوجه الثانى منها

بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بأيديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا انما سكرت أبصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوّز فانه قد يتجوّز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبى كقوله لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم و بيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أى ولو جعلناه رجلا للبسنا أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون ماهذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث أهلكوا لاجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق بينه و بين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا أن السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين (قل لمن ما فى السموات والارض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) تقريرا لهم وتنبيها على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم أن يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر أى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم

(قوله تعالى فى قرطاس) فان قلت ما فائدة لفظ القرطاس قلت فائدته المبالغة لانهم اذا قالوا فى بين ما هو المتعارف وهو كون الكتاب فى القرطاس انه السحر فقولهم هذا فيما لا يكون معتادا أولى (قوله ثم لا ينظرون) قال صاحب الكشاف عدم انظارهم اما لأنهم عاينوا الملك فقد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورته وهى انه لاشئ أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة واما بزوال الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوه فى صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون وأقول فان قيل لم كان زوال الاختيار سببا لهلاكهم قلنا لان خلقهم كان للابتداء بالتكليف فاذا ابطل الاختيار زال التكليف فزال سبب وجودهم و بزول الوجود بزوال سببه (قوله ولانه يتقدمه الابصار) أى اللمس بالايدى متقدم عليه الابصار بلا مانع فلا حاجة الى ذكر الابصار ههنا (قوله وتارة يقولون لو شاء ربك لانزل ملائكة) فان قيل فعلى هذا كان المناسب ان يقال ولو جعلناه ملائكة ليطابق الافتتاح وهو قولهم لو شاء ربك لانزل ملائكة والجواب ان المراد بذلك الجنس فيكون شاملا للجمع (قوله وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء) فيه خفاء قال العلامة النيسابورى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما رأى جبرائيل عليه الصلاة والسلام غشى عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة فى صورة البشر كأضياف لوط وابراهيم وكالذين تسوروا المحراب (قوله يسخر منهم) الضمير راجع الى الرسل فيكون تعديته بمن مثل قوله تعالى انا نسخر منكم (قوله ان السير ثمة لاجل النظر) فيكون الفاء للسببية بان يكون ما قبلها سببا لما بعدها فان السير سبب لحصول النظر فى الخارج (قوله سؤال تبكيت) أى الزام والخام أى أورد عليهم حجة ما قدروا على الجواب عنها (قوله تقريرا لهم) أى جعلهم مقرين لهم واذا كان ما فى السموات والارض لله بطل الشركة والشركاء (قوله وتنبيه على انه المتعين للجواب) لان تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول به من غير الالتفات الى جوابهم مشعر بان هذا الجواب متعين فلا حاجة الى ان يجيبوا (قوله التزمها تفضلا واحسانا) لانه وعد بالرحمة فصارت الرحمة واجبة بمقتضى الوعد لان اخلاف الوعد نقص وهو على الله تعالى محال وفى كلامه رد على من قال ان الرحمة واجبة عليه مطلقا لا بالوعد

(قوله وقيل بدل من الرحمة الخ) فيه ان الظاهر ان معنى قوله تعالى قل لمن ما فى السموات وما فى الارض قل لله للكافرين لان المؤمنين معترفون بان الكل له فلا معنى للتبكيت على ماصرح به فظاهره يدل على انه يكون الخطاب فى ليجمعنكم لهم أيضا ولا يناسبه قوله فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم الا أن يقال انه أعرض عن الكافرين واعلم ان العلامة الطيبى قال قال الزجاج يجوز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة وفسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيامة والامهال رحمة انتهى بحروفه ولا يخفى ان هذا هو المناسب (قوله فاكتفى باحد الضدين عن الآخر) فان قلت لم ذكر وله ماسكن ولم يقل وله ماتحرك قلنا يمكن أن يكون الاصل السكون وأما الحركة فتحتاج الى محرك وفيه ان ماتحرك من الليل والنهار أعظم وأظهر اذ هو السموات والكواكب فهو أولى بالذكر فالاولى تفسير ماسكن بالوجه الاول وهو ان يكون من السكنى (قوله لكل مسموع) هذا العموم مستفاد من حذف متعلق السميع اذ لما كان لابد للسمع من متعلق والتخصيص ببعض المسموعات تخصيص بلا مخصص فوجب تقدير مادل على العموم

أو فى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لاريب فيه) فى اليوم أو الجمع (الذين خسروا أنفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر أى وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر (فهم لايؤمنون) والفاء للدلالة على أن عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان (وله) عطف على الله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم والمعنى مااشتملا عليه أو من السكون أى ماسكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم (قل أغير الله أتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولا يطعم) يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على أن الضمير لغير الله والمعنى كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على أن الثانى من أطعم بمعنى استطعم أو على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته فى الدين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل (قل انى أخاف ان عصيت

ربى

(قوله لا لاتخاذ الولى) اذ لو أخر غير الله لتوهم ان انكار اتخاذ غير الله وليا لاجل انكار اتخاذ الولى وأما اذا قدم فلا يتوهم ما ذكر أصلا والاولى أن يقال ان تقديم غير الله للاشعار بان الانكار مخصوص باتخاذ غير الله وليا فيكون اشعارا باتخاذ الله وليا لانه لابد من ولى ومعبود ولا يصح اتخاذ غير الله وليا فيجب اتخاذ الله وليا لانه لابد من ولى ومعبود الهى وانما قلنا لابد من اتخاذ المعبود لان الخلق لابد له من خالق ومنعم حقيقى وهو يستحق ان يكون معبودا (قوله فانه بمعنى الماضى) أى كونه صفة لله موجب كونه معرفة فيجب كونه بمعنى الماضى حتى يكون مضافا فيتعرف (قوله وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج اليه) أى تخصيص الطعام بالذكر من بين أفراد الرزق وجعله بمعناه لما ذكر والظاهر ان الشراب داخل فيه لقوله ومن لم يطعمه فانه منى (قوله وقرئ بعكس الاول) أى وقرئ يطعم الاول بفتح العين ويطعم الثانى بكسرها كما صرح به صاحب الكشاف وفيه ان شركاءهم أصنام والصنم جماد لايطعم والجواب ان المراد من الاطعام على هذه القراءة التربية لامعناه الحقيقى كذا قال العلامة الطيبى لكن بقى الاشكال على المصنف وصاحب الكشاف فانهما فسرا الاطعام بالرزق ولا يخفى ان الاصنام ليست بمرزوقة لان الرزق النفع الواصل الى الحيوان وقال العلامة التفتازانى صح ذلك بالنظر الى اطلاق غير الله فان منهم من يطعم كالمسيح من معبودات الكفرة ثم ان قول المصنف ماهو نازل عن رتبة الحيوانية لايناسب قوله يطعم ولا يطعم على عكس الاول لان مايطعم ولا يطعم حيوان وهذا من زوائده على الكشاف فالظاهر ان قوله والمعنى الخ ان معنى القراءة الأولى ماذكر أى أغير الله وهو الصنم النازل عن رتبة الحيوانية أتخذ وليا والحال ان الله يرزق ولا يرزق والحيوان يرزق ولا يرزق والصنم لايرزق ولا يرزق (قوله وقيل لى ولا تكونن من المشركين ونحوه) ظاهر العبارة يفيد انه رجح الأول مع ان المناسب الوجه الثانى

لاحتياج الاول الى التقدير دون الثانى (قوله محذوف دل عليه الجلة) والمعنى ان عصيت ربى أخاف عذاب يوم عظيم (قوله وقد قرئ باظهاره الخ) أى قرئ من يصرف الله عنه يومئذ ويكون التقدير من يصرف الله العذاب عنه يومئذ أو من يصرف الله عنه عذاب الله يومئذ (قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) حجة أخرى على المشركين فانه لما كان الله قادرا على دفع الضر لاغيره بطل الشرك لانه لا وجه لعبادة من لم يكن قادرا على دفع الأذى وترك عبادة من قدر عليه (قوله تعالى فهو على كل شئ قدير) دل هذا على ان غير الله تعالى لا يقدر على ايصال ذلك الخير لانه لما كان الله قادرا على ايصال ذلك الخير ومنعه كما فهم من قوله تعالى فهو على كل شئ قدير فلو قدر غيره عليه فاذا أراد ايصاله الى العبد وأراد الله عدم ايصاله اليه لزم ما لزم من التمانع (قوله تصوير

ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة أخرى فى قطع أطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجلة (من يصرف عنه يومئذ) أى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير فيه لله سبحانه وتعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وأنعم عليه (وذلك الفوز المبين) أى الصرف أو الرحم (وان يمسسك الله بضر) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلا قادر على كشفه (الا هو وان يمسسك بخير) بنعمة كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلا راد لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى أمره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا أحوالهم (قل أى شئ أكبر شهادة) نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك أنك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) أى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) أى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين أى لانذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر أو من الثقلين أو لانذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) أى بل أشهد أن لا اله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم (الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) لتضييعهم ما به يكتسب الايمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير

الخ) الباء فى بالغلبة متعلق بالعلو والمراد تصوير العلو الرتبى على العباد فاستعمل ما هو للفوقية المكانية فى الشرف والعلو بحسب المرتبة وغرضه ان ليس العبارة على معناها الحقيقى وانما المراد منه تخييل قهره وعلوه بالوجه الذى ذكر والأولى ان يقال القهر عبارة عن الغلبة وهى معناه الحقيقى والمراد من الفوقية العلو الرتبى (قوله تعالى قل الله) أى هو أكبر شهادة فان قلت ما المراد من شهادة الله قلنا اظهار المعجزة على يد النبى صلى الله عليه وسلم فان حقيقة الشهادة ما تبين به المدعى وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل ولا شك ان دلالة الفعل أقوى من دلالة القول بعروض الاحتمالات فى الالفاظ بخلاف الفعل فان دلالته لا تعرض له

الاحتمال والمراد من الشهادة ههنا الشهادة على نبوته صلى الله عليه وسلم فان القرآن دال عليه لانه أعجزهم عن المعارضة كما دل عليه سبب النزول ولقوله تعالى شهيد بينى وبينكم ولقوله تعالى وأوحى الى هذا القرآن لانذركم لكن قوله تعالى أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى يدل على ان المراد الشهادة على التوحيد (قوله وهو دليل الخ) فيه انه فسر أولا من بلغ بالموجودين الغائبين كما هو الظاهر من عبارته بقرينة ما قاله ثانيا من ان المراد به الموجودون بعده وعلى هذا يكون محتملا للمعنيين فكيف يكون دليلا والمحتمل لا يصلح دليلا والاولى ان يقال ظاهر قوله تعالى ومن بلغ مطلق عام للموجودين الغائبين والذين يوجدون بعده الى يوم القيامة (قوله بالغ غاية الافراط فى الظلم) قد أفرط فى تفسير هذه الآية والوجه ان يقال المراد من أمثال هذا التركيب أى من أظلم شدة الظلم اذ لا يمكن فى كل

موضع خصوصا في هذا الموضع حمله على البلوغ غاية الافراط في الظلم اذ قتل النبي مثلا أبلغ منه في الظلم (قوله منصوب بمضمر تهويلا للأمر) يفيد ان اضمار العامل يشعر بالتهويل وقال صاحب الكشاف ناصبه محذوف تقديره و يوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو أدخل في التخويف فعلم من عبارته ان التخويف لم ينشا من مجرد حذف العامل وانما نشأ من تركه مع فاعله ومراد المصنف ما ذكر صاحب الكشاف فكأنه قال لو ذكر العامل لوجب ذكر فاعله فلم يبق التهويل وان كان حذف الفاعل موجبا للتهويل لان السامع يذهب كل مذهب ممكن بخلاف ما اذا ذكر فانه يعين ما هو المذكور (قوله

وقد أيقنوا بالخلود) لك ان تقول من أين يعلم انهم عند هذا القول أيقنوا بالخلود لابد من بيان (قوله وهو لا يوافق قوله انظر الخ) اعلم ان من قال بالتفسير المذكور غرضه منع صدور الكذب عنهم في الآخرة بناء على مذهبه وان كان بخلاف الجمهور ولما كان شركهم محققا كان نفي الشرك عنهم كذبا فلابد لنفي الكذب من ان يقال معناه انهم ما كانوا مشركين في اعتقادهم حتى يكونوا موحدين في اعتقادهم وهذا لا يلائم قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم لانه يدل على ان قولهم ما كنا مشركين كذب لكن معناه ان اعتقادنا ما كنا مشركين وهذا ليس بكذب اي عند مانع الكذب يوم القيامة ان اعتقادهم كذلك في الواقع فأجاب بان المراد كذبهم في الدنيا فرد عليه بانه يوجب اختلال النظم واذا ظهر لك ما قدمناه علمت ما في كلام المصنف من أي القصور والابهام في الكلام (قوله وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم) لان أول الكلام بيان حالهم في الآخرة وهو لتلك النظم (قوله ونظير ذلك قوله) لان معناه يحلفون بالله في الآخرة بانهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم (قوله وحتى هي التي يقع بعدها الجمل الخ) وهي حتى الابتدائية (قوله ويجوز ان تكون الجارة الخ) هذا بناء على الظاهر من ان اذا ليس بلازم الظرفية والا لزم ان يكون منصوبا لا مجرورا وأيضا لزم دخول حتى الجارة على المقدر واذا كانت الجارة يكون المعنى حتى وقت مجيئهم كذا قاله صاحب الكشاف (قوله خرافات الأولين) قيل أصل الخرافة المخترف من الفواكه من الشجر ثم جعل اسما لما يتلهى به من الاحاديث

للشأن (لا يفلح الظالمون) فضلا عمن لا أحد أظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا) أي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب أو لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ما كنا مشركين) يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء أو المدح (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه و يقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لارى حقا فقال أبو جهل كلا (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) أي بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين) فانه جعل أصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب و يجادلونك حال لمجيئهم و يجوز أن تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر و يجادلونك حال و يقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع أسطورة أو أسطارة أو أسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه)

وقيل انه رجل من خزاعة استهوته الجن فرجع الى قومه فكان يحدثهم بالأباطيل فكانت العرب اذا سمعت مالا أصل له قالت حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للاباطيل خرافات (قوله استئناف كلام منهم على وجه الاثبات الخ) هكذا فى الكشاف قال العلامة التفتازانى يريد انه ليس بعطف على نرد ليدخل تحت التمنى و يكون المعنى ياليتنا لانكذب بل هو عطف على التمنى عطف اخبار على انشاء وهو جائز باقتضاء المقام وكذا دعنى ولا أعود انتهى كلامه وفيه انه لاحاجة الى القول بعطف الاخبار على الانشاء مع انه خلاف المشهور اذ المصنف وصاحب الكشاف صرحا بان هذا الكلام مستأنف فالظاهر ان الواو لاستئناف قال صاحب المغنى

أى ينهون الناس عن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به (وينأون عنه) بانفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبى طالب (وان يهلكون) وما يهلكون بذلك (الا أنفسهم وما يشعرون) أن ضرره لا يتعداهم الى غيرهم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف أى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود تركتنى أو لم تتركنى أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة و يعقوب وحفص على الجواب باضمار أن بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا (ولو ردوا) أى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا به من أنفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا أو على انهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا (ان هى الا حياتنا الدنيا) الضمير للحياة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف (قال أليس هذا بالحق) كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم أو ببدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له (بغتة) فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فانها نوع من المجيء (قالوا ياحسرتنا) أى تعالى فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا أضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها أو فى الساعة يعنى فى شأنها والايمان بها (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرونه وزرهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أى وما أعمالها الا لعب ولهو يلهى

الواو فى قوله تعالى لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء ونحو من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فيمن رفع أيضا ونحو واتقوا الله و يعلمكم للاستئناف اذ لو كانت للعطف لانتصب نقر ولجزم نذر ولزم عطف الخبر على الامر وكذلك قولهم دعنى ولا أعود (قوله وانهم لكاذبون الخ) جواب لسؤال فكان سائلا يقول اذا كان الكل تحت التمنى فما الكذب والحال ان الكذب لا يكون الا فى الاخبار والتمنى انشاء لا اخبار فأجاب بما ذكر (قوله اجراؤها مجرى الفاء) لاحاجة الى اجراء الواو مجرى الفاء بل النحاة قالوا ان الفعل كما يكون منصوبا بعد الفاء بعد التمنى يكون منصوبا بعد الواو بعده أيضا فيكون المعنى ياليت رددنا وعدم تكذيبنا وكوننا من المؤمنين (قوله ما كانوا

يخفون من نفاقهم) أى بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون (قوله ونصبها على الحال) وعلى هذا تكون بغتة بمعنى مفاجئة واعلم ان صاحب الكشاف ذكر فائدة تركها المصنف وهو انه قال فان قلت انما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا فى أحوال الآخرة جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بسرعة كالواقع بغير فترة وأقول يمكن ان يقال لم يذكر ههنا تحسرهم عند الموت للاشعار بان تحسرهم وقت قيام الساعة بمرتبة من الشدة لا يلتفت معها الى التحسر عند الموت (قوله بئس شيأ يزرونه و زرهم) انما قدر كذلك لان القاعدة فى مثل هذه الصورة ان يكون الفاعل ضميرا مستترا مميزا بما ولابد من مخصوص مقدر أيضا

الناس و يشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ماليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة (أفلا يعقلون) أى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله

* ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى انه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن (فانهم لا يكذبونك) فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من أكذبه اذا وجده كاذبا أو نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون بآيات الله و يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك ليس لنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى أتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أى بعض قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية أو مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما و يجوز أن يكونا متعلقين بتبتغى أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله أو ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) أى آية مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية ان جحدوها هلكوا (ولكن أكثرهم لا

تستعمل للتكثير استعمال الضد فى الضد كرب فانه قد وضع للتقليل وقد يستعمل فى ضده (قوله ولكنه قد يهلك المال نائله) أوله أخى ثقة لا يهلك الخمر ماله يعنى ليس السكر يوجب جوده بل هو ذاتى يهلك المال كرمه والنوال العطاء (قوله فى الحقيقة) يمكن ان يراد ان غرضهم فى الحقيقة ليس تكذيبك ولكن مقصودهم تكذيب آيات الله وان يراد ان تكذيبهم ليس عن القلب لانهم يعلمون صدقك وانما هو باللسان (قوله وفيه دليل الخ) لان الغرض من هذه الآية تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره باقتدائه بالرسل المتقدمة فى صبرهم على تكذيبهم حتى أتاهم النصر ولابد من وقوع تكذيبه حتى يتحقق الاقتداء بهم (قوله تعالى أو سلما فى السماء) يجوز ان يكون فى بمعنى الى وقد جوز النحاة كون فى بهذا المعنى أى سلما واصلا الى السماء اذ يكون المعنى سلما رأسه فى السماء (قوله أو حالين عن المستكن) أى حالين عن الضمير المستتر فى تبتغى أى تبتغى حال كونك فى الأرض أو فى السماء (قوله وهؤلاء كالموتى لا يسمعون) بيان لربط قوله تعالى والموتى يبعثهم الله بما سبق أى المستجيبون هم الذين يسمعون و يفهمون انك على الحق لكن هؤلاء كالموتى فهم يبعثهم الله فيؤمنون بك لكن لا ينفعهم الايمان

لايعلمون) أن الله قادر على انزالها وأن انزالها يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولا طائر يطير بجناحيه) فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل (الا أمم أمثالكم) محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فانه قد دون فيه مايحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث أى خابطون فى ظلمات الكفر أو فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل أرأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ماشأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولزم فى الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم

(قوله وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها) أى انما وصف طائرا بالجملة المذكورة دفعا لتوهم ان الطيران مجاز عن السرعة حتى لا يكون طائرا حقيقيا بل يكون المراد بالطائر السريع الحركة ويمكن أيضا ان يكون المراد الطيران بالهمة كما حكى عن بعض العارفين ويمكن أيضا ان يكون المراد من الطائر الذى لا يدب على الارض بان لم يكن له جناحان كبعض العناكب الذى يتحرك فى الهواء واعلم انه لم يتعرض لفائدة قوله تعالى فى الارض وذكره صاحب الكشاف فقال معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل ومامن دابة فى جميع الارضين السبع ومن طائر يطير فى جو السماء من جميع مايطير بجناحيه الا أمم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (قوله بالرفع على المحل) فان محل دابة الرفع باسمية ما (قوله والقرآن الخ) فان قيل هذا التفسير لا يناسب ظاهر ماسبق وما لحق وهو قوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بخلاف الاول فان معناه على الاول ما فصلنا أحوال كل أمة من الامم المذكورة وغيرها فى اللوح المحفوظ وانتشار أرزاقها فيكون المذكورات أمما أمثالكم وبعد انقضاء آجالهم الى ربهم يحشرون ويمكن ان يقال ان المناسبة مع القرآن ان القرآن بين منه التكاليف فمن عمل بها كان مثابا فى وقت الحشر ومن لم يعمل بها كان معاقبا (قوله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة) لانه حجة واضحة على انه تعالى يضل من يشاء والمعتزلة ينفون ذلك ويقولون الاضلال قبيح تعالى الله عنه ويفسرون الاضلال بمعنى الالطاف وتخلية العبد بحاله حتى يختار الضلالة (قوله استفهام تعجيب) فيه انهم قالوا ان أرأيتكم بمعنى أخبرنى كما صرح به فى الكشاف وليس فيه استفهام ولا تعجيب بل أمر للتبكيت والتوبيخ والجواب ان هذه الكلمة مرادبها الاستخبار عن الشئ العجيب فلما كانت للاستخبار تكون للاستفهام ولما كانت دالة على الشئ العجيب يقصد بها تعجيبهم عن حالكم أيها المخاطبون وعجيب يستحق ان يتعجب منها (قوله والكاف حرف خطاب) الوجه ان يقال كم حرف خطاب يؤكد التاء ويبين ان معناها الجمع قال الرضى ان كم فى أرأيتكم حرف خطاب وليس بمفعول فان قلت اذا كان أرأيتكم بمعنى أخبرونى فما وجه نصب زيدا فى قوله أرأيتك زيدا ماشأنه قلنا نصبه باعتبار انه فى الاصل مفعول به لرأيتك ولا محل للجملة الواقعة بعدها لانها مستأنفة لبيان الحال المستخبر عنها كانه قال المخاطب لما قلت أرأيت زيدا عن أى شئ من حاله تسأل فقلت ماصنع فقولك أرأيت زيدا ماصنع بمعنى أخبرونى عنه ماصنع فهذا التركيب فى الاصل له معنى ثم استعمل بالتجوز فى هذا المعنى (قوله بل الفعل معلق) هذا يخالف اصطلاحهم فان تعلق فعل القلب عندهم ان يهمل عن العمل لفظا ويعمل معنى اذا كان قبله الاستفهام أو النفى أو اللام وهذا الفعل ليس كذلك والجواب ان يقال التقدير أرأيتكم هذه الاصنام ويحكم فيكون تعليقا اصطلاحا ويمكن أن يراد التعليق بمعنى ابطال العمل وجعل المفعول منسيا والاكتفاء بالجملة الشرطية (قوله اذ المفعول محذوف تقديره الخ) فيكون قوله تعالى ان أتاكم عذاب الله مبينا

وأفرأيتم وأفرأيت وشبههما اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى بحذفها أصلا والباقون بحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا (ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (أو أتتكم الساعة) وهو لها ويدل عليه (أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) أن الاصنام آلهة وجوابه محذوف أى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ماتدعون اليه) أى ماتدعونه الى كشفه (ان شاء) أى يتفضل عليكم ولايشاء فى الآخرة (وتنسون ماتشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه من شدة الأمر وهوله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى قبلك ومن زائدة (فأخذناهم) أى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضرّاء) والضرّ والآفات وهما صيغتا تأنيث لامذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم أى لم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى و بيان للصارف لهم عن التضرع وانه لامانع لهم الاقساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ماذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة أومكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم و رب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن و وافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) أعجبوا (بما أوتوا) من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى (أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) أى بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات (انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (أوجهرة) بتقدمة أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أونهارا وقرئ بغتة أوجهرة (هل يهلك) أى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب (الاالقوم الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء (ومانرسل المرسلين الامبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن وأصلح) مايجب اصلاحه على ماشرع لهم (فلاخوف عليهم) من العذاب (ولاهم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم

البأساء والضر مذكر الضراء لانهما أى البأس والضر مصدران (قوله استدراك على المعنى) يعنى ان الظاهر ان يقال لكن يجب عليهم التضرع فعدل الى ماذكر لان ذكر القساوة التى هى المانع مشعر بان عليهم ماذكر فكأنه قيل لكن يجب التضرع وتركوه لماذكر (قوله أى بذلك الخ) اشارة الى أنه يمكن توجيه افراد الضمير باحد الوجوه المذكورة وقد سبق فى قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجه التعبير عن المتعدد بذلك فان قيل ماوجه اعتبار اسم الاشارة واقامة الضمير مقامه قلت الاشعار بان الامور المذكورة أمور ظاهرة فيكون الاحتجاج بها آكد ومع ذلك فيه تكلف والاولى الاقتصار على الوجهين الآخرين (قوله تارة من جهة المقدمات العقلية الخ) فالاول مستفاد من أوائل السورة فانها دالات على وجود صانع قادر مختار مستقل بالايجاد يفعل ما يشاء والثانى مستفاد من قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية والثالث من قوله ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك الآيتين (قوله ولذلك صح الاستثناء الخ)
والا فقد يهلك الصالحون بشؤم الظالمين كما قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

(قوله كأنه الطالب للوصول اليهم) اذ نسبة المس الى العذاب تدل على ان المس والملاقاة من جانبه وبفعله فهو مشعر بما ذكر لكن ناقش فيه العلامة التفتازانى بان المس ليس من خواص الاحياء حتى يلزم ما ذكروا نما هو تلاقى الجسمين من غير واسطة بينهما أقول ان سلم ما ذكر فنقول المتبادر كونه من الاحياء (قوله واستغنى بتعريفه عن التوصيف) أى لم يصف العذاب بالشدة والعظم اكتفاء بتعريفه العهدى المعلوم من المواضع الأخر فكأنه قيل يمسهم عذاب جهنم الذى هو أشد العذاب أو العذاب العظيم (قوله تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية الخ) فيه ان التبرأ عن دعواهما ليس فيه كبير جدوى اذ ظاهر انه عليه السلام لم يزعم أحد

يمسهم العذاب) جعل العذاب ماساً لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) مقدوراته اوخزائن رزقه (ولا أعلم الغيب) مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا أقول لكم انى ملك) أى من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه (ان أتبع الا ما يوحى الى) تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى أو الجاهل والعالم أو مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (أفلا تتفكرون) فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحى مما لا محيص عنه (وأنذر به) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة (لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) بعدما أمره بانذار غير المتقين ليتقوا أمره با كرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روى أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون أى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على أنه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بأنه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله أعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا أو ليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم لحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر (وكذلك فتنا بعضهم ببعض)

فى شأنه ما ذكر والاولى أن يقال المراد اظهار العجز عن اظهار ما اقترحوه من المعجزات كما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعن الاطلاع عن الغيوب (قوله ردا لاستبعادهم دعواه) أى دعوى ان النبوة من كمالات البشر وقوله وجزمهم على فساد مدعاه معناه على فساد انه نبى (قوله دون الفارغين الجازمين باستحالته) فيه نظر اذ هو صلى الله عليه وسلم مأمور بانذار كل مكلف فلا باعث على التخصيص فان قيل ما فائدة انذار المتمرد الجاحد وهو غير مؤثر فيه قلنا ازاحة عذره حتى لا يقول فى القيامة ما سمعت حديث الحشر من النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا المتمرد اذا سمع ممن جرب صدقه أمر الحشر وأهواله فالظاهر انه يحصل فيه خوف فيكون فائدة

الذين يخافون الاشعار بعموم الخوف لانه مأمور بانذار الكل (قوله تعالى ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع) أى ليس لهم شفيع غيره تعالى ففيه اشعار بان الشفاعة الحاصلة للمؤمنين ونصرتهم بشفاعة الله تعالى ونصرته ليس لغيره مدخل فيه فالظاهر ان المراد ليس لجنس الخائفين ولى وشفيع غيره (قوله وفيه نظر) اذ يلزم منه ان يكون ما ذكره وهو قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ الخ سببا لكونه صلى الله عليه وسلم ظالما لان المعطوف عليه كذلك ولانه مدخول الفاء السببية (قوله أى ليس عليك حساب ايمانهم) أى تحقيق قدر ايمانهم ورتبته

(قوله واللام للعاقبة أو للتعليل) فان قيل التعليل ليس ههنا بمعناه الحقيقى لان أفعاله تعالى منزهة عن العلل والاغراض فيكون بمعناه المجازى وهو مجرد الترتب فيكون فى الحقيقة لام العاقبة فلا وجه للترديد قلنا للام مختلفة بالاعتبار فان اعتبر تشبيه الترتيب بالتعليل كانت اللام للتعليل وان لم يعتبر كانت للعاقبة (قوله على ان فتنا متضمن معنى خذلنا) الظاهر انه متعلق بكلا المعنيين ويوجب اعتبار الضمير المذكور ان القول المذكور لا يحصل الا من المخذول (قوله وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج) الوصف باتباع الحجج يفهم من الوصف بالايمان بالقرآن لانه لا يكون الا بعد اتباع الموجب الايمان به وهو الحجج (قوله أى من عمل ذنبا جاهلا الخ) لك أن تقول اذا كان جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد لم يعلم انه ذنب اذ لو علم انه ذنب لعلم ما يتبعه من المضار والمفاسد فاذا لم يعلم انه ذنب لم يمكن صدوره عنه ذنبا اذ لا يؤاخذ به اذ الجاهل معذور فلا حاجة الى التوبة بل لا وجه لها اذ التوبة انما تكون عن الذنب فالاولى الوجه الثانى مما قاله وتوضيحه ان يقال المراد ان من فعل منكم سوأ مع علمه بانه ذنب ملتبسا بجهالة أى بسببه لان من علم ان عمل كذا ذنب وفعله فلا يخلو عن جهالة وسفه أو يقال من عمل سوأ أى ذنبا بجهالة أى مع تقصيره فى تحقيق العلم بانه ذنب مع وجوب تحقيقه تاب وأصلح لانه مؤاخذ بالتقصير (قوله ايذانا بانهم الجامعون بين العلم والعمل) فالعمل يستفاد مما سبق وهو قوله تعالى يؤمنون بآياتنا (قوله أو لتستوضح يا محمد الخ) فيكون ولتستبين معطوفا على الجملة التى هى قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات (قوله صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة الخ) يمكن أيضا أن يكون النهى المذكور بحصول علم ضرورى بالتوحيد

ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس فى أمور الدنيا فتنا أى ابتلينا بعضهم ببعض فى أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة أو للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بان يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بأنهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يردّ عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال أى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما أشار اليه أو ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) بعد العمل أو السوء (وأصلح) بالتدارك والعزم على أن لا يعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا أو خبر أى فأمره أو فله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وأنزل على من الآيات فى أمر التوحيد (أن أعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ما تعبدون من دون الله أو ما تدعونها آلهة أى تسمونها (قل لا أتبع أهواءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد (قد ضللت اذا) أى ان اتبعت أهواءكم فقد ضللت (وما أنا من المهتدين) أى فى شئ من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك (قل انى على بينة) تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى

أو الحجج العقلية أو ما يعمها (من ربى) من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربى أى كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى (ما عندى ما تستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (ان الحكم الا لله) فى تعجيل العذاب وتأخيره (يقضى الحق) أى القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الامر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر أو من قص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو أن عندى) أى فى قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم (والله أعلم بالظالمين) فى معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بمن ينبغى أن يؤخذ وبمن ينبغى أن يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو) فيعلم أوقاتها وما فى تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم ما فى البر والبحر) عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا فى كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أو بدل الاشتمال ان أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة أو رفعا على الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين (وهو الذى يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فان أصله قبض الشئ بتمامه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) يوقظكم أطلق البعث ترشيحا للتوفى (فيه) فى النهار (ليقضى أجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وأنه سبحانه وتعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب

(قوله ويجوز أن يكون صفة) يعنى ان الوجه الاول ان يكون من ربى متعلقا بخبر يعنى ان كونى على بينة من أجل معرفتى ربى وسببها واذا كان صفة البينة كان المعنى على بينة كائنة من ربى (قوله تعالى وكذبتم به الخ) جملة حالية من بينة بتقدير قد وقوله تعالى ما عندى ما تستعجلون به خبر ثان لى وترك العطف لان القاعدة ان العطف وتركه فى هذا الموضع جائز (قوله تعالى قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم) فان قيل هذا يناقض حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم كما فهم من الآيات نحو قوله تعالى فلعلك باخع نفسك لان شدة حرص طلب اسلامهم يستلزم طلب طول بقائهم حتى يؤمنوا قلنا الاستلزام ممنوع اذ يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم طالبا لاسلامهم ما داموا أحياء وهذا لا ينافى ارادة هلاكهم فكأنه صلى الله عليه وسلم طالب اما لحياتهم بشرط الاسلام واما لهلاكهم (قوله والمعنى انه المتوصل الى المغيبات الخ) فيكون من قبيل المجاز المرسل فان كون مفاتيح الغيب عنده تعالى مستلزم للتوصل اليه فاستعمل ما هو موضوع الاول فى الثانى وقد صرح العلامة التفتازانى بانه كما يكون المجاز المركب بطريق التشبيه قد يكون بغيره كقوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد * البيت فان الركب موضوع للاخبار والمقصود منه اظهار التحزن والتحسر (قوله وفيه دليل على انه تعالى الخ) فان الغيب شامل للاشياء التى لم توجد فى الخارج فاذا علم فى الازل كل ما لم يوجد ثبت علمه بالاشياء قبل وقوعها (قوله بدل من الاستثناء الاول) هو قوله تعالى الا يعلمها فان معناه الا فى علمه وهو معنى قوله تعالى الا فى كتاب مبين والمعنى وما تسقط من ورقة ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا يعلمها فى كتاب مبين (قوله فان أصله قبض الشئ بتمامه) اذا كان أصل التوفى ما ذكر فلا حاجة الى الاستعارة من الموت بل يقال انه استعمل مجاز اللازم لانه قبض فى الجملة (قوله أطلق البعث للترشيح الخ) لما استعير التوفى من الموت للنوم كان البعث الذى هو فى الحقيقة الاحياء بعد الموت ترشيحا لانه أمر ملائم المستعار منه ولعل هذا كان سببا لاعتبار الاستعارة من الموت (قوله فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم) هذا التكلف لاظهار

الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه البعث الموتى وجزاءهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف اذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان أزجر عن المعاصى وأن العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة (وهم لايفرطون) بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لايجاوزون ماحد لهم بزيادة أونقصان (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه (مولاهم) الذى يتولى أمرهم (الحق) العدل الذى لايحكم الابالحق وقرئ بالنصب على المدح (ألا له الحكم) يومئذ لاحكم لغيره فيه (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لايشغله حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين أو اعلانا واسرارا وقرأ أبو بكر هنا وفى الاعراف وخفية بالكسر وقرئ خيفة (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول أى تقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم أنتم تشركون) تعودون الى الشرك ولاتوفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لاتشكرون تنبيها على أن من أشرك فى عبادة الله سبحانه وتعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم (أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى

(ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) أى بالعذاب أو بالقرآن (وهو الحق) الواقع لامحالة أو الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم انما أنا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما بالعذاب أو الايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا والآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بان يشغلك

بوسوسته

مرجع الضمير فى فيه ومعنى فى شأن ذلك الخ لاجل تعاطى الذى قطعتم به أعماركم حتى تكون فى بمعنى اللام ومعنى ثم يبعثكم على ماذكره المصنف انه يعلم ماجرحتم بالنهار المتقدم ثم يبعثكم فى النهار المتأخر ليقضى (قوله والحكمة فيه الخ) أى الحكمة فى كتب الحفظة الاعمال ان المكلف الخ وفيه اشارة الى انه لما علم الله تعالى أعمالهم لايفوت شئ منها عن علمه ففائدة الكتب ان يطلع غيره على الاعمال حتى يشهد عليهم يوم العرض الاكبر (قوله لاحكم لغيره فيه) لابحسب الظاهر ولابحسب الحقيقة بخلاف الدنيا فانه وان لم يكن حاكم فى الحقيقة غيره فيها لكن بحسب الظاهر حكام متعددة (قوله وانما وضع تشركون الخ) أى المناسب بحسب الظاهر فى هذا المقام ان يقال انتم لاتشكرون بناء على انه هو الموعود فوضع الشرك موضع عدم الشكر دلالة على ماذكر وفى عدم شكره دلالة على عدم عبادته لان العبادة شكر الله تعالى (قوله قل هو القادر) لم يتعرض الى اثبات حصر القادر عليه كما هو الحق عند أهل السنة لان مجرد قدرته تعالى على ما ذكر كاف فى التخويف ولاحاجة الى ماذكر ثم ان العلامة التفتازانى صرح بان القدرة على الامور المذكورة ليست لغير الله على مذهبى أهل السنة والمعتزلة أقول فيه خفاء اذ لعل المعتزلة يقولون بان اذاقة بعض بأس بعض هو القتل بما فى قدرة البشر (قوله من فوقكم أى أكابركم) أى عذابا مبتدأ من أكابركم أو بسببهم (قوله وهو الحق الواقع لامحالة أو الصدق) فالاول بالنظر الى التفسير الاول وهو العذاب والثانى بالنظر الى الثانى وهو القرآن (قوله وقت استقرار) يحتمل أن يكون المستقر بمعنى اسم الزمان ويحتمل أن يكون مصدرا و يقدر الوقت عليه

بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكره (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ مما يحاسبون عليه (ولكن ذكرى) ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى و يمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح و يظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد فى الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم و يحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى بنوا أمر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب أو اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بافعالهم وأقوالهم و يجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنه وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى أنكروا البعث (وذكر به) أى بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها وأصل الابسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية (لا يؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أى سلموا الى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم (قل أندعو) أنعبد (من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) ما لا يقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على أعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) فأنقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أى مشبهين الذى استهوته أو على المصدر أى ردا مثل رد الذى استهوته (فى الارض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له أصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) الى

(قوله لان من حسابهم يأباه) قال العلامة التفتازانى لانه اذا عطف مفرد على مفرد بحرف الاستدراك فالقيود المعتبرة فى المعطوف عليه السابق فى الذكر عليه تعتبر فى المعطوف البتة بحكم الاستعمال تقول ما جاءنى يوم الجمعة أو فى الدار راكبا أو من هذا القوم رجل ولكن امرأة يلزم ان يكون مجىء المرأة فى يوم الجمعة وفى الدار بصفة الركوب وتكون هى من ذلك القوم البتة لا يجوز الاستعمال بخلافه و يفهم من الكلام سواه بخلاف ما جاءنى رجل من العرب ولكن امرأة فانه لا يبعد ان تكون من غير العرب أو قول السبب انه يفهم مما ذكر ان ما تقدم على المعطوف عليه فى مثل ما جاءنى من العرب رجل وهو كون الجائى من العرب أمر مقرر لكن لا رجل بل امرأة بخلاف ما اذا أخر (قوله ولا على شئ لذلك) أى لا يصح ان يكون معطوفا على لفظ شئ لئلا يلزم المحذور الذى ذكر (قوله ولان من لا تزاد فى الاثبات) يعنى ان لكن ذكرى مثبت فلو كان ذكرى معطوفا على لفظ شئ لكان من واردا عليه أيضا فكان التقدير ولكن من ذكرى فيلزم ما ذكر (قوله وههنا الفداء) دل على مغايرة الفدية والفداء بان تكون الفدية ما يجعل عوضا عن شئ كفدية الصوم فانه جعل عوضا عنه وأما الفداء فهو مصدر لكن قال صاحب الصحاح الفدية والفداء واحد (قوله لا الى ضميره) أى لا الى ضمير العدل لان العدل ههنا بمعنى المصدر فلا يناسب اسناد يؤخذ اليه بخلاف قوله لا يؤخذ منها عدل لان العدل المأخوذ المفتدى به (قوله أو على المصدر أى ردا مثل رد الذى الخ) هذا رد على الكشاف وفيه ان الرد ههنا بمعنى الرجوع الى الحالة الاولى ولذا فسره بقوله ونرجع الى الشرك ولك أن تقول ما معنى رجوع الذى استهوته الشياطين و يمكن أن يقال معناه رجوع الذى استهوته الشياطين من عندهم فان الراجع من عندهم تغلب عليه الحيرة واختلال العقل والاولى أن يقال الرد ههنا بمعنى الدفع والمعنى كدفع الذى استهوته الشياطين فى الارض حيران

(قوله تسمية للمفعول بالمصدر) أى تسمية للمفعول الذى هو الطريق المهدى اليه بالمصدر (قوله أمرنا بذلك) أى بالاسلام كما صرح به صاحب الكشاف يعنى ان المقصود من الامر بالاسلام نفسه لاشئ آخر حتى يكون الامر به لغرض آخر بل هو المقصود بالذات فتكون اللام لام كى (قوله أو على موقعه) قال العلامة التفتازانى قيل المراد كثيرا ما يقع فى مثل هذا الموقع ان نسلم فعطف وان أقيموا بهذا الاعتبار على طريقة فاصدق وأكن و بهذا يشعر قوله كانه قيل أمرنا ان نسلم وان أقيموا لكن لا يخفى أن أن فى ان نسلم مصدرية وناصبة للمضارع وفى ان أقيموا مفسرة انتهى كلامه وفيه انه لم لا يجوز ان تكون ان فى ان أقيموا مصدرية ونقل العلامة النيسابورى عن الزجاج أنه لابد ههنا من تأويل ليصح العطف والتقدير أمرنا لان نسلم ولان نقيم أو أمرنا أن تسلموا وان أقيموا

أن يهدوه الطريق المستقيم أو الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له ائتنا (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر أى أمرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة (وأن أقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم أى للاسلام ولاقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا ان نسلم وأن أقيموا الصلاة روى أن عبد الرحمن بن أبى بكر دعا أباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله تعالى عنه تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق والحكمة (و يوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر أى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو الهاء فى واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أى هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالفذلكة للآية (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل و يعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لانه أعجمى حمل على موازنه أو نعت مشتق من الازر أو الوزر والاقرب انه علم أعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أى أتعبد آزر ثم قال (أتتخذ أصناما آلهة) تفسيرا وتقريرا و يدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى أراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره

قيل والسر فى العدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب مالم يسلم فاذا أسلم صار كالحاضر (قوله وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى فاتقوه) على التقديرين يقدر شئ فعلى الاول خالق ما فى اليوم المذكور وعلى الثانى اتقوا أهواله والتعليق مجازى كالاسناد المجازى (قوله أو بمحذوف دل عليه بالحق) والمعنى وقوله بالحق متحقق يوم يقول كن فيكون أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق الخ هذا التفسير لايناسب أن يكون قوله فاعلا ليكون بل المناسب له أن يقال وحين يقول كن فيكون قوله الحق أى أثر قوله الحق و يراد بالتوسل ما تعلق بالقول أى يكون ما تعلق به قوله وارادته بالتكوين (قوله

لانه أعجمى حمل على موازنه) أى اذا كان صفة فمنع صرفه لانه أعجمى حمل على موازنه أى على ما هو على وزنه كشالخ الذى هو غير منصرف للعجمة والعلمية لان عدم صرفه بالاستقلال لفقد شرطه الذى هو العلمية (قوله أو نعت الخ) أى ليس بأعجمى بل عربى مشتق فيكون عدم صرفه للوصف والوزن لانه على وزن افعل (قوله والاقرب انه علم أعجمى) لوجود نظائره فى الاعجمى وعدم التكلف فيه اذا كان علما بخلاف ما اذا كان أعجميا حمل على موازنه أو مشتقا مما ذكر (قوله اذ أطلق عليه بحذف المضاف) والاصل عابد آزر (قوله وهو يدل على انه علم) هذا مما زاده على الكشاف وفيه انه يحتمل أن يكون وصفا فى الاصل على ما ذكر ثم ينادى به كما يقال يا عالم فان النداء لا يختص بالعلم غاية الامر أن نداء العلم يكون أكثر فلعله نظر الى كونه راجحا للكثرة (قوله ومثل هذا التبصير نبصره) اشارة الى الهداية الى التوحيد وابطال الشرك (قوله وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت) أى بالتاء الذى هو الحرف

دلائل

الثالث و يكون فاعله ملكوت السموات أى تبصره أحوال المخلوقات كما بصرناه أحوالهم (قوله للمبالغة) أى فى الملك أعظم الملكوت وكثرتها (قوله أو على وجه النظر والاستدلال) هذا لا يناسب منصب مقام الخليل صلوات الله وسلامه عليه فالاولى الاقتصار على الوجه الاول ولذا اقتصر عليه الزمخشرى (قوله فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار ينافى الالوهية) لان الاحتجاب والانتقال تغير والمتغير حادث والحادث لا يصلح للالوهية لان الاله يجب قدمه (قوله تعالى انى برىء مما تشركون) فان قيل لا يلزم من بطلان كون النجوم شركاء فى الالوهية بطلان الشرك مطلقا قلنا لزوم بطلانه امالانهم كانوا عابدين للكواكب والاصنام لا غير واذا بطل كونهما شركاء بطل الشرك بالاتفاق مطلقا لان هذه الاجرام الشريفة النيرة العالية لما لم تصلح للالوهية لم يصلح غيرها (قوله استدلالا واظهارا لشبهة الخصم) يعنى استدل بكونه أكبر الاجرام النيرة على انه الرب اذ الظاهر ان الخصم وهو المشرك ادعى ربوبية الشمس بواسطة ماذكر (قوله لتعدد دلالته) أى لدلالة الافول على الحدوث من وجهين أحدهما الاستتار والخفاء والثانى ان حدوث أفوله يدل على حدوث بزوغه فظهوره لانه اذا زال الظهور والبزوغ دل زواله على حدوثه اذ لو كان قديما لما زال وحدوث البزوغ دال على حدوث البازغ لما ذكر ان كل متغير حادث (قوله لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع) بل لا تضر ولا تنفع مطلقا فان النافع والضار هو الله تعالى وحده وعلى هذا فقوله تعالى الا أن يشاء ربى شيأ مستثنى منقطع والمعنى لكن أخاف أن يشاء ربى شيأ مكروها والى ما اذا جعل متصلا كما هو مفهوم كلام المصنف فهو بناء على ماقاله من ان ما أشركوه ضار ونافع لكن لا بنفسه بل بارادة الله ومعنى الاستثناء على الاتصال لا أخاف ماتشركون فى شئ من الاوقات الا وقت مشيئة ربى مكروها من جهتها (قوله مالم ينزل به عليكم سلطانا) لا يقال مايصلح للشرك لا حاجة الى نصب الله دليلا عليه لانا نقول من المعلوم ان الاشياء التى كانوا يعبدونها ليست آلهة مستقلة كالواجب فاثبات كونهم شركاء له يحتاج الى دليل من الله تعالى

دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبهما وبدائعها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) أى ليستدل وليكون أو وفعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل و بيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان أباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم و يرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد أو على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه (فلما أفل) أى غاب (قال لا أحب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث و ينافى الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وأن من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا أكبر) كبره استدلالا أو اظهارا لشبهة الخصم (فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال أتحاجونى فى الله) فى وحدانيته سبحانه وتعالى وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون (وقد هدان) الى توحيده (ولا أخاف ماتشركون به) أى لا أخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع (الا أن يشاء ربى شيأ) أن يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كأنه علة الاستثناء أى أحاط به علما فلا يبعد أن يكون فى علمه أن يحيق بى مكروه من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) ولا يتعلق به ضر (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكه كتابا

(قوله أولم ينصب عليه دليلا) هذا محصل معنى مالم ينزل به عليكم سلطانا والمقصود تعميم الدليل بحيث يشمل الدليل العقلي والنقلي (قوله لما روى الخ) ولان هذا هو المناسب للمقام لانه جواب الاستفهام المذكور وهو عن أحقية المشرك بالامن أو الموحد وههنا سؤال وهو ان المفهوم من الاحقية ان المشرك حقيق بالامن البتة لكن التردد في انه أحق به أم الموحد لكن الواقع ان ليس للمشرك أمن أصلا والجواب أن المراد من الاحق الحقيق وانما عبر عنه بالاحق للمبالغة بمعنى انه الحقيق بالامن أى كامل الاستحقاق به (قوله عليه السلام ليس ما تظنون الخ) فان قيل المؤمن الفاسق الذى ما تاب من الفسق ليس له الامن فما وجه حمل الظلم على الشرك مع انه يقتضى ان من لم يشرك آمن وان كان فاسقا قلنا على التقدير المذكور يكون المراد من الامن الامن من خلود العذاب ومن الاهتداء الى طريق يوجب الامن من الخلود فاذا كان المراد من الظلم المعصية كان الأمن الامن من العذاب مطلقا ولا يخفى ان الحديث المذكور انما يناسب المقام اذا كان الصحابة فهموا من الظلم المعصية مطلقا ومن الامن الامن من خلود العذاب لان الامن من خلود العذاب يحصل من عدم الشرك أما اذا كان الصحابة فهموا من الامن الامن من العذاب مطلقا فالحديث لا يناسب المقام لان الامن من العذاب لا يحصل من عدم الشرك (قوله ولبس الايمان به الخ) رد لما يقال لبس الايمان بالكفر أى خلطه به غير متصور فاجاب المصنف بان المراد من الايمان ههنا ليس الايمان التام بل المراد منه التصديق بوجود الصانع وهذا يتصور خلطه بالكفر كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون (قوله متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك الخ) فيكون تلك مبتدأ وحجتنا خبرا وآتيناها ابراهيم خبر بعد خبر أو حال بتأويل أشير المستفاد من تلك وان جعل حجتنا بدلا كان آتيناها ابراهيم خبر تلك واعلم أن صاحب الكشاف لم يتعرض لما ذكره المصنف ولعل السبب فيه انه اذا كان حجتنا بدلا من تلك وكان على قومه متعلقا بحجتنا لزم ذكر الخبر قبل تمام المبتدأ لان البدل عن المبتدأ فى حكمه (قوله ولان يونس ولوطا الخ) نقل العلامة الطيبي عن جامع الاصول أن يونس بن متى كان من الاسباط فبقى لوط خارجا من الذرية ولما كان ابن أخيه وآمن به وهاجر معه أمكن أن يجعل من الذرية على سبيل التغليب (قوله فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى) ان المراد من البيان بيان الذرية وهو من قوله داود وسليمان الخ لانه على هذا التقدير لا يمكن أن يكون ما فى الآية الثانية بيانا لذرية ابراهيم أو نوح كما لا يخفى

أولم ينصب عليه دليلا (فاى الفريقين أحق بالامن) أى الموحدون أو المشركون وانما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) ما يحق أن يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون أو من قوله أتحاجونى اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) أرشدناه اليها أو علمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله أى آتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) أى كلا منهما (ونوحا هدينا من قبل) من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه أبوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ الكلام فيه وقيل لنوح عليه السلام لانه أقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وأيوب) أيوب بن اموص من أسباط عيص بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين) أى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم (وزكريا ويحيى وعيسى) هو ابن مريم وفى ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت (والياس) قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من أسباط هرون أخى موسى (كل من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى (واسمعيل واليسع) هو اليسع بن أخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين هو علم أعجمى أدخل عليه اللام كما أدخل على اليزيد فى قوله

رأيت

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله

(ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو ابن هاران أخي ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا أو نوحا أى فضلنا كلا منهم أو هدينا هؤلاء و بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا أو هدينا (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرير لبيان ما هدوا اليه (ذلك هدى الله) اشارة الى مادانوا به (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على أنه متفضل عليهم بالهداية (ولو أشركوا) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس (والحكم) الحكمة أو فصل الامر على ما يقتضيه الحق (والنبوة) والرسالة (فان يكفر بها) أى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) أى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار أو أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو كل من آمن به أو الفرس وقيل الملائكة (أولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن أثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف و يحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى وأشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان على أنها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام (قل لا أسألكم عليه) أى على التبليغ أو القرآن (أجرا) جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) أى التبليغ أو القرآن أو الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكيرا وموعظة لهم (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) حين أنكروا الوحى و بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس) وقراءة الجمهور (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروى أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم ان الله يبغض الحبر السمين قال عليه الصلاة والسلام فأنت الحبر السمين

(قوله دليل على انه متفضل بالهداية) لانه علقها على مشيئته لا لأنه أمر واجب عليه (قوله ليسوا بها بكافرين) لم يقل فقد وكلنا بها قوما مؤمنين ليكون تقيضا صريحا للماقبل لان عدم الكفر الايمان فيبطل مذهب المعتزلة من اثبات الواسطة (قوله فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله) لك ان تقول ظاهر الآية يدل على عموم الاقتداء فى الأصول والفروع خص ما اختلفوا فيه اذ لا يمكن الاقتداء بهم فيها فبقى المتفق عليه فيثبت انه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع من قبله فيما اتفقوا عليه من الاصول والفروع (قوله على انها كناية المصدر) أى الهاء ضمير راجع الى الاقتداء الذى هو مصدر اقتده (قوله وفى السخط على الكفار) عطف على قوله فى الرحمة والانعام على العباد (قوله وتضمن ذلك توبيخهم) هذا مبتدأ خبره قوله بابداء بعض الخ أى التوبيخ والذم لا بمجرد تجزئتها بل لسبب ابداء بعض أجزائها واخفاء بعضها (قوله روى ان مالك بن الصيف الخ) هذا جواب عما طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية وهو انه اما ان يكون المراد من قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ان أهل الكتاب قالوا ذلك وهو باطل لانهم لم يقولوا ذلك وكيف يقولون وهم أهل التوراة والانجيل أو المراد ان المشركين قالوا ذلك فلا فائدة لقوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى لانهم غير معترفين بنزول التوراة وحينئذ نقول الجواب الذى ذكره المصنف بقوله روى الخ اختيار للشق الاول من الترديد وقوله وقيل هم المشركون اختيار للشق الثانى منه وقوله فلا عليك بعد التبليغ أى لا بأس عليك

وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) زيادة على مافى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) أى أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث انهم لا يقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من مفعوله أو فاعل يلعبون أو من هم الثانى والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التوراة أو الكتب التى قبله (ولتنذر أم القرى) عطف على مادل عليه مبارك أى للبركات ولتنذر أو علة لمحذوف أى ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها أو لانها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أى ولينذر الكتاب (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما او يحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أنه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه (أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبدالله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبدالله فتبارك الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبدالله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا أيديهم) بقبض أرواحهم كالمتقاضى الملظ أو بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) أى يقولون لهم أخرجوها الينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا (اليوم) يريدون وقت الاماتة أو الوقت الممتد من الاماتة الى مالا نهاية له (تجزون عذاب الهون) أى الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى (كما خلقناكم

من هم الاول أى ويكون يلعبون حالا من هم الثانى وهو هم فى خوضهم وعلى هذا فالظرف وهو فى خوضهم متصل بالاول أى بذرهم لا بيلعبون لانه لما كان يلعبون حالا من هم فى خوضهم يكون متأخرا بحسب الرتبة عنده لان مرتبة المعمول التأخر عن العامل فلو كان الظرف المذكور متعلقا متقدما بحسب الرتبة للزم التناقض (قوله لانها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم) فيتوجه أهل القرى اليها كما يتوجه الاولاد الى أمهم ويجتمعون عندها كما يجتمعون عندها وأعظم القرى شأنا فهى أصل والباقية تبع (قوله لان الارض الخ) فكأن القرى أخرجت منها كما أخرج الولد من الام ولانها مكان أول بيت فكانت أصلا واذا كانت كذلك كانت أصلا لجميع الارض (قوله حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه) فان مفعوله هو الظالمين فكانه قيل ولو ترى الظالمين اذهم فى غمرات الموت الخ فلما حذف الظالمين قام الظرف مقام الضمير والمعنى لو رأيت الظالمين فى الوقت المذكور لرأيت أمرا عجيبا ولا يخفى ان قوله اذ الظالمون فى غمرات الموت الاية دال عليه (قوله تغليظا الخ) اى ليس المراد من اخرجوا طلب اخراج الانفس والارواح منهم لانهم غير قادرين عليه بل ايذاؤهم وتغليظ الامر عليهم (قوله لعراقته وتمكنه فيه) أى لاصالة الهون وتمكنه من العذاب

أوّل مرة) بدل منه أى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد أو حال ثانية ان جوز التعدد فيهما أو حال من الضمير فى فرادى أى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أى مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ماخولناكم) ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ماقدمتم منه شيأ ولم تحتملوا نقيرا (ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى شركاء لله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) أى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف أسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع مابينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ماكنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم أو ان لابعث ولاجزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) ممالاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له (ذلكم الله) أى ذلكم المحيي المميت هو الذى يحق له العبادة (فأنى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر أصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر فى الأزمنة المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى مجعولان (حسبانا) أى على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة أو فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) هو آدم عليه الصلاة والسلام (فمستقر ومستودع) أى فلكم استقرار فى

(قوله غرلا) الاغرل بالغين المعجمة والراء المهملة الاقلف (قوله بهما) أى لايقدرون على الكلام (قوله أى وقع التقطع) لان الفعل المبنى للفاعل اللازم أسند الى ضمير مصدره (قوله أو أقيم مقام موصوفه) أى أقيم مقام ما فان المعنى تقطع شئ حصل بينكم بان يكون ما بمعنى شئ ويكون موصوفا بالظرف أى شئ حصل بينكم وهو معطوف على قوله أسند اليه الفعل أى أسند اليه الفعل بلاملاحظة موصوف أو يقدر موصوف ويقام الظرف الذى هو صفته مقامه (قوله ليتطابق ماقبله) لايخفى ان المناسب التام لماقبله هو النبات لاالحيوان (قوله فان قوله يخرج الحى الخ) ولذا لم يعطف عليه فكانه قيل ان الله فالق الحب والنوى ويخرج الحى من الميت (قوله أوعن بياض النهار) أى يشق الصبح ويخرج منه بياض النهار فكانه قيل فالق الاصباح كاشفا عن بياض النهار بفلقه وكان بياض النهار أدخل فى الصبح وانشق الصبح منه ثم انتشر فى السماء فيكون المراد فالق الاصباح كاشف الاصباح (قوله فانه بمعنى الماضى) دليل تقدير العامل لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لايعمل فى المفعول ويكون التقدير جاعل الليل جعله سكنا (قوله أو به الخ) أى أو نصبه بجاعل لانه بمعنى الاستمرار وهو عامل اذا كان كذلك هذا هو الاولى لئلا يحتاج الى تقدير (قوله وعلى هذا الخ) أى على تقدير اعمال جاعل يكون الليل منصوبا محلا بانه مفعوله (قوله فاضافتها اليهما للملابسة) أى لالقيامها بهما فان الظلمة عبارة عن أمر عدمى ليست بعرض قائم بشئ (قوله وسماها ظلمات الخ) أى سمى الطرق المذكورة ظلمات لاشتراكهما فى سببية الضلال (قوله بيناها فصلا فصلا) أراد ان المراد من التفصيل التفصيل الذى هو المصدر من باب التفعيل للتكثير

(قوله لان الاستقرار منا دون الاستيداع) هذا دليله انه قرئ المستقر بلفظ اسم الفاعل ولم يقرأ المستودع كذلك (قوله لان انشاءهم من نفس واحدة الخ) أى الفقه الفطنة وتدقيق النظر فان انشاء خلق بنى آدم من آدم والاستيداع فى أصلاب الآباء يحتاج الى نظر ولما كان المذكور محتاجا اليهما فصل الآية بيفقهون (قوله على تلوين الخطاب) أى على تغيير الكلام من الغيبة الى التكلم بطريق الالتفات (قوله نبت كل صنف من النبات) الظاهر ان المراد هو شئ يخرج من الحب أول الامر بقرينة قوله تعالى فأخرجنا منه خضرا (قوله أخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان) انما قدر نخلا المنكر ليكون صالحا لكونه موصوفا بجملة قوله ومن النخل الخ فيكون هذا الاحتمال والذى يليه جملة معترضة بين المعطوف عليه الذى هو نبات كل شئ والمعطوف الذى هو جنات (قوله وانما اقتصر هنا على ذكرها من مقابلها) أى اقتصر على دانية ولم يذكر غير دانية أيضا لما ذكر (قوله اذ العنب لا يخرج من النخل) يعنى لو عطف جنات على قنوان لزم اخراج العنب من النخل ولك ان تقول اذا كان قنوان مبتدأ ومن النخل خبره كان جنات عطفا على قنوان ومن اعناب عطفا على النخل ولا يلزم ما ذكر من اخراج العنب من النخل غاية ما فى الباب ان يكون المعطوف على المبتدأ وهو جنات نكرة محضة ولم يعرف امتناعه كما صرح به العلامة التفتازانى (قوله ولا يعوقه ند عن فعله الخ) لا يقال يمكن ان يكون له ند لا يعارضه أو ضد ولكن لا يعارضه وعلى هذا لا يلزم اختلال النظم فى أفعاله تعالى لانا نقول هذا ابناء على ان الفطرة السليمة تحكم بانه لو كان له تعالى ند أو ضد لابد ان يقع التنازع والاختلال فى نظام العالم كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتأمل وكل

الاصلاب أو فوق الارض واستيداع فى الارحام أو تحت الارض أو موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول أى فنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء ماء) من السحاب أو من جانب السماء (فأخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفننة المسقية بماء واحد كما فى قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) من النبات أو الماء (خضرا) شيأ أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على أنه اسم جمع اذ ليس فعلان من أبنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شئ وقرأ نافع بالرفع على الابتداء أى ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل (والزيتون والرمان) أيضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره) أى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب (اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه أو الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) أى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من أصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) أى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لانهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير

(قوله أى وجعلوا له اختلاقهم) يعنى على تقدير العطف على الشركاء لا يراد بخلقهم الاصنام والا لم يحسن عطفه على شركاء لان الاصنام داخلة فى الشركاء فيجب ان يكون الخلق بمعنى الكذب فتأمل (قوله ثبت الغدر) الغدر بفتح الغين المعجمة والدال المهملة ثابت فى كلام وقتال (قوله وقرئ بالياء للفصل) لان القاعدة ان الفعل المضارع اذا انسب الى المؤنث الحقيقى يجب ان يكون بالتاء الا اذا كان بينهما فصل نحو يجيء القاضى امرأة فانه يجوز الامران (قوله لتطرق التخصيص الى الاول) أى الى شئ الاول لان بعض الاشياء غير مخلوق له تعالى فان ذاته وصفاته معلومان له تعالى وليسا بمخلوقين له فلو قيل وهو به عليم لتوهم ان بعض الاشياء غير معلوم له تعالى كما انه غير مخلوق له (قوله الاول أن مبدعاته الخ) هذا الوجه من الاستدلال يفهم من قوله تعالى بديع السموات والارض (قوله لاستمرارها وطول مدتها) يعنى ان فائدة الولد أن يكون خليفة للوالد وقائما مقامه بعده ولما كانت السموات والارض مستمرين على حالهما مع طول مدة بقائهما لا حاجة لهما الى ولد يخلفهما مع انهما من جنس ما يصلح للولادة أى داخلة فى الممكن الذى يصلح لذلك وان كان فى ضمن بعض الافراد (قوله والثانى ان المعقول من الولد الخ) هذا الوجه يستفاد من قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (قوله والثالث ان الولد كفء الوالد) هذا يستفاد من قوله تعالى وخلق كل شئ الآية وفى الوجه الثانى من هذين الوجهين مناقشة ظاهرة وهى ان التفاوت فى العلم بل فى سائر الكمالات لا ينافى الكفاءة فكثيرا ما يلد العالم النحرير جاهلا فى الغاية بل ولد النبى كافرا و بالعكس و يمكن ان يقال مراده ان البارى تعالى عالم بكل المعلومات فلو كان غيره كفؤا له بان يكون مماثلا له فى حقيقته لكان هو أيضا صالحا لذلك لكن من المعلوم ان غيره تعالى لا يصلح لذلك فتأمل (قوله أخبار مترادفة) أى أخبار عن شئ واحد وهو ذلكم لان بعضها خبر عن بعض والجملة خبر عن الاول كما فى زيد أبوه قائم (قوله و يجوز ان يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا) بان يكون الله بدلا و ربكم صفة والباقى خبرا (قوله فان من استجمع هذه الصفات الخ) الاولى ان يقال من وجد فيه أحد هذه الصفات فهو حقيق بالعبادة و يمكن ان يقال لما كان المراد من العبادة غاية التعظيم يلزم من عبادة الله عدم عبادة الغير لان الشرك فى العبادة يقدح فى غاية التعظيم لان غاية تعظيمه تقتضى عدم تعظيم غيره لان غاية التعظيم تقتضى الانفراد فيلزم ان لا تكون عبادة أحد مع عبادة غيره لانها لا تكون غاية التعظيم وهذا من سوانح الوقت وعلى هذا يقدح فيما ذكره صاحب الكشاف ومن تبعه كالمصنف من ان تقديم المفعول فى قوله اياك نعبد

وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن و الجن بالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أى وما يخلقونه من الاصنام أو على شركاء أى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أى وزوروا (بنين و بنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو أو المصدر أى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو أن له شريكا أو ولدا (بديع السموات والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أو الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره (أنى يكون له ولد) أى من أين أو كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل أو لان الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى عنها أو أن ولد الشئ نظيره ولا نظير له فلا ولد والثانى أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة والثالث أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى أنه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) اخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة

(وهو على كل شئ وكيل) أى وهو مع تلك الصفات متولى أموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها (لاتدركه) أى لاتحيط به (الابصار) جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفى لا يوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز أن يكون من باب اللف أى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به (فمن أبصر) أى أبصر الحق وآمن به (فلنفسه) أبصر لان نفسه لها (ومن عمى) عن الحق وضل (فعليها) وباله (وما أنا عليكم بحفيظ) وانما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) أى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ودارست أى دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لاشتهارهم بالدراسة ودرسن أى عفون ودرس أى درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات أى قديمات أو ذوات درس كقوله تعالى فى عيشة راضية (ولنبينه) اللام على أصله لان التبيين مقصود

يفيد الاختصاص اذ على ماذكرنا الاختصاص يفهم من مجرد العبادة لاحاجة الى الاشعار بالتخصيص الى تقديم المفعول (قوله لانه ليس الادراك مطلق الرؤية) بل أخص منه فان الادراك على مافسره هو الاحاطة ولا يخفى ان الاحاطة به تعالى ممتنعة وهذا لاينافى مطلق الرؤية فان الاحاطة عبارة عن ادراكه تعالى بذاته وبجميع صفاته على ماهو عليه من غير جهل بشئ من ذاته وصفاته وهذا غير لازم من رؤيته (قوله فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار) أى لاتدرك الابصار أنفسها وهو تعالى يدركها (قوله فيكون اللطيف مستعارا لما لايدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها) فيه انه يلزم تكرار اذ هذا بعينه هو معنى لاتدركه الابصار الا ان يقال المراد بما لايدرك بالحاسة مالا يدرك بحاسة من الحواس (قوله ولا ينطبع فيها) لايخفى ان ليس محسوس من المحسوسات منطبعا فى الحاسة وانما ينطبع فيها مثاله اذ لامعنى للقول بان الجبل والسماء أنفسهما منطبعان فى الحاسة وانما انطبعت صورتهما ثم ان ينطبع فيه اشعار بترجيح مذهب القائل بان الابصار انما هو على وجه الانطباع وقد ذكر عليه شكوك وشبه ليس ههنا موضع ذكرها والتحقيق ان العلم بالمبصرات حضورى بان يدرك نفس المبصر من غير انطباع كما هو مذهب الاشراقيين لا على طريق الانطباع كما هو مذهب أرسطو وشيعته ولا على طريق الخروج كما هو مذهب الرياضيين (قوله سميت بها الدلالة) أى سمى الدليل بالبصيرة لانه أى الدليل يجلى أى يظهر للنفس الحق أى سبب ظهوره كما ان البصيرة الحقيقية كذلك ويمكن ان تبقى الدلالة على معناها الحقيقى اذ بواسطة دلالة الدليل يظهر للنفس الحق (قوله وانما أنا منذر والله هو الحفيظ) التخصيص يفهم من ايلاء الضمير حرف النفى (قوله وهذا كلام وارد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم) فكانه قيل قل قد جاءكم بصائر من ربكم الآية (قوله واللام لام العاقبة) اذ ليست على أصلها ان تدخل على ماهو المراد لكن المقصود من التصريف المذكور ليس قولهم المذكور فاللام لام العاقبة وهى اللام التى تدخل على مايترتب على شئ وليس مقصودا (قوله والدرس القراءة والتعليم) فيكون المعنى ليقولوا قرأت على الغير وتعلمت منه لان الآيات نزلت من عند الله عليك (قوله اللام على أصله) لانها دخلت على ماهو المراد وتوجه اليه القصد فان قلت اللام الاولى داخلة على ماهو المراد لان كل ماوقع فهو لابد ان يكون مرادا لله تعالى فقولهم بدراسته صلى الله عليه وسلم أيضا مراد لله فتكون اللام باقية على أصلها قلنا المراد من ابقاء اللام على أصلها ان تدخل على الفائدة المطلوبة من الشئ وظاهر ان القول بالدراسة ليس الفائدة المطلوبة من التصريف بخلاف التبيين هذا توضيح كلام المصنف والكشاف وقال أبو البقاء يمكن ان تكون اللام الاولى على أصلها بان المقصود قولهم المذكور لزيادة العقوبة عليهم

التصريف

(قوله اعتراض أكد به ايجاب الاتباع) أى اعتراض بين المعطوف عليه الذى هو الاتباع والمعطوف الذى هو هذا الاعراض (قوله أو حال مؤكدة من ذلك الخ) فان الانفراد بالالوهية يؤكد وجوب الاتباع المذكور (قوله فلا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم) فلا يكون الكلام منسوخا اذ هو ثابت على كل حال وأما اذا حمل الاعراض

على مايعم ترك القتال لزم النسخ بآية السيف والقتال (قوله فانهم المنتفعون به) أى تصريف الآيات وان كان بيانا لكل أحد لكن تخصيص العالمين لاجل ماذكر (قوله وهو دليل على انه لايريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع) اذ يفهم من وجوب عدم الشرك بمشيئته وجوب كل ماشاء اذ لافرق بين شئ وشئ فى هذا المعنى (قوله الى معصية راجحة) أى معصية غالب ضرها على نفع الطاعة والتقييد بالرجحان يدل على انه لايجب ترك الطاعة الى المعصية اذا تساويا فقوله مايؤدى الى الشر شر يكون معناه ما يؤدى الى الشر الراجح شر (قوله أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب) أى أنكر وجود السبب الذى يوجب العلم بعدم الايمان مبالغة فى نفى العلم بعدمه لان طريق الاستدلال ان نفى السبب دليل ونفى الشئ بطريق الاستدلال أبلغ من نفيه بغيره (قوله وقيل لا مزيدة) واذا كانت لازائدة كان المعنى انكم

التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (اتبع ماأوحى اليك من ربك) بالتدين به (لااله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية (وأعرض عن المشركين) ولاتحتفل باقوالهم ولاتلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم (ولوشاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ماأشركوا) وهو دليل على أنه سبحانه وتعالى لايريد ايمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع (وماجعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما أنت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله) أى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بمافيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبمايجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوّا يقال عدا فلان عدوا وعدوّا وعداء وعدوانا روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلايكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان مايؤدى الى الشر شر (كذلك زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر باحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) مصدر فى موقع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى طلب الآيات واستحقار مارأوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام انكار (أنها) أى ان الآية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) أى لاتدرون أنهم لايؤمنون أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على أنه سبحانه وتعالى انما لم ينزلها لعلمه بأنها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم أخبرهم بماعلم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم أنها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم أى ومايشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) عطف على لايؤمنون أى ومايشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلايفقهونه وأبصارهم فلايبصرونه فلايؤمنون بها (كمالم يؤمنوا به) أى بما أنزل من الآيات (أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة

تحرصون على حصول الآية التى اقترحوها حرصا على ايمانهم كانكم تعلمون انهم يؤمنون عند وجودها مع انكم لم تعلموا انها اذا جاءت يؤمنون واذا كانت غير زائدة اذ فى علمى انهم لايؤمنون مع وجود الآية وأنتم لاتعلمون فلم تحرصون على الآية المقترحة (قوله فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة) هذا ملائم ان تنزلنا اليهم الملائكة وقوله فاتوا بآبائنا مناسب لقوله وكلمهم الموتى وقوله أو تأتى بالله

والملائكة قبيلا ملائم وحشرنا عليهم كل شئ قبلا (قوله وانما جاز ذلك لعمومه) أى انما جاز كون كل شئ ذا حال مع كونه منكرا بكونه عاما كما جاز وقوعه مقيدا لانه اذا عم الحكم خرج من الابهام الذى يوجب عدم العلم بانه أى شئ هو (قوله وهو حجة واضحة على المعتزلة) فى بطلان قولهم ان الايمان والكفر بمشيئة العبد لا بمشيئة الله (قوله ولذلك أسند الجهل الى أكثرهم) أى نسب الجهل المذكور وهو أى الجهل بانهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا عارض لاكثرهم لا لجميعهم اذ لعل بعضهم يصممون على الكفر بحيث انهم اعتقدوا انهم لا يؤمنون على أى حال من الحالات (قوله غرورا مفعول له أو مصدر الخ) فعلى الاول كان من قبيل قعدت عن الحرب جبنا لان الغرور وهو الغفلة سبب الايحاء وعلى الثانى يكون الغرور بمعنى الغار (قوله وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بمشيئة الله) فهو دليل واضح على رد المعتزلة أيضا (قوله ولكل متعلق به أو حال منه) فعلى تقدير الحالية معناه عدوا كائنا لكل نبى وحينئذ يكون تقديم لكل نبى واجبا لكونه حالا من نكرة هى عدوا وأما اذا كان متعلقا به يكون تقديمه للشرف وهو دليل أيضا على المعتزلة اذ يفهم من تفسير لو شاء ربك ايمانهم انه تعالى لم يشا ايمانهم لكن المعتزلة على انه تعالى يريد و يشاء ايمانهم لكنهم لم يؤمنوا (قوله والمعتزلة لما اضطروا فيه الخ) اضطرارهم بسبب انه علم من الآية ان تقليب أفئدة الكافرين الخ ماذكر من فعل الله تعالى وهذا قبيح عند المعتزلة فان الاضلال قبيح عندهم (قوله أو لام الامر وضعفه أظهر) اذ لو كان اللام لام الامر لزم المراد انجزام الفعل فلزم حذف الالف لكنها ثابتة وانما قال ضعفه أظهر لان الاحتمال المتقدم عليه أيضا ضعيف وهو كون اللام المكسورة للقسم (قوله و يحتمل العكس) أى يحتمل أن يكون حكما مفعولا وغير الله حالا لان الغير وان اضيف الى المعرفة فهو باق على تنكيره (قوله وفيه تنبيه الخ) يعنى انه يفهم من قوله تعالى وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا أى يبين فيه الحق من المبطل فيلزم استقلاله بالحجة ثم ان فيه اشعارا بان القرآن ينفى أخذ غير الله حكما فيلزم استقلال القرآن بالحجة (قوله وانما وصف جميعهم بالعلم الخ) لك أن تقول

فأتوا بآبائنا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أى كفلاء بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا أن يشاء الله) استثناء من أعم الاحوال أى لا يؤمنون فى حال من الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن أكثرهم يجهلون) أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون ولذلك أسند الجهل الى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) أى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به أو حال منه (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس أو بعض الجن الى بعض و بعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموهة منه من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له أو مصدر فى موقع الحال (ولو شاء ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وايحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للايحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة (فذرهم وما يفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة أو متعلق بمحذوف أى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الامر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ماهم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) على ارادة القول أى قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بينى و بينكم و يفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغى وحكما حال منه و يحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن باعجازه وتقرره مغن عن سائر الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل

على هذا لا يمكن جعل يعلمون بالمعنى الحقيقي لان بعضهم لا يعلمون حقيقته بالمعنى المجازي لان أكثرهم يعلمون حقيقته فان قيل نسب الى الكل بطريق التغليب قلنا التغليب يعتبر فيه التجوز والاولى أن يقال المراد بالذين آتيناهم الكتاب أحبارهم وعلماؤهم واما تخصيصهم بمؤمني أهل الكتاب فلا حاجة اليه لان غير المؤمنين منهم يعلمون ذلك (قوله فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك الخ) لما كان هذا الخطاب غير ملائم بحسب الظاهر أجاب عنه بوجوه أربعة الاول متعلق الممترين علم أهل الكتاب بحقيقة القرآن الثاني المقصود من الخطاب تهييج النبي وتحريضه على تقوية الدين وتأييده والثالث ان المقصود خطاب الامة الرابع ان الخطاب عام لكل أحد (قوله بلغت الغاية اخباره وأحكامه ومواعيده صدقا الخ) لا يخفى ان الصدق مما لا يقبل الشدة والضعف فالمراد انه ظهر صدقه غاية الظهور (قوله ونصبهما على التمييز والحال والمفعول له) على

الاول والثالث يكون الصدق باقيا على معناه الحقيقي وعلى الثاني يكون بمعنى الصادق وعلى الثالث يعتبران سبب تمام الكلمات الصدق والعدل كان الجبن سبب للقعود عن الحرب فى قوله قعدت عن الحرب جبنا (قوله بفعل يدل عليه اعلم) والمعنى ان ربك هو أعلم من كل أحد يعلم من يضل عن سبيله (قوله فان أفعل لا ينصب الظاهر فى مثل هذا الموضع) لك ان تقول يفهم منه انه قد ينصب المفعول فى موضع آخر لكن الرضى قال ان كلهم متفقون على انه لا ينصب المفعول به ولا شبه المفعول به وذلك اضعف مشابهته للفعل ثم قال وفى مثل أنا أعلم منك بزيد منطلقا نصب منطلقا باعلم نفسه عند الكوفيين للاضطرار اليه وعند البصريين نصبه بفعل مقدر مدلول عليه باعلم والتقدير أنا أعلم منك بزيد اعلم منطلقا فعلى هذا مراده بقوله لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك انه لا ينصب المفعول به وان كان ينصب الحال وغيره (قوله أعلم المضلين) لا يخفى ان ظاهر المعنى لا جدوى فيه لان كونه تعالى اعلم المضلين بفتح أيضا من الضالين أمر فى غاية الظهور فلا جدوى فى ذكره فيجب ان يكون ههنا تقدير أى أعلم الذين هم عالمون بالمضلين كما قدر كلمة بين فى قولهم محمد أفضل قريش أى التقدير انه صلى الله عليه وسلم أفضل الناس من بين قريش والوجه الاقتصار على الوجه الاول وهو ان يكون منصوبا بفعل مقدر والزمخشري اقتصر على التفسير المذكور ولم يفصل هذا التفصيل (قوله والتفضيل فى العلم بكثرته الخ) فالاولان يفيدان التفضيل بحسب الكمية والآخران يفيدان التفضيل بحسب الكيفية ويفهم مما ذكر ان الزيادة المعتبرة فى اسم التفضيل أعم من الزيادة أن تكون بحسب الكم والكيف

المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلا تكونن من الممترين) فى انهم يعلمون ذلك أو فى أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد أن يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أى ما تكلم به أو القرآن (وهو السميع) لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع أكثر من فى الارض) أى أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو أتباع الهوى وقيل الارض أرض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى أعلم بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فان أفعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة باضافة أعلم اليه أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أو من أضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر

(قوله وأوّلوه بماذكر اسم غير الله عليه) فيكون وانه لفسق نهيا عما ذكر اسم غير الله عليه وقوله تعالى وان الشياطين الخ نهى عن الميتة لان أولياء الشيطان جادلوا المؤمنين فى تحريم الميتة بالدليل الفاسد كما فصله المصنف ولم يعلموا ان الميتة قد فسد لحمه بفساد الدم الذى بقى فيه ولم يخرج بالذبح (قوله وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى) لايخفى ان ماعلم من كتب النحو ان جملة الجزاء اذا كانت جملة اسمية وجب دخول الفاء على الجزاء الا اذا اعتبر مايجوز عدم دخول الفاء ولم يجعلوا كون الشرط ماضيا من جملة مايجوز عدم الفاء قال الرضى قوله تعالى وان أطعتموهم انكم لمشركون ان عدم الفاء على الجزاء لاعتبار القسم فانه اذا كان القسم مقدما على الشرط كان الجواب للقسم لفظا وان توسط بين الشرط والجزاء جاز أن يعتبر القسم واذا اعتبر القسم لم يجب دخول الفاء فى الجزاء (قوله صفته وهو مبتدأ خبره فى الظلمات) الى قوله للفصل لقائل أن يقول أى فائدة فى لفظة مثله ومامعنى حاله فى الظلمات فالواجب أن يقال كمن هو فى ظلمات والجواب أن المراد من مثله فى الظلمات ليس ان المثل حاصل فى الظلمات حتى يكون فى الظلمات ظرفا لمثله بل المراد مثله فى الظلمات بعينه أى حال الشخص المذكور من الجار والمجرور فيكون الظلمات ظرفا للشخص لا للمثل وليس الغرض ان مثله حاصل فى الدار حتى تكون الدار ظرفا للمثل كما قال المعلقون على الكشاف ان المقصود ان جملة فى الظلمات ليس بخارج منها وقع خبر المبتدأ الذى هو مثله على سبيل الحكاية بمعنى أنه اذا وصف يقال له ذلك وعلى هذا تبين ان بدل الضمير المستكن فى ليس راجع الى من لا الى المثل (قوله حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل) أى لوقوع الفصل بين الهاء فى مثله و بين الحال بالخبر وهو الجار والمجرور وهو غير جائز لانه لايخبر عن المبتدأ الا بعد ذكر ماهو من تتمته ويمكن أن يقال لايجوز أن يكون حالا من ضمير مثله لان الحال انما يكون عن الفاعل والمفعول والضمير المذكور ليس واحدا منهما (قوله على تقديم المفعول الثانى على الاول) انما جعل أكابر مفعولا ثانيا لانه محط الفائدة أى جعلنا مجرميها أكابر ليمكروا فيها فان المكر

عليه اسم غيره أومات حتف أنفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة ماأحله الله سبحانه وتعالى واجتناب ماحرمه (ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) وأى غرض لكم فى أن تتحرجوا عن أكله ومايمنعكم عنه (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع و يعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الا مااضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه أيضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (بأهوائهم بغير علم) بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمجاوز بن الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم و باطنه) مايعلن ومايسر أومابالجوارح ومابالقلب وقيل الزنا فى الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا أونسيانا واليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق ماأهل لغير الله به والضمير لما و يجوز أن يكون للأكل الذى دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون ليوسوسون (الى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان أطعتموهم) فى استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع و يعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (فى الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لايفارقها بحال (كذلك) كما زين للمؤمنين ايمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) والآية نزلت فى حمزة وأبى جهل وقيل فى عمر أو عمار وأبى جهل (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) أى كما جعلنا فى مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى أوفى كل قرية أكابر ومجرميها

بدل ويجوز أن يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل اذا أضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (وما يشعرون) ذلك (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعني كفار قريش لما روى ان أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالاته من علم انه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وحقارة بعد كبرهم (عند الله) يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم (فمن يرد الله أن يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه أشار عليه أفضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) أى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يجعل العذاب أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن أو الى الاسلام أو الى ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه أو عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لا عوج فيه أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا الآيات لقوم

انما نشا من صفة الكبر كما نبه بقوله وتخصيص الاكابر الخ (قوله ان فسر الجعل بالتمكين) يعني لو فسر الجعل بالتصيير كما قاله أولا وجب أن يكون له مفعولان فيكون المعنى فصيرنا أكابر مجرمي القرية في القرية وليس له معنى (قوله وافعل التفضيل اذا أضيف الخ) أطلق الحكم لكن المسئلة ان أفعل التفضيل اذا أضيف ويقصد به الزيادة على من أضيف اليه جاز فيه الافراد والمطابقة وههنا كذلك لان الاكبرية انما هي بالنسبة الى المجرمين (قوله فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل) أى وضع الذين لا يؤمنون موضعهم للتصريح بعلة وضع الرجس فان عدم الايمان علة له (قوله الطريق الذى ارتضاه أو عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته) هذا على طريق اللف والنشر فالاول ناظر الى أن المشار اليه بهذا البيان الذى جاء به القرآن والاسلام والثاني ناظر الى ما سبق من التوفيق والخذلان وهذا مناسب لما في الكشاف فانه قال وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان (قوله حال مؤكدة) هذا ان قيل بان الاستقامة تفهم من صراط ربك وقوله أو مقيدة اذا لم يقل به فان صراط الرب يمكن أن يكون معناه صراط جعله الرب وهو لا يستلزم الاستقامة فان طريق الخذلان والضلال مما جعله الرب وهو لا يوصف بالاستقامة وأما صاحب الكشاف فقال فلعله انما جعله تأكيدا ولم يقل لغيره بناء على ان الصراط المضاف الى الرب تعالى لا يكون الا مستقيما وههنا سؤال وهو انه اذا فسر صراط الرب بالتوفيق والخذلان فيرد ان صراط الرب اذا أريد به التوفيق يصح وصفه بالاستقامة وأما اذا أريد به الخذلان كيف يصح وصفه بالاستقامة والجواب ان الاستقامة تفسر بتفسيرين أحدهما مالا عوج فيه وهذا يناسب التفاسير المذكورة غير الخذلان والآخر العادل المطرد فالعادل مالا جور فيه والمطرد هو الطريق الذى يوصل الى المقصود من ذلك الطريق فطريق التوفيق يقصد منه التوفيق وطريق الخذلان يقصد منه الخذلان ويوصل اليه ويمكن أن يقال ان المراد بما لا عوج فيه الطريق الذى يصل السالك فيه الى المنتهى من غير اعوجاج وانحراف واقع في ذلك الطريق وطريق الخذلان مستقيم بهذا المعنى فتأمل

(قوله وهواعتراف الخ) لايخفى انه ليس باعتراف بمافعلوا في طاعة الشيطان وانما هواعتراف بالبعث والاعتراف بطاعة الشيطان يستفاد من قوله تعالى ربنا استمتع بعضنا ببعض (قوله ومعنى الاضافة ان جعل مكانا) قال الرضى قال بعضهم العامل في المضاف اليه معنى الاضافة وليس بشئ لانه ان

أريد بالاضافة كون الاسم مضافا فهذا المعنى المقتضى للاعراب والعامل مابه يتقوم المعنى المقتضى وان أريد به النسبة التي بين المضاف والمضاف اليه فينبغي أن يكون العامل في الفاعل والمفعول أيضا النسبة التي بينهما وبين الفعل كما قال خلق العامل في الفاعل هو الاسناد لا الفعل اه وبه يظهر ما ذكره المصنف من جعل الفاعل معنى الاضافة (قوله لكن لما جمعوا معهم الجن في الخطاب صح ذلك) اذ المعنى رسل من مجموعكم أي بعض منكم ولا يخفى ان الرسل الذين هم من الانس بعض من المجموع المذكور (قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد والمعنى قالوا شهدنا على أنفسنا حال كونهم متصفين بانهم اغتروا بالحياة الدنيوية (قوله تعليل للحكم) الحكم هنا مافهم من السابق وهو ارسال الرسل اليهم لينذروهم بالبعث والجزاء (قوله أو ظالما الخ) فيكون حالا من ربك يفهم منه أنه تعالى لو عاقبهم قبل ارسال الرسل لكان ظالما وهذا خلاف مذهب أهل الحق وان أريد بالظلم عدم السفه بارسال الرسل لزم التكرار لانه يفهم من قوله وأهلها غافلون لم ينتبهوا برسول

يذكرون) فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل مايحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله أضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لايعلم كنهها غيره (وهو وليهم) مواليهم أو ناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم (ويوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشر الجن) يعني الشياطين (قد استكثرتم من الانس) أي من اغوائهم واضلالهم أو منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) أي البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم أو ذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الاماشاء الله) الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الاماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا الا امامهلكم (ان ربك حكيم) في أفعاله (عليم) باعمال الثقلين وأحوالهم (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على أنفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي الامر ذلك لانتفاء كون ربك أو لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا

(قوله أو بدل من ذلك) عطف على قوله تعليل للحكم أي يكون ان لم تكن الآية بدلا من ذلك ويكون المعنى الامر أن لم يكن ربك وههنا احتمال آخر وهو أن يقال ذلك مبتدأ وان لم يكن خبر والمعنى ذلك أي ارسال الرسل بان لم يكن ربك الآية بالمعنى الذي ذكره المصنف

عملوا) من أعمالهم أومن جزائها أومن أجلها (ومار بك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل أوقدرمايستحق به من ثواب أوعقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (ور بك الغنى) عن العباد والعبادة (ذوالرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم و يمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على أن ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) أى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم أيها العصاة (و يستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم (انما توعدون) من البعث وأحواله (لآت) لكائن لا محالة (وما أنتم بمعجزين) طالبكم به (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن أوعلى ناحيتكم وجهتكم التى أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر أن يتفصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له عاقبة الدار الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أى فسوف تعرفون الذى تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لا يفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه أعم وأكثر فائدة (وجعلوا) أى مشركو العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) روى أنهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله و يصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لآلهتهم و ينفقونه على سدنتها و يذبحونه عندها ثم ان رأوا ماعينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا كالود والود (ساء مايحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربان (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن أومن السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة * زج القلوص أبى مزاده

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل أوما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله مافعلوه) مافعل المشركون مازين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افتراءهم أومايفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (أنعام

(قوله يترحم عليهم بالتكليف) فان نفس التكليف رحمة لانه هداية الى مايوجب الكمال و رفعة الدرجات (قوله فمحلها الرفع) لانها فى الاصل مبتدأ ولما علق عنه الفعل ولم يعمل فيه بقى على رفعه الاصلى (قوله ثم رجحوه عليه الخ) هذا تفسير قوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم (قوله وهو ضعيف فى العربية) تبع الزمخشرى فى تضعيف القراءة التى هى من السبعة وقال العلامة التفتازانى القراءة مما يستشهد بها لها فاذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فى القرآن ينبغى ان يحكم بالجواز وحمله صاحب المفتاح على حذف المضاف اليه من الاول واضمار المضاف من الثانى والتقدير قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم وذكر صاحب الانتصاف ان اضافة المصدر الى معموله وان كانت محضة لكنها تشبه غير المحضة فاتصالها بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاز فى الغير الفصل بالظرف فيزهو عن الغير بالفصل بغير الظرف

وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج أى مضيق (لايطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وأنعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون أسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها (افتراء عليه) نصب على المصدر لان ماقالوه تقول على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو على المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه أو بدله (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) يعنون أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان مافى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية أبى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لاتتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة مايعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى فى التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (سفها بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر (وحرموا مارزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات على مايحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت فى البرارى والجبال (والنخل والزرع مختلفا أكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن ذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض أفرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها (كلوا من

ثمره

(قوله لان ماقالوه تقول على الله الخ) أراد ان افتراء مصدر قالوا لان قالوا ههنا بمعنى افتروا لان قولهم المذكور تقول وافتراء على الله (قوله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف) المراد من الجار لفظ على فيكون المعنى قالوا عليه افتراء هذا على الاحتمال الاول وعلى الثانى معناه افتراء واقعا عليه فيكون متعلقا بمحذوف هو أى المحذوف صفة للافتراء وانما لم يتعلق بالافتراء لان المفعول المطلق لايعمل (قوله أو على الحال أو المفعول الخ) عطف على قوله على المصدر أى أو يكون افتراء منصوب على الحال بمعنى اسم الفاعل فيكون الجار المذكور متعلقا به أو على المفعول وانما لم يجز أن يكون متعلقا بقالوا على هذين الاحتمالين لانه لما جاز تعلق الجار بما هو قريب منه لا وجه لتعلقه بما هو كثير التقدم واما على الوجه الاول فلما لم يصح ان يتعلق بالافتراء جاز ان يتعلق بالمحذوف الذى هو بعيد وهو قالوا ولك ان تقول لما جاز على الأول ان يتعلق بالمحذوف الذى هو صفة للافتراء لاضرورة داعية الى تعلقه بما هو بعيد وهو قالوا ثم ان هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان التقديرين المذكورين على كل من هذين الاحتمالين والثانى ان يكون بطريق اللف فتأمل (قوله فان مافى معنى الاجنة) أى مافى قوله قالوا مافى بطون هذه الانعام (قوله وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا) والتقدير مافى بطون هذه الانعام يخلص لذكورنا خالصة فيكون خالصة تأكيدا بمعنى الكلام السابق اذ يفهم من لذكورنا الخلوص (قوله من الضمير) الذى فى الظرف وهو فى بطون اى ماحصل فى بطون هذه الانعام خالصة (قوله لانها لاتتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور) فلو كان حالا عن الضمير الذى فى ذكورنا لزم تقدم الحال على العامل المعنوى ولو كان حالا عن الذكور لزم تقدم الحال على صاحبه المجرور (قوله وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير) فيكون الهاء فى خالصه هاء الضمير لاتاء التأنيث (قوله سفها بغير علم) المراد من السفه الظنون الفاسدة و بعدم العلم الجهل بما هو الحق فيكون المعنيان متغايرين

ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا أثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الا كل منه قبل أداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم أن الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) فى التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط (انه لا يحب المسرفين) لا يرتضى فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما أحل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر الضأن وذكر المعز (حرم أم الانثيين) أم أنثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أو ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى (نبئونى بعلم) بامر معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيأ من ذلك (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) كما سبق والمعنى انكار أن الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان أو أنثى أو ما تحمل اناثها رداً عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها (أم كنتم شهداء) بل أكنتم شاهدين حاضرين (اذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ أنتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى) أى فى القرآن أو فيما أوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على أن التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على أن كان هى التامة وقوله (أو دما مسفوحا) عطف على أن مع ما فى حيزه أى الا وجود ميتة أو دما مسفوحا أى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) فان الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث (أو فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (أهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن

التبن وغيره فعلم من الامر بالأداء يوم الحصاد المبالغة فى وجوب الأداء فى وقته (قوله عطف على جنات) والتقدير وهو الذى أنشأ جنات وحمولة وفرشا من الانعام (قوله أو جمع ماعز كصاحب وصحب أو حارس وحرس) فالاول بتقدير سكون العين والثانى بتقدير تحريكه ولم يذكر احتمال كون المعز جنسا كما ذكر فى الضأن لكن صاحب الصحاح صرح بانه اسم جنس (قوله وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى) فيه أن ظاهر التركيب يدل على ان التحريم يعلم بالوحى واما انه لا يعلم الا به فغير معلوم منه والجواب ان هذه الآية لرد مازعمه المشركون من تحريم ما لم يحرم الله يعنى لم يوح الى تحريم ما ذكرتم وانما الموحى الى تحريم ما ذكر فى الآية الكريمة فيبطل زعمكم فى تحريم الامور المذكورة فلو لم يكن الحصر مقصودا لم يفد بطلان زعمهم (قوله أى الا وجود ميتة) على تقدير قراءة ابن عامر واما على قراءة غيره فالمعنى لا أجد طعاما محرما كائنا على حال الا حال كونه ميتة أو دما مسفوحا (قوله والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى تكن) فيه نظر اذ يلزم ان يكون فى أهل ضمير مستتر راجع الى الطعام المحرم ولا يخفى ان ضمير به راجع اليها ايضا فيكون المعنى اهل الطعام لغير الله بالطعام ولا وجه له

كما لا يخفى بل الوجه ان يقال به قائم مقام الفاعل وليس فى أهل على هـذا التقدير ضمير ولقد وقع فى هـذا الخطأ من عدم التأمل فى عبارة الكشاف فانه قال ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من أهل أى أهل لغير الله به فسقا فان قلت وعلام يعطف أهل والام يرجع الضمير فى به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى مارجع اليه المستكن فى يكون هـذا كلام الكشاف فعلى القاضى ان يقول والضمير فى به راجع الى مارجع اليه المستكن فى يكون وقد غير العبارة فوقع فيما وقع (قوله ولا على حل الاشياء الامع استصحاب) أى لا تدل الآية على حل شئ آخر اذ يمكن ورود دليل من الحديث على تحريمه نعم لو اعتبر الاستصحاب بان يقال المذكور فى الآية حرمة هذه الاشياء المخصوصة ولم يدل الدليل على تحريم غيرها فبقى حالها بالاستصحاب لكان الاستدلال صحيحا ولا يخفى ان الاستصحاب فرع عدم ورود دليل على التحريم فلو ورد لكان محرما أيضا (قوله والاضافة لزيادة الربط) يعنى يكفى ان يقال ومن البقر والغنم حرمنا عليهم الشحوم اذ يعلم منه ان الشحوم شحوم البقر والغنم فاضافة الشحوم الى الضمير لزيادة الربط وانما قصد الى زيادة الربط ليعلم اختصاص الحكم بما ذكر علما ظاهرا مؤكدا (قوله ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم) يعنى التصريح بلفظ كل يومئ الى انه كان قبل ذلك تحريم بعض من الاشياء المذكورة عليهم فلما ظلموا حرم الكل (قوله تعالى وانا لصادقون فى الاخبار أو الوعد والوعيد) مجرد هذا لا يكفى فى تخصيص هذا الكلام بقوله تعالى وانا لصادقون اذ لقائل ان يقول ان صدق الله تعالى مشترك فى كل خبر فما وجه تخصيص ذكره بهذا المقام والاولى ماقاله بعضهم معناه وانا لصادقون فيما أخبرنا من تحريم ذلك عليهم بالسبب المذكور لا كما زعموا ان اسرائيل حرمه وليس من قبل ذنب صادر عنا ويمكن حمل عبارته على ماذكرنا (قوله وقيل هو عطف على شحومهما الخ) فعلى هذا تكون الحوايا من جملة المحرمات عليهم واما على الاول فيكون داخلا فى المستثنى من المحرم (قوله فاقام مقامه ولا يرد بأسه الخ) يعنى انهم أقيم ولا يرد بأسه مقام ذو بأس للدلالة عليه مع زيادة عدم رد العذاب عنهم اذا نزل ولو قيل فقل ربكم ذو رحمة واسعة وذو بأس لم يفهم ما ذكر (قوله ووقوع مخبره يدل على اعجازه) يعنى لما ادعى النبوة وأخبر عن الغيب ووقع كما أخبر به لزم الاعجاز اذ هو أمر خارق للعادة ولك أن تقول لا يلزم من مجرد ذلك الاعجاز اذ قد يخبر الشخص عن الشئ فى المستقبل بالظن ثم بعد ذلك يقع كما أخبر الا أن يقال ان هـذا الاخبار على سبيل الجزم بقرينة السين التى تدل على التأكيد (قوله مشيئة ارتضاء) أى المشيئة ههنا بمعنى الرضا والمعنى لو رضى الله بعدم اشراكنا ما أشركنا وانما وجب هذا التأويل لان الآية وردت فى ذم الكفرة ولو أبقيت المشيئة على معناها لكان المعنى ولو أراد الله عدم اشراكنا لما أشركنا وهـذا المعنى هو مذهب أهل الحق فلم يتوجه الذم لكنه اذا جعلت المشيئة بمعنى الرضا كان المعنى ولو رضى الله بعدم اشراكنا لما أشركنا ويفهم انه لم يرض بعدم الشرك وهو باطل عند أهل الحق فالذم على موقعه والدليل على ان المشيئة ليست على معناها قوله تعالى فلو شاء الله لهداكم أجمعين اذ يفهم منه أن مراد الله تعالى كائن البتة فلا يصح الذم لو أراد الكفرة هـذا المعنى لقولهم المذكور ومعنى الكلام أنه تعالى رضى بالاشراك والتحريم المذكورين وانهم أى المشركين أشركوا لذلك ولو كان المرضى عند الله عدم

فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على أنه لم يجد فيما أوحى الى تلك الغاية محرما غير هـذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الامع الاستصحاب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت ظهورهما) الا ماعلقت بظهورهما (أو الحوايا) أو مااشتمل على الامعاء جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو (أو مااختلط بعظم) هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص (ذلك) التحريم أو الجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فى الاخبار أو الوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل أو ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم (سيقول الذين أشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) أى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك

اشراك المشرك لما أشركوا (قوله حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة) أى المعتزلة القائلين بعدم ارادة الله للقبائح ومنها الشرك فلو كانت المشيئة بمعنى الارادة لا الرضا به كان المعنى لو أراد الله عدم اشراكنا ما أشركنا فكوننا مشركين بسبب ارادة الله اشراكنا ولما ذمهم الله تعالى بهذا القول لزم أن لا يكون الشرك مرادا لله وهو مذهب المعتزلة (قوله ويؤيد ذلك قوله الخ) وجه التأييد ان معنى هذا الكلام انهم كذبوا الرسل فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يرض به واذا كان عدم رضائه بالمشرك كاذبا كان راضيا بالشرك فيكون دعوى المكذبين انه غير ممنوع بل مرضى (قوله ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع) فان الآية فى ظن المشرك الذى يعارضه القاطع الذى هو دليل التوحيد ودليل عدم تحريم ما حرموه وانما قال ذلك اذ الظن يتبع فى الفروع الفقهية التى لم يدل عليها

أنهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل هذا التكذيب لك فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ما تتبعون فى ذلك الا الظن (وان أنتم الا تخرصون) تكذبون على الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه (قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم أجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم) أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) أمر من التعالى وأصله أن يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم (أتل) اقرأ (ما حرم ربكم) منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أقل فكأنه قيل أتل أى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم أو أتل (ألا تشركوا به) أى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب

قاطع (قوله ولذلك قيد الشهداء بالاضافة) يعنى لما كان المراد من الشهداء قدوتهم فى التحريم قيد الشهداء بالضمير ليفيد أن الشهداء شهداؤهم لا شهداء غيرهم فيكون فيه اشارة الى عدم التمسك بكل منهما (قوله وبين لهم فساده) اشارة الى أن المقصود من لا تشهد معهم ابطال كلامهم وتبيين فساده لا مجرد عدم موافقتهم فى الشهادة اذ هو قليل الجدوى (قوله للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى) ووجه الدلالة أنه يفهم من الكلام المذكور ان المكذبين للآيات اجتمع فيهم الافتراء وهو تحريم ما حل الله والتكذيب فيكون فيهم اجتماع اتباع الهوى مع التكذيب (قوله أى لا تشركوا) جعل أن مفسرة فاورد عليه انه

عطف فى الآية الاوامر على النواهى مع انها أى الاوامر غير صالحة لبيان المحرمات بل لبيان الواجبات والى هذا السؤال أشار بقوله ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم وأجيب عنه بان الأوامر ههنا بتأويل المنهيات فقوله تعالى وبالوالدين احسانا بتأويل لا تسيئوا بالوالدين والى هذا الجواب أشار المصنف بقوله فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها فان قيل اذا كانت ان مفسرة فالمفسر أى شئ قلنا ان كانت ما موصولة كان المفسر تلاوة المحرمات وان كانت مصدرية كان المفسر تلاوة تحريم المحرمات فان قيل لا تشركوا ليس تلاوة المحرمات ولا تلاوة تحريمها قلناه وان لم يكن تلاوتها ولا تلاوة تحريمها صريحا الا أن عدم الشرك ليس حراما لكن يفهم منه ما حرم فتكون ان تفسيرية بهذا الاعتبار (قوله فمحلها النصب

بعليكم على أنه للاغراء) قال العلامة التفتازانى يأباه عطف الاوامر الا أن تجعل لا ناهية وان المصدرية موصولة بالنواهى والاوامر على قاعدة صاحب الكشاف من جواز اجتماع الجوازم والنواصب لكون الجازم يعمل فى نفس الفعل والناصب فى لام الفعل (قوله أو بالبدل من ما أومن عائده المحذوف) والتقدير ما حرمه ربكم وعلى هذين الاحتمالين تكون لا زائدة اذ لو لم تكن زائدة لكان لا تشركوا حينئذ بمعنى عدم الشرك وهو غير محرم بل المحرم هو الشرك واذا جعلت لا زائدة صار أن لا تشركوا بمعنى الشرك (قوله والجر بتقدير اللام) أى لئلا تشركوا والمعنى اتل ما حرم ربكم عليكم لعدم شرككم ويكون علة للتحريم أو التلاوة ومعنى الآية حينئذ أتل ما حرم ربكم عليكم من الشرك والاساءة بالوالدين وقتل الأولاد وغيرها لئلا تشركوا (قوله وضعه موضع النهى عن الاساءة

بعليكم على أنه للاغراء أو بالبدل من ما أومن عائده المحذوف على أن لا زائدة والجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا (شيأ) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين احسانا) أى وأحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولا تقربوا الفواحش) كبائر الذنوب أو الزنا (ما ظهر منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ما ذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) أى بالفعلة التى هى أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وأن هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق

للمبالغة) هذا اشارة الى ما سبق من ان الأوامر بمعنى النواهى وافادة المبالغة باعتبار الاستدلال لأنه فى الظاهر الأمر بالاحسان والأمر بالاحسان دليل على النهى عن الاساءة (قوله منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله) فان موجب الفعل هو حصول الاملاق أو خشية الاملاق وقوله نحن نرزقكم واياهم وعد بالرزق فوجب وقوعه فلا وجه للقتل لخشية الاملاق فهذا احتجاج على منع القتل (قوله كآنك) بالكاف وضم النون لان الاشد فى الاصل الاشدد بضم الدال الاولى ثم نقل الضم الى الشين فادغمت الدال الاولى فى الثانية وهو الاشد قال صاحب الصحاح افعل من أبنية الجمع ولم يجئ عليه الواحد الا آنك وأشد (قوله الا ما يسعها ولا يعسر عليها) فان قلت عدم العسر معلوم من الوسع فان الوسع القدرة على الشئ وهو لا ينافى العسر بل العسر مستلزم للوسع قلنا قد فسر قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بتفسيرين أحدهما الا ما تسعه قدرتها والثانى ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها فما ذكره ههنا مبنى على التفسير الثانى (قوله الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة) ثم الظاهر أن يجعل اشارة الى قوله تعالى أن لا تشركوا لآيتين (قوله على انه علة لقوله فاتبعوه) فان قيل يكون التقدير وفاتبعوه لان هذا صراطى مستقيما فلزم اجتماع حرفى العطف قلنا هذا النحو من الاجتماع جائز كقوله تعالى وربك فكبر قال العلامة التفتازانى ورود الفاء مع الواو عند تقديم المعمول فصلا بينهما شائع فى الكلام (قوله فان مقتضى) الحجة التامة على أمرين مختلفين والالزم وقوع المتناقضين وهو محال

(قوله عطف على وصاكم) فيه انه يلزم أن يكون المعنى ثم ذلكم آتينا موسى الكتاب ولا يخفى ما فيه والحق انه أراد انه معطوف على جملة ذلكم وصاكم (قوله ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب) فان قيل وصية الله حديثا هو الوصية فى القرآن والقرآن أعظم من التوراة فكيف قال ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب والجواب ان انزال التوراة أعظم من الوصية

(ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار أو للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب (تماما) للكرامة والنعمة (على الذى أحسن) على كل من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذى أحسن تبليغه وهو موسى عليه أفضل الصلاة والسلام أو تماما على ما أحسنه أى أجاده من العلم والتشريع أى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى على الذى هو أحسن أو على الوجه الذى هو أحسن ما يكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) أى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا علة لانزلناه (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة فى خبر كان أى وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لاندرى ما هى أو لانعرف مثلها (أو تقولوا) عطف على الاول (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على أنا أميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها (وصدف) أعرض أو صد (عنها) فضل أو أضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم أو صدهم (هل ينظرون) أى ما ينتظرون يعنى أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا أن تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (أو يأتى ربك) أى أمره بالعذاب أو كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله (أو يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونارا تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو كسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه

المذكورة لاشتمال التوراة عليها وعلى غيرها ولا يلزم أن تكون التوراة أعظم من القرآن بل يلزم ان تكون معانى التوراة أعظم من بعض معانى القرآن (قوله ويؤيده ان قرئ على الذين أحسنوا) أراد به يمكن ان يكون المراد من قوله تعالى الذى أحسن موسى وأمته المحسنون وظاهر انه يؤيده القراءة المذكورة ويمكن ان يكون المراد الذى أحسن تبليغه وهو موسى (قوله وعلى الوجه الذى هو أحسن ما يكون) فان قلت يرد عليه انه يلزم ان تكون التوراة أحسن من القرآن قلنا لزومه ممنوع اذ يمكن ان يكون الوجه الأحسن مشتركا بين كتابين بان يكون كل منهما على الوجه الأحسن بقى انه يلزم ان يكون القرآن والتوراة متساويين لان كلا منهما على الوجه الأحسن ويمكن ان يقال المراد على الوجه الذى يكون أحسن ماعليه الكتب فى زمان نزولها أو يقال ان القرآن مستثنى من الحكم فكان الذى هو أحسن ما يكون عليه الكتب غير القرآن (قوله وهم ما كانوا منتظرين الخ) اذ الانتظار ترقب وقوع الشئ وهم غير مترقبين لذلك بل هم جازمون بعدمه وقد قصر المصنف وصاحب الكشاف فى بيان معنى ينتظرون اذ يعلم من كلامه انه غير باق على معناه الحقيقى لكن لم يظهر ان معناه المجازى المستعمل فيه أى شئ والظاهر ان يقال ان المعنى ما يفعلون الاسباب اتيان الملائكة أو اتيان أمر الرب به الخ

(قوله وهذا دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل) اذ على التفسير المذكور يفهم انه لا ينفع الايمان فى اليوم المذكور واذا كان الايمان مقدما على ذلك اليوم ولم يكن مقرونا بالعمل الصالح (قوله وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم) الكلام الأول كلام المعتزلة وهذا الكلام كلام أهل السنة يعنى ان من اعتبر الايمان المجرد عن العمل له ان يقول يلزم من الآية الكريمة على التفسير المذكور عدم اعتبار الايمان المذكور لكن لم لا يجوز ان يكون حكم عدم الاعتبار مخصوصا بذلك اليوم ولا يلزم عدم اعتباره فى جميع الازمان ويؤيده ما ذكرنا تقدم الظرف على الفعل (قوله وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلا عنها ايمانها) هذا جواب ثان عن كلام غير المعتبر وهو ان يقال محصل الترديد انه لا ينفع الايمان يومئذ اذا لم يتقدم الايمان أو لم يتقدم الايمان مع العمل الصالح فيكون النفى متوجها الى أحد الأمرين كما قال المحققون ان العموم أى عموم النكرة أو ما فى حكمها انما يلزم اذا عطف أحد الامرين على الآخر ثم سلط عليه النفى فيصير مثل قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فان المعنى النهى عن اطاعة كل منهما فان قلت يلزم استدراك فى الكلام اذ لما ذكر نفى تقديم الايمان لا حاجة الى نفى تقدم الايمان المقرون بالخير قلنا معنى الكلام ان الايمان لا ينفع فى ذلك اليوم لو لم يتقدم الايمان المجرد عن العمل ولا الايمان المقرون به وفائدة التفصيل المبالغة فى نفى تقدم جميع أقسام الايمان وبهذا سقط ماقاله العلامة التفتازانى من الاستدراك فعلم من عدم نفع الايمان فى ذلك اليوم عند انتفاء الايمان بقسميه معا انه اذا كان أحد القسمين موجودا كان الايمان فى ذلك اليوم نافعا سواء كان الايمان المقدم المجرد عن الخير أو المقرون به (قوله والعطف على لم يكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى أحدثته حينئذ وان اكتسبت فيه خيرا) هذا جواب ثالث وتوضيحه ان يقال انه يجوز ان يكون أو ههنا بمعنى الواو وقد أثبته الكوفيون والاخفش مصدر والجرمى على ما ذكر صاحب المغنى فيكون المعنى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وكسبت فى ايمانها خيرا أى لا ينفع الايمان ان لم تكتسب فيه خيرا وكذا ان كسبت فيه خيرا ثم ان صاحب المغنى نقل عن بعضهم ان أو قد تجىء بمعنى كلمة الشرط ومثله بقولهم لآتينك أعطيتنى أو حرمتنى أى ان أعطيتنى او حرمتنى واذ ثبت ذلك فلك ان تحمل كلام المصنف عليه فتأمل (قوله بنقص الثواب وزيادة العقاب) يدل على ان نقص الثواب وزيادة العقاب ظلم وليس كذلك اذ الظلم غير متصور على الله تعالى لانه تصرف فى حق الغير وكل ما فى الكون ملك الله تعالى الا ان يفسر الظلم بغير ما ذكرنا فالاولى ان يقال انهم لا يظلمون بوجه من الوجوه فلا يكون جزاء السيئة بمثلها ظلما وفيه دفع شبهة المعتزلة فانهم قالوا لما كان كل ما وقع من العبد فهو فعل الله موجود بارادته وقدرته على رأى أهل السنة لزم من عقاب العبد الظلم عليه تعالى أو يقال وهم لا يظلمون لو زيد فى جزاء السيئة بمثلها (قوله وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة) يعنى ان القيم بالتشديد أبلغ من المستقيم باعتبار الوزن فانه صفة مشبهة تدل على الثبوت والاستمرار

لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم أى انتظروا اتيان أحد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى فارقوا أى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا تشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شئ) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم أو أنت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما أمرهم الى الله) يتولى جزاءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشرة بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) قضية للعدل (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه

مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها أوقربانى أوحجى (ومحياى ومماتى) وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة أوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير أوالحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لاشرك فيها غيرا (وبذلك) القول أوالاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته (قل أغير الله أبغى ربا) فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال فى موضع العلة للانكار والدليل له أى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية (ولاتكسب كل نفس الاعليها) فلاينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك (ولاتزر وازرة وزر اخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا أوخلفاء الله فى أرضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام أوخلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهوآت قريب أولانه يسرع اذا أراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها *عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿ تم الجزء الثانى من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الثالث أوله سورة الاعراف ﴾

والمستقيم أبلغ من القيم باعتبار الصيغة أى باعتبار كونه من باب الاستفعال الدال على الطلب فكانه نفسه الذى يطلب قوامه (قوله ملة ابراهيم عطف بيان لدينا) كونه بيانا باعتبار اشتماله على الاضافة التى توجب التوضيح وقد تبع صاحب الكشاف فى ذلك وقال صاحب المغنى ان البيان لايخالف المبين فى التعريف والتنكير وأما قول الزمخشرى ان مقام ابراهيم عطف بيان على آيات بينات فسهو واعلم ان الدين هو الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبى تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث تملى وتبين للناس ملة ومن حيث سنها الله تعالى أومن حيث يردها الواردون المتعطشون الى زلال نيل الكمال شرعا وشريعة فالدين يضاف الى الله تعالى والى النبى صلى الله عليه وسلم والى آحاد الامة والملة الى النبى والى الامة وكذا الشريعة هكذا قال العلامة التفتازانى ويفهم منه ان الملة والشريعة لايضافان الى الله تعالى فتأمل (قوله فلاينفعنى فى ابتغاء رب غيره) أى لا يدفع عنى جزاء اثم ابتغائى ربا غيره كونهم على هذا الابتغاء أى انا لاغيرى حامل اثمى وهم حاملون آثامهم ومعنى ولاتكسب كل نفس الاعليها انه لايكسب كل نفس سيئة الاعليها فلا يكون منافيا لقوله تعالى لها ماكسبت وعليها مااكتسبت (قوله أوخلفاء الامم السالفة) الامم الذين خلت مطلقا لم يكن الخطاب مختصا بالمؤمنين (قوله وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه) أى لم يصف نفسه بانه معاقب ووصفها بانه غفور (قوله غفور بالذات معاقب بالعرض) المغفرة صدرت منه تعالى بلا فعل صدر من العبد يوجبها لكن العقاب لم يصدر منه تعالى الا بسبب فعل صدر من العبد لكن فى اشعار ماذكر به خفاء لان مادل عليه هو المبالغة فى وصفه بالرحمة فلايلزم من مجرد ذلك كونه بالذات

﴿فهرست الجزء الثانى من تفسير البيضاوى﴾

﴿تمت﴾